الجزء الأول ٣٧٥ المجلد الخمسون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

محرم سنة ١٣٩٥ هـ
كانون الثاني سنة ١٩٧٥ م

مجـلـة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص . ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنـة ١٩٢١ م

تصدر اربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطـار ١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلهـا جنيه وعشرة شلنات
	« « ثلاثة دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلـة تعبر عن آرائهم الشخصية .

صفحة خالدة

الأستاذ شفيق جبري

في الجزء الثالث من يتيمة الدهر صفحة في التجديد كتبها أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم ، قال أبو الحسين : « ومن ذا حظر على المتأخر مضادّة المتقدّم ، ولِمَه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا إلاّ أزمان ، ولكل زمانٍ منها رجال ، وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلاّ خطرات الأوهام ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقتٍ محدود ولِمَه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتّى يؤلّف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى في كل ذلك رأيه وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، أو علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة . . . » إلى أن قال : « ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلّت أفهام ثاقبة ، ولكلّت ألسنة لسنة ، ولما وشّى أحد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة ، ولمجّت الأسماع كل مردّدٍ مكرّرٍ ، وللفظت القلوب كل مرجّع ممضّغ » .

صفحة خالدة في أدبنا تدلّ على امتداد فكر صاحبها ، وعلى إيمانه الشديد بانتقال الحياة من طور إلى طور على تراخي الأحقاب ، فهو عدوّ الجمود ، وهو نصير التجديد ، ولا ريب في أن الجمود إنما هو عنوان الموت ، وأنّ التجديد إنما هو دليل الحياة ، وليس بي حاجة إلى إيضاح شيء ممّا جاء ذكره في قول

ابن فارس ، فقد قال كلّ شيء ، وأوضح كلّ شيء ، فلم يترك مجالاً لقائل ، كما أنه لم يترك مجالاً لإيضاح ، وحرام عليّ تجزئة هذه الصفحة واختصار أفكارها ، فبلاغتها قائمة بتناسقها .

قد يخطر على البال أن ابن فارس قد أهمل شيئاً لم يشر إليه ، ماهو هذا الشيء ، قد يخطر على البال أن ابن فارس لمّا أشار إلى التجديد في الأدب لم يشر إلى المحافظة على روح اللغة في هذا التجديد ، ولكن ابن فارس أعقل من أن يفوته هذا الأمر ، وإذا كان لم ينبّه عليه فلأنه يعتقد على ما نرى أن هذه المحافظة إنما هي من بدائه الأمور ، فلولا المحافظة على روح اللغة في التجديد لما كان لهذا التجديد معنى واضاع الأدب واللغة ، فليس معنى التجديد أن يخلق كل عصرٍ من العصور لغةً خاصة وأدباً خاصاً ، وأن يخرج بهذه اللغة وبهذا الأدب عن روحها وجوهرها ، فلو كان الأمر كذلك لتعاقبت العصور دون أن يفهم كلّ عصرٍ لغة العصر الذي تقدّمه والأدب الذي جاء قبله .

إذا رجعنا إلى لغتنا وإلى أدبنا في قديم عصورهما وجدنا أن اللغة لم تثبت على طورٍ من الأطوار ، وإن الأدب لم يحافظ على شكل من الأشكال ، فاللغة من بدء الإسلام ظهرت أطوارها التي دخلت فيها ، وهذا موضوع مديد لا يمكن حصره في مقالٍ مثل هذا المقال ، فالإسلام قد حوّل ألفاظاً عن معنى إلى معنى ، ثم حدثت علوم فاضطروا إلى وضع ألفاظٍ لها كما وضعوا ألفاظاً للنحو والفلسفة وغيرها ، وما يقال في اللغة يقال في الأدب ، فالشعر لما انتقل من مضارب البدو في جاهليته إلى قصور الخلفاء في بغداد وغيرها اضطر أصحابه في الحضر إلى أن يأتوا بصور تخالف صور البدو ، وهذا أمر نشهده في شعرائنا لا يحتاج إلى برهان عليه .

لكنّ الشعر لما انتقل من أفق إلى أفق حافظ على روح اللغة وعلى

جوهرها ، فلم يأت أصحابه بصور غامضةٍ ولا أتوا بلغةٍ تنفر عنها أذواقنا ، وإذا كان المجال لا يتّسع للتبسط في هذا السبيل فلا أقلّ من الاستشهاد بشاعر طبع شعره بروح عصره فكان فيه تجديد من جهة وكان فيه محافظة على روح اللغة وجوهرها من جهة ثانية ، ماذا فعل البحتري في شعره ، ليس موضوعي الإتيان على خصائص لغة البحتري في إدخال شعره في طورٍ جديد يختلف عن الأطوار التي كان الشعر فيها على أيام الجاهلية وبعدها ، إنما أرى أنه لا بدّ من الإشارة إلى شيء من يسيرٍ من هذه الخصائص ، فقد رجعت إلى دفاتري التي دوّنت فيها بعض روح اللغة التي كان يستعملها البحتري فوجدت أنه رزق قدرة غريبة على التأليف بين الألفاظ من ذلك مثلاً قوله : شباب الدنيا ... بشاشة النعم ... بهجة الخلافة ، ومثل هذه القدرة نجدها في الصفات التي يطلقها على الموصوفات ، مثل قوله : القصور البيض . . . البوادي السود . . . فقد ينفخ في الموصوفات روحاً تدخل الحياة عليها ، وربما مررنا ببعض شعره بصفةٍ يخيّل إلينا أنها من توليد العصر الذي نعيش فيه مثل قوله : همّة مجنونة .

والخلاصة أن البحتري لما أدخل شعره في طور جديد حافظ على روح اللغة في هذا الطور ، ولم يخرج عن محاسن ذوقها ، فقد مرّ عليه أكثر من ألف سنة ونحن لانزال نرى أن لغته كأنّها من لغة هذا العصر ، فلا ننفر عن صفاته التي أطلقها على الموصوفات ، ولا نستغرب تأليفه بين الألفاظ ، فهو لم يأت بشيء لم يفهمه عصره ولا فهمته العصور التي جاءت بعده ، فقد نمرّ في أيامنا ببعض شعرٍ لا نفهمه نحن ، ولا تفهمه العصور في الآتي وهذا هو موت اللغة بأجمعها .

إنا لا نستطيع أن نقف في سبيل قانون من قوانين الحياة بلغ من القوة كلّ مبلغ ، إنا لا نستطيع أن ننكر أن الحياة تتجدّد من زمن

إلى زمنٍ ، وإن هذا التجديد يستوجب لغةً خاصة وصيغة خاصة ، ولكن الذي ننكره أن تكون هذه اللغة غريبة عن أهلها وأن تكون هذه الصيغة غريبة عن أدبنا ، ومعنى الغرابة في هذا القول ، أن تكون اللغة وصيغة الأدب فاسدين لا نفهمها نحن ولا يفهمها من يأتي بعدنا .

أذكر عبارة اطلعت عليها في كتاب وقع عليه نظري عرضاً في مكتبة في مدينة « وليمسبورغ » في أميركة ، فقد قال أحد أعضاء الكونغرس : إنا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين يسرقون ويقتلون ، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة !

مثل هذا القول صدر في بلاد تشيع في أكثرها المعامل والآلات والدخان وغير ذلك من الحضارة المادية ، فما قولنا في بلادٍ مثل بلادنا لم تحتفظ من ماضيها إلاّ بلغتها وأدبها ، أفيجوز أن يقضى على هذه اللغة وهذا الأدب !.

« شفيق جبري »

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ.ل كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٦ -

الدكتور حسني سبح

٩٧٥٤ بَرْدي — 9754 Papyracé , ée

وأرجح شبيه بالبَرْق أو بالوَرَق ، شأن ما جاء في تفسير اللفظة في معجم ستدمان[١] وكما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي[٢] لإلتباس هذه اللفظة بما ينسب الى البَرْد .

٩٧٥٥ بُقَط (السَّفُوف) — 9755 Paquets de poudre

والصحيح ظُروف أو مَظْروفات (المَسْحوق) ، والأخيرة أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وعرفها : صفة المادة الصُلْبة عندما توجد على شكل دقائق صغيرة . ولا أرى للفظة بُقَط أن تدل على المعنى المطلوب[٣].

---

(١) لفظة (Papyraceous) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary)

(٢) (papierartig)

(٣) في تاج العروس : والبَقْط جَمْع المتاع وحَزْمه ، يقال بَقَط الرجل متاعَه إذا جَمَعه وحَزَمه ليرتحل ، إلى أن قال الأعرابي : البَقْط التفرقة كما يأتي ، يصلح أن يكون ضداً .
في لسان العرب : وَظَرْف الشيء وِعاؤه والجَمْع ظروف .

٩٧٥٦ بلُعْقات قَهْوة — 9756 par cuillérée à café

وأرجح بلُعقة مِلْعَقة قَهْوةٍ أو شاي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) أو بلُعقة مِلعقة صغيرة أو بِمَلئها ، ولأن لُعْقة قهوة وكذلك لُعْقات قهوة الواردة في اللفظة التالية لاتدلان على المعنى المطلوب بدون اضافة كلمة مِلْعَقة(٢) .

٩٧٥٧ بلُعْقات حلْوى — 9757 par cuillérée à dessert , à entremets

٩٧٥٨ بلُعْقةِ حساء — 9758 par cuillérée à soupe (ou à bouche)

والأفضل بِلُعْقة مِلْعَقة متوسطة في اللفظة الأولى وبلُعْقة مِلعَقة حَساء (بالفتح) أو مِلعقة كبيرة (انظر الهامش في اللفظة السابقة) .

٩٧٥٩ خَلِيَّه مُغَذِّية — 9759 Parablaste

والصحيح الوُرَيقة المتوسطة (mesoblast) وبالأخص الجزء من هذه الوريقة والذي يتكون منه البناء الوعائي ، كما جاء في معجم وبستر(٣) ويرادفها الوريقة الوعائية (feuillet vasculaire) كما جاء في معجم لاروس(٤) .

٩٧٦٠ بَزْل — 9760 Parancenthèse , ponction

---

(١) (teaspoonful) .

(٢) في لسان العرب : لعق الشيء يلعقه لعقاً لحسه واللعقة بالفتح المرة الواحدة ، إلى أن قال واللُعْقة بالضم اسم ماتأخذه الملعقة .

(٣) لفظة (parablast) في معجم (Webster 's Third New International Dictionary)

(٤) لفظة (praablaste) في معجم (Larousse du 20 ième siècle) .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة

١ ــ البَزْل (في البَطن والصَدْر) .

٢ ــ البَطْ[١] (للخزانة المُقَدّمة للعَين) .

٩٧٦١ حَوْل المَرْكَز ، جانِب المَرْكَز 9761 Paracentral , le

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة جَنيب المركز

٩٧٦٢ نَظيرة العُصَيّات الكولونية 9763 Paracolibacilles

وأرجح نَظيرات العُصَيّة القُولونية . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة عُصَيّة نظير القُولوني ــ باسيل الباراقولون وجاء في الشرح : جرثومة من مجموعة الباسيلات السلبية لِصِبْغة (جرام) التي منها باسيل التيفود وباسيل القُولون .

٩٧٦٣ وَقْر ، ضَعف السَّمَع 9762 Paracousie

التخيل السمعي (illusion auditive) أو الهُلاس السمعي (hallucination auditiive)

كما جاء في معجم ستدمان[٢]

9764 Paracoxalgie , fausse Coxalgie

٩٧٦٤ نَظير الوُراك ، وُراك كاذب

وأفضل نظير الألم الحَرْقفي ، والألم الحَرْقفي الكاذب ، وقد سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[٣]

(١) في لسان العرب : بَطّ الجُرحَ وغيرَه يَبُطُّه بطاً وبَجّه بجّاً إذا شقه .

(٢) لفظة (paracusis) في معجم ستدمان الطبي (Stedmann's Medical Dictionary)

(٣) الصفحة ٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

9765 Paradidyme , eorps innominé de Giraldès

٩٧٦٥ خصيَةٌ جانبية ، جسم جيرالدس غير المسمى

وأفضل جَنيب البَرْبخ (١) ، جسم جيرالدس اللامسمى

9766 Paraffine

٩٧٦٦ شمعٌ معدني ، بارافين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بارافين

9767 Paraganglions

٩٧٦٧ نظائر العُقَد

أو أشباهها . هذا وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات علم الجراحة (في دوراته الثالثة والرابعة والخامسة بعد العشرين) أقر ترجمة لفظة (paraganglioma) بورم جَنيب العُقدة العصبية ، مما يجعل ترجمة (parganglion) بجَنيب العُقدة والصحيح ما صنعته اللجنة (٢)

(2) glande carotidienne ou intercarotidienne, corpuscule ou ganglion carotidien

(٢) — غُدَّة سُباتيَّة أو بَيْن السُباتيَّة جسيم أو عقدة سباتية

وأرجح غُدّة سُباتيّة ، الجِسْم السُباتي ، أو العُقْدة السُباتية

---

(١) لفظة (paradidymis) في معجم وبستر (Webster's Third New International Dictionary

(٢) لفظة (paraganglia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary) وقد فسرت اللفظة بأنها تدل على الأجسام الكرومافينية (chromaffin bodies) بعض الأجسام البيضية أو المستديرة مع محفظة من النسيج الضام والتي تكوّن فئاتٍ مستقلةً من النسيج الكرومافيني (أو الولوع بالكروم) ضمن أعضاء أو أجزاء مختلفة من البدن ، لها خواص نخاع الكظر نفسه .

(3) glande coccygienne , glande de Luschka

(٣) غُدّة عُصْعُصِيّة ، غُدّة لوشكا

غُدّة عُصْعُصِيّة ، عُقْدة أو غُدّة لُشكا ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

(5) paraganglion aortique ou abdominal, organe de - Zuckerkandl

(٥) نَظيرة العُقدة الوَتينية أو البَطنِيّة ، عضو زوكر كندل

وأرجح نَظيرَة العُقْدة الوَتينية أو الأبهَرية أو الأوْرطيّة (٢) البطنية ، وعضو تسوكركندل (كما يلفظ بالألمانية)

(6) paraganglion cardiaque

(٦) نَظيرة العُقدة القَلبية

والعقُدة القَلبية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

9768 Paraglobuline, paraglopine, susbtance fibrinoplastique

٩٧٦٨ نَظير الكُريين ، شَبيه الكُرَوين مادة مُهَيْكِلة الليفين

وأرجح نَظير الكُرَيوين أو باراغلُوبولين ، جِبْلة اللّيف أو جِبلة الليفين كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤) ولا أرى مُهَيكِلةَ تدل على المعنى المطلوب (٥)

---

(١) (Luschka's gland or ganglion)

(٢) الصفحة ٤٨٥ من هذا المجلد .

(٣) (cardiac gland)

(٤) (paraglobulin fibrplastin fibrinoplastin)

(٥) في لسان العرب: جبلة الشيء طبيعته وأصله وما بُني عليه ، تما كل القوم تنازعوا والهَيكل الضخم من كل شيء .

9770 parakératose psoriasiform (Brock)

٩٧٧٠ نظير التقرن الصدفي الشكل (بروك)

وأفضل نظير التقرن الصدفاني

9771 Praraldéhyde

٩٧٧١ نظير الفوليد

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بارالدهيد

9772 Paralexie

٩٧٧٢ إستبدال التهجية

وأفضل القراءة المبدلة أو المشوهة ، لأن ما تعنيه اللفظة أن صاحبها يقرأ الكلمات والجمل المكتوبة قراءة سيئة باستبدالها بكلمات أو جمل لا معنى لها (١)

9774 paralysie agitante , maladie de Parkinson , parkinsonisme

٩٧٧٤ شلل راج أو هاز ، شلل إرتجاجي أو إهتزازي داء بركنسن بركنسنية

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة (٢) وأرجح في اللفظتين الأخيرتين داء بركِنسن و بَركِنسونية بكسر الكاف واستبدال الواو بالضمة .

9775 paralysie alterne ou dimidiée , syndrome de Millard Gübler , hémiplégie alterne croisée

٩٧٧٥ شلل متغاير أو مفلج ، تناذر ميلار غبلر ، فالج متغاير ، متصالب .

سبقت الملاحظة (٣) وترجيح شلل متقابل ، وأرى أن تكون

---

(١) لفظة (paralexia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman' s Medical Dictionaryl)

(٢) الصفحة ١١٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ١١٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

ترجمة (dimidiée) بالشلل المَشطور أو الشَطري(١) عوضاً عن الشِقي ، كما ذكرت (وقد ترجمت اللجنة اللفظة بالشلل المُفلَّج(٢)) كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر ترجمة (crossed paralysis) بشلَل مُصالِب ، وجاء في الشرح : وفيه يَحدث شَلَل في جانِب واحد من الوَجه ، وفي الجهة الأخرى من الجسم .

9786 Paralysie générale associée au tabes
٩٧٨٦ شلَلٌ عامٌ مُشارِكٌ للسُّهام
وأفضل شلَلٌ عام مع التّابس(٣) .

9788 paralysie ischémique consécutive à l'application de la bande d'Esmarch
٩٧٨٨ شلَلٌ بِفقر الدّم المَوضِعي ناجِم عن شد رِباط أسمرخ
وأفضل شلَل بنقص التّروية بشد وَثاق رِباط إسمرخ(٤)

---

(١) إن ماتعنيه لفظة (dimidiée) هي النِصفي (أي النسبة إلى النِصف) كما جاء في معجم لاروس الكبير ، وكان يصح أن تترجم بالشلَل النصفي لولا أنه قد أصطلح على إطلاق هذه اللفظه على (paraplégie) وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ايضاً . لذا فضّلتُ الشلَل المشطور أو الشطري عليها .

(٢) في لسان العرب : الفَلَج تباعُد مابين السّاقَين ، وفَلج الأسنان تباعد بينها إلى أن قال : ورَجلٌ مُفلَّج الثنايا متفرقها وهو خلاف المُتراص الأسنان ، وفي لسان العرب : الشطر نصف الشيء .

(٣) الصفحة ٩٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) سبقت الملاحظة على لفظة (ischémie) في الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة .

٩٧٩٠ شا 9790 paralysie musculaire pseudo - بي ضخامي مُوهِم
hypertrophique (Duchenne de Boulogne)
شلَلٌ عضلي (ولعله خطأ مطبعي) ضخامي كاذب [١] .

٩٧٩٧ نـ 9797 paralysie psychique سانى
و ستريائي كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي [٢]

٩٧٩٩ شلَلٌ باقٍ أو ثُمالي 9799 paralysie résiduelle (sans base organique, par habitude)
(بدون أساسٍ عضوي بالاعتياد)
وأفضل شلَلٌ مُتبقٍّ أو مُتخلِّف

٩٨٠٣ شلَلٌ تَشنُّجي أُسَري 9803 paralysie spasmodique familiale (Strümpell)
(سترومبل) شلَلٌ تشنُّجي أُسْري (شترومبل) كما يلفظ بالألمانية .

٩٨٠٤ شلَل شوكي 9804 paralysie spinale aigüe de l'adulte, paralysie antérieure aigüe de l'adulte
حادّ في الكَهل
شلَل أمامي حاد في الكهل
وأفضل شلل الكَهل الشوكي الحاد ، الشَلل الأمامي الحاد للكهل .

٩٨٠٨ شلل الحَفّاف 9808 paralysie du voile du palais
وكذلك الاعفليك [٣]

---

(١) اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ في الصفحة ٤٦٩ من الجـلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (psychic , hysterical paralysis) .

(٣) في لسان العرب : والاعفليكان لحتان تكتنفان اللهاة ، الحفّاف : اللحم الذي في أسفل الحنك إلى اللهاة .

٩٨٠٩ التهاب ماحَوْل الثّدي ، 9809 Paramastite phlegmon
ِفلْغْمُون ماحَوْل الثدي périmammaire
وأفضل إلْتهاب َجنيب الثّدي ، ِفلْغْمون َجنيب الثّدي .

٩٨١١ التهاب َحوْل 9811 Paramétrite , phlegmon juxta - utérin
الرّحْم ، ِفلْغْمون جاِنب الرّحم .
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، إلتهـاب َجنـيب الرّحم ، وجاء في الشرح : وهو التهـاب النسيج الضـام (الخلالي) على جانبي الرحم .

٩٨١٤ ِشبْه إرتجاج َعضَلي 9814 Paramyoclonie
وأقر مجمـع اللغة العربية في القاهرة َرْجف العضلات ترجمة لِـ (paramyoclonus) في ترجمـــة (paramyoclonus multiplex) إذ جاء في الشرح : إنقبـاضات َرجْفية تحدث في عضلات الجسم عدا الوجه .
وأرى ما ذهبت إليه اللجنة صحيحاً ، تاركاً الإرتجـــاف والرَجْـف ترجمة للفظة (myoclonus) .

٩٨١٧ َنظِير الإنسِلال 9817 Parapédése
والصحيح الإنفراغ بقَناة غير طبيعية [1]

٩٨١٩ ضيق القُلْفة الخَلْفي 9819 Paraphimosis
وأقر مجمع اللغـة العربية في القاهرة الجُلاع [2] ، وجاء في

(١) لفظة (parapedesis) في معجم ستدمان الطبي .
(٢) في المخصص : َجلَع ُ القُلْفَة إن تصير خلف الحُوق ، فإذا كان الغلام كذلكِ فهو أْجلَع ،

الشرح : وهو أن تنقلب القلفة خلف الحوق فتختنق الحَشَفَة .

٩٨٣٠ مُستَطفِل — 9830 Parasité , ée

وأرجح مُتَطوفِل أو مُلَوث بالطفيلي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1] .

٩٨٣٦ مُهلِكات الطُفيليات — 9836 Parasiticides

وأرجح مُبيدات الطفيليات على غرار مُبيدات الحَشَرات (insecticides) كما جاء في اللفظة (٧٣٤٠) .

٩٨٣٧ تطفل لَطْي ، مُلِظ — 9837 Parasitisme permanent

وأفضل تَطفل دائم أو مُستَمِر .

٩٨٣٩ داءٌ طُفَيْلي — 6839 Parasitose

وأرجح تَلوث طُفَيلي تاركاً داء طفيلي ترجمة لـ (maladie parasitaire)

٩٨٤١ نَظير الوِدّى ، — 9841 Parasympathique , système

جِهاز نظير الودّى — parasympathique

والجملة الجُمْجُمية العَجُزية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] .

٩٨٤٢ حاثّة مُلحَقات الدَّرَق — 9842 Parathormone , parathyrine

والصحيح هُرمون جَنيبات الغدة الدرقية ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وباراتيرين .

---

(١) (infested) .

(٢) (craniosacral system) .

9844 Parathyréoprive ٩٨٤٤ عوارض قصور جارات الدّرق
والصحيح عوارض قصور جنيبات الغدة الدرقية أو عوارض
الحرمان من هرمون جنيبات الدرقية .

9845 Parath)roïde ٩٨٤٥ جارة الدّرق
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الغدة جنيبة الدّرقية .

9846 Parathyroïdien , enne ٩٨٤٦ ذو علاقة بجارة الدّرق
وأرجح جنيبي الغدة الدّرقية أو جنيبي الدرقية .

9848 Parathyphoïde (fièvre) ٩٨٤٨ نظيرة التيفية (حُمّى)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة حمى الباراتيفوئيد وجاء
في الشرح : حمى تشبه الحُمّى التيفودية . وأرجح
نظيرة التيفية تعريباً .

9857 Paresthésie ٩٨٥٧ تشوّش الحسّ
وأرجح تشواش الحس ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة
إنحراف الحِس – باراثيزيا ، وجاء في التعريف : وهـو
إحساس تلقائي شاذ مثل الحرقة والتنمل والوخز .

9864 Parole indistincte , hésitante ٩٨٦٤ كلامٌ مُبْهَم ، مْتردد
وأرجح كلامٌ غامض ، مُترَدّد تاركاً لفظة مُبهَم
ترجمة لِ (vague) .

9965 parole en miroir ٩٨٦٥ إنقلابُ التّكلّم
وأرجح كلام مقلوب (١) .

---

(١) وماتعنيه اللفظة هو أن يتلفظ المصاب بهذا الخلل الكلامي ،الكلمات مقلوبة المقاطع (معجم ستدمان في لفظة speech) .

9867 Parosmie , hallucination de l'odorat ٩٨٦٧ ضَلالُ الشَّم ، هَلَس الشَّم

وأرجح ضَلال الشَّم ، وهُلاس الشَّم .

9868 Parotide (prolongement massétèrien de la -)

٩٨٦٨ النَّكَفة (استطالات) الماضِغة

وأفضل النَّكْفة (استطالات الماضغة في) ولعله خطأ مطبعي .

9869 Parovaire ٩٨٦٩ مَبيضٌ جانِبي

والصحيح مَبيض بَدئي ، لأن ما تعنيه اللفظة هو عضو صَغير حُبَيبي وأصفر كائن في سماك الرباط العريض ، أكثر ما يصادفُ في الجنين والطفل ولا يصادف في الكهل ، وهو يمثل الجزء السفلي لجسم وولف (Wolff)[٢] .

9872 Particularité ٩٨٧٢ خاصَّة ، خُصُوصيَّة

وَمِيْزة أيضاً .

9881 Partigène , antigène partiel ٩٨٨١ مُوَلِّدَة ضِدٌ قِسْمِيَّة أو جُزْئِيَّة

مُوَلِّد المُضاد (كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة) الجزئي وقد سبق للجنة أن ترجمت لفظة (antigène) بمكوِّنة الضد .

(١) لفظة (parovarium) في معجم لاروس الكبير الموسوعي — (Grand Larousse Encyclopédique)

(٢) الصفحة ٧٢ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٩٨٨٣ مُرور (passage animal d'un virus) 9882 Passage
عُبور ، مُرور ، إنتقال (لاسيا في الجملة الأخيرة)

٩٨٨٤ مرور قطيلةٍ غزّي 9884 passage d'un tempon de
في القناة الجامعة gaze par le cholédoque
وأرجح عُبور قطيلة غزي في القناة الجامعة .

٩٨٨٧ إجتازَ الأطرُوحةَ أو دافع 6887 Passer ou soutenir
عن الأطرُوحة la thèse
وأفضل نَجَح في الأطروحة أو قُبِلَتْ أطرُوحَتُه أو دافع عنها .

٩٨٩٣ قُرْصة ، قُرَيصة 9893 Pastille
وأرجح مَصيص مُحلّىً أو مَصيص .
وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (gâteau) بقُرْص حلوى
(اللفظة ٦٢٠٠) وكذلك (disque) بقُرص (اللفظة ٤٣٢٧) .

٩٨٩٤ قُرصة أو حَبَّة للتغريز 9894 pastille ou comprimé
pour implantation (pellet)
وأرجح قُرَيْص أو مَضْغوطة للغَرْس . وسبق للجنة أن استعملت لفظة حَبَّة ترجمة لـ (pilule)
(اللفظة ١٠٣٢٠) .

٩٨٩٧ مَعْجُونُ جَموش أو جَميش 9897 pâte dépilatoire
وكذلك مَعجون النُّورة (١) .

---

(١) في لسان العرب : والنُّورة من الحَجَر الذي يُحرق ويُسوّى منه الكِلْس ويحلق به شَعر العانة ، إلى أن قال : وقد إنتار الرَّجلُ وتنوّر تَطلّى بالنُّورة .

٩٨٩٨ مَعجُونٌ بالماء — 9898 pâte à l'eau

وأرجح معجون مائيّ .

٩٩٠٠ مَعجُون هُلاميني ، غراء (معجون) — 9900 pâte gélatineuse , colle de pâte

وأفضل مَعجُونٌ هُلامي ومعجون شِبه المُجْمد أو غَرَواني ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي ، وكما سبقت الملاحظة عليه (٢) .

٩٩٠١ مَعجونٌ دَسِم — 9901 pâte grasse

أو معجون دُهني أيضاً .

٩٩٠٢ مَعجُون السُّوس — 9902 pâte de réglisse

وأفضل مَعجُون عِرق السُّوس إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة سُوس ترجمة لـ carié (اللفظة ٢١٦٥) التي سبقت الملاحظة عليها (٣) .

٩٩٠٤ أبوَي و (أو) أميّ ، أبوان — 9904 Paternel et maternel , elle des parents

وأفضل أبوي أو والدي كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي (٤) لأن المقصود من اللفظة نسبة إلى الأبوين كليهما أو أحدهما .

---

(١) (gelatinous jelly - like or colloidal paste) .
الصفحة ٨٤٦ من المجلد الأربعين من هذه المجله .

(٢) الصفحة ٧٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (parental) في الانكليزية و (elterlich) في الألمانية .

٩٩٠٥ مَعاجينُ غِذائيَّة — 9905 Pâtes alimentaires

وأرجح مُعجَّنات غِذائية وإِطْرية (١) ومَعكَرونَة وشُعَيرية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

٩٩١٠ وَسْمُ مَرَضٍ — 9910 Pathognomonie

٩٩١١ واسِم مَرَضٍ — 9911 Pathognomonique

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الثانية بمُتَمَيِّز مَرَضي وتكون الأولى تَمَيُّزٌ مرضي .

٩٩١٥ مَبحَثُ السَّريريات — 9915 Pathologie clinique

وأفضل علم الأمراض السريري .

٩٩١٦ عِلمُ الأمراض المُقابَلة — 9916 pathologie comparée

وأفضل عِلمُ الأمراض المُقارَن .

٩٩١٧ علم الأمراض التجريبية — 9917 pathologie expérimentale

وأفضل عِلم الأمراض الإختباري .

٩٢٢٦ مُعجَّنات ، فُرْنيّات — 9926 Pâtisserie

وأرى أن يكتفى بمعجَّنات أو حلَويات ، وأن تترك فُرنيّات ترجمة للفظة (petits fours) الشائعة .

---

(١) الإطرية شاع استعمالها وإن كانت لاتدل بدقة على المعنى المطلوب ، فقد جاء في لسان العرب : والإطرية بكسر الهمزة مثل الهِبرِية ، ضرب من الطعام ، ويقال له بالفارسية لاخشه قال شمر : شيء يعمل مثل الدشتاستج المُتَلبِّقة .

(٢) (italian dishes , macaroni , moodles vermicelli) .

٩٩٢٨ كُفُوفٌ لإستعمال المِنْظار الغَلفاني — 9928 pattes galvanoscopiques

وما يُعنى بهـــذه اللفظة المُحَضَّر العَضَلي العَصَبي الذي أجرى العالم غلفاني (Galvani) تجاربه فيه ، وأدى إلى اكتشاف نَقَل التيّار الكهربائي بالعَصَب الوركي للضفدع وتقلص عَضَلات رِجْلها ، بعد مُضي مـــدة قصيرة على ذبحها ، إثر لمس العصب بقضيب معدني أو نحوه .

كما أن (galvonoscopique) هي نســـبة إلى (galvanoscope) وهو مرادف لِ (galvanométre) أي المِقياس الغلفاني[١] لا المنظار الغَلواني .

فالصحيح في ترجمة اللفظة هي الأرجل الكاشفة للتيـــار الغلواني أو المُحَضَّر العضلي العَصَبي لكشف التيار الكهربائي ، أو ضفدع كشف التيار الكهربائي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] .

٩٩٢٩ كَلأ ، عَلَف — 9929 Pâture

وأرجح عَلَف تاركاً لفظةً كلأ ترجمة لـ (foin)[٣] .

٩٩٣٣ كِفافُ أو صَوان الأذُن ، أذَيْنيه — 9933 pavillon de l oreille, auricule

(للبحث صلة)

(١) (galvanoseope) في معجـــم كييه (Quillet dic - tionnaire encyclopédique)

(٢) (rheoscopic nerve - muscle preparation rhsoscopic frog)

(٣) الصفحة ٦٢٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

بين ابن سينا وابن رشد

الدكتور جميل صليبا

١ ـ مقدمة عامة

بين يدي كتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، وكتاب « تهافت التهافت » لابن رشد ، وكتب أخرى تذكر هذين الفيلسوفين كنت أقرؤها لأني كنت أريد أن أعدّ محاضرة في فلسفة الغزالي ألقيها على طلاب الجامعة . ولكن ناحيـة انتقادية جديدة كشفت عنها في كتب ابن رشد صرفتني عن التحـدث عن الغزالي . وهذه الناحيـة هي تحديد موقف ابن رشـد إزاء فلسفة ابن سينا .

نحن نعلم أن ابن رشد كان يتهم الغزالي بالقصور في علمه (تهافت التهافت ٦٧) وبالتمويه في أقاويله الجدلية ، وأنه كان ينتقده لاعتماده في نقـد الفلسفة اليونانية على ما جاء في كتب ابن سينا دون غيره ، وينتقده كذلك في مسائل أخرى كثيرة لا أريد الآن أن أتحدث عنها .

وليس الغريب في هذا النقد أن يتضمّن ردود ابن رشد على اعتراضات الغزالي ، ولكن الغريب فيه أن يشتمل في الوقت نفسه على تفنيد دقيق لبعض آراء ابن سينا . فالغزالي لم ينظر إلاّ في كتب ابن سينا فلحقه القصور في الحكمة من هذه الجهة (تهافت التهـافت ٦٧) ، لقد تجرّد للردّ على ابن سينا ، فتوهم أنه ردّ على جميع الفلاسفة ، ونقل في كتاب « تهافت الفلاسفة » مذهب ابن سينا على غير وجهه ، فوقع فيما وقع فيه من التخبط ، فما بالك إذا كان أصحاب ابن سينا قد تأوّلوا عليه كثيراً من الآراء التي لم يصرح بها قط ؟

لقد كان ابن رشد يشعر بابتعاد ابن سينا والفارابي عن طريقة المشائين ،

ويرى أنه لولا ابتعاد هذين الفيلسوفين عن المعلم الأول لما استطاع الغزالي أن يردّ عليهما ، وفي كتب ابن رشد ، ولا سيما في كتاب « تهافت التهافت » وكتاب « ما بعد الطبيعة » وكتاب « تفسير ما بعد الطبيعة » مواضع كثيرة يرد فيها ذكر ابن سينا في سياق الكلام على الغزالي أو في تفسير كلام أرسطو مثال ذلك أن ابن رشد ينتقد رأي ابن سينا في الرؤيا والوحي بقوله : « لا أعلم أحداً قال به من القدماء إلاّ ابن سينا » (تهافت التهافت ١٢٢) ، أو قوله : وهذا « شيء تفرد به ابن سينا وآراء القدماء في ذلك غير هذا الرأي » (تهافت التهافت ١١٩) . ومثال ذلك أيضاً أنه ينتقد رأي ابن سينا في النفس بقوله : « لا أعلم أن أحداً من الحكماء قال إن النفس حادثة حدوثاً حقيقاً ، ثم قال إنها باقية إلا ما حكاه ابن سينا » (تهافت التهافت ٣٣) ، ومثال ذلك أخيراً أنه ينتقد نظرية الفيض بقوله : « وأما ما حكاه ابن سينا ، من صدور هذه المبادىء بعضها عن بعض فهو شيء لا يعرفه القوم ، وإنما الذي عندهم أن لها من المبدأ الأول مقامات معلومة لا يتم لها وجود إلا بذلك المقام منه » (تهافت التهافت ٤٩) أو ينتقدها بقوله : إن في هذه النظرية تناقضاً « خفي على أبي نصر وابن سينا لأنهما أول من قال هذه الخرافات ، فقلدهما الناس ونسبوا هذا القول إلى الفلاسفة » (تهافت التهافت ٦٥) . وفي قول ابن رشد أن الفلاسفة من أهل الإسلام كأبي نصر وابن سينا عسر عليهم فهم صدور الكثرة عن المبدأ الأول (تهافت التهافت ٤٨) ، وقوله : ان ابن سينا لم يدرك ان اسم الموجود يدلّ على ذات الشيء لا على عرض في الشيء ، وفي أقوال أخرى غير هذين القولين دليل على أن الميزان الذي كان ابن رشد يزن به أقوال ابن سينا هو الميزان الآرسطي ، فلا غرو إذا لام ابن سينا على خلافه لأرسطو بقوله : « هذا شأن هذا الرجل في كثير مما يأتي به من عند نفسه » (كتاب ما بعد الطبيعة ، ص ٦) .

واست أريد الآن أن أذكر جميع المسائل التي أتى بها ابن سينا من عند نفسه ، أو أذعن فيها لآراء المتكلمين ، أو خالف فيها مع الفارابي آراء أرسطو ، ولكني أريد أن أقول في ابن سينا ما قاله ابن سبعين ، وهو أن أكثر كتبه مؤلفة ومستنبطة من كتب أفلاطون ، فلا غرو إذا تضمّنت مسائل مخالفة لآراء أرسطو ، ولا عجب أن يتصدّى ابن رشد لنقدها ، وهو الفيلسوف المفتون بأرسطو والمعظم له .

ويبدو لي مع ذلك أن ابن رشد كان ناقداً منصفاً ، فكان موقفه إزاء الغزالي وابن سينا أشبه شيء بموقف أرسطو إزاء الذين كانوا لا يرون مثل رأيه ، والدليل على ذلك قوله :

« وأمّا قوله : (يعني الغزالي) إن قصده هاهنا ليس هو معرفة الحق ، وإنما قصده إبطال أقاويلهم (يعني الفلاسفة) وإظهار دعاويهم الباطلة ، فقصد لا يليق به ، بل بالذين في غاية الشر ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ، ومعظم ما استفاد هذا الرجل من النباهة ، وفاق الناس فيما وضع من الكتب إنما استفاده من كتب الفلاسفة ومن تعاليمهم ، (وهبهم) أخطأوا في شيء ، فليس من الواجب أن ينكر فضلهم في النظر وما راضوا به عقولنا ، ولو لم يكن لهم إلا صناعة المنطق لكان واجباً عليه وعلى جميع من عرف مقدار هذه الصناعة شكرهم عليها . وهو معترف بهذا المعنى وداع إليه ، وقد وضع فيها التآليف ، ويقول : « إنه لا سبيل إلى أن يعلم أحد الحق الا من هذه الصناعة . وقد بلغ الغلو فيها إلى أن استخرجها من كتاب الله تعالى ، أفيجوز لمن استفاد من كتبهم وتعاليمهم مقدار ما استفاد هو منها حتى فاق أهل زمانه ، وعظم في ملة الإسلام صيته وذكره أن يقول فيهم هـذا القول ، وأن يصرح بذمهم على الإطلاق ، وذم علومهم ؟ وإن وصفنا أنهم يخطئون في أشياء من العلوم الإلهية (يعني ابن سينا) فإنا

إنما نحتج على خطئهم من القوانين التي علمونا إياها في علومهم المنطقية ، ونقطع أنهم لا يلزموننا (على) التوقف على خطأ إن كان في آرائهم ، فإن قصدهم ، إنما هو معرفة الحق ، ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد لكان ذلك كافياً في مدحهم ، مع أنه لم يقلْ أحد من الناس في العلوم الإلهية قولاً يعتدّ به ، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان ، وهم الأنبياء ، فلا أدري ما حمل هذا الرجل على مثل هذه الأقاويل ، أسأل الله العصمة والمغفرة من الزلل في القول والعمل » (تهافت التهافت ٨٨) .

ففي هذا النص كما ترون إشارة إلى ما يريد ابن رشد أن يتقيد به من العدل والإنصاف في الحكم والاعتدال في النقد ، والاعتراف بفضل الفلاسفة السابقين وإن أخطأوا في بعض آرائهم .

ولسنا نريد الآن أن نبحث في اعتراضات الغزالي على الفلاسفة ولا في ردود ابن رشد على هذه الاعتراضات ، ولكننا نريد أن نقصر كلامنا على النظر في ثلاث مسائل كانت موضع خلاف عميق بين ابن رشد وابن سينا ، وهي:

١ – مسألة المبدأ الأول هل يتم إثباته في علم الطبيعة أم في علم ما بعد الطبيعة .

٢ – مسألة اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر؟

٣ – مسألة اسم الموجود هل يدل على الذات أم على صفة زائدة على الذات .

أما المسائل الخلافية الأخرى فسنعود إلى الكلام عليها في مقالاتنا القادمة .

٢ – المسألة الأولى

موضع إثبات المبدأ الأول

موضوع علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد هو : « النظر في الموجود

بما هو موجود ، وفي جميع أنواعه إلى أن ينتهي الى موضوعات الصنائع الجزئية ، وفي اللواحق الذاتية له ، وترقية جميع ذلك إلى جميع أسبابه الأول » (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ص ٣) . وموضوعه عند ابن سينا هو « البحث عن الموجود المطلق ، وينتهي في التفصيل إلى حيث تبتدىء منه سائر العلوم ، فيكون في هذا العلم بيان مبادىء سائر العلوم الجزئية » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٣٢٢) ، فموضوع هذا العلم لا يختلف عند ابن رشد عما هو عليه عند ابن سينا إلا في أمر واحد ، وهو أن ابن رشد يقول إن علم ما بعد الطبيعة المسمّى بالفلسفة الأولى يسلم بوجود المبدأ الأول عن العلم الطبيعي ، على حين أن ابن سينا يقول إن البحث في وجود المبادىء المفارقة ليس من موضوعات العلم الطبيعي ، وإنما هو من الموضوعات الخاصة بعلم ما بعد الطبيعة ، قال : « إن كل واحد من علوم الطبيعيات وعلوم الرياضيات فإنما يفحص عن حال بعض الموجودات ، وكذلك سائر العلوم الجزئية ، وليس لشيء منها النظر في أحوال الموجود المطلق ولواحقه ومبادئه » ، (النجاة ، ص ٣٢٢) ، ومعنى ذلك أن إثبات المبدأ الأول عند ابن سينا من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وأن العلم الطبيعي إذا بحث في إثبات المحرك الأول أو المبدأ الأول كان بحثه فيه فضلاً وزيادة .

وفي الحق أن موقف ابن رشد إزاء هذه القضية أقرب إلى رأي أرسطو من موقف ابن سينا ، لأن المعلم الأول قد أثبت وجود المبدأ الأول في المقالة الثامنة من العلم الطبيعي ، ولم يعد هذا الإثبات فضلاً في هـذا العلم ، ولما عاد الى ذكر المحرك الأول في علم ما بعد الطبيعة أضاف إليه ذكر العلة الصورية ، والعلة الغائية ، وأخرج براهينه الواردة في الطبيعيات مخرجاً أعم ، ولولا ذلك لما احتاج إلى إعادة ذكره .

لقد كان ابن رشد مفسّراً بارعاً ، ففهم رأي أرسطو فهماً دقيقاً ، وعبّر عنه تعبيراً واضحاً . أمّا ابن سينا فلم يكن مفسراً ولا مقلداً ، بل كان يأخذ برأي نفسه ويبتعد عن أرسطو في مسائل كثيرة ، حتى لقد قال (ابن سبعين) فيه : إنه كان كثير التخبط ، مخالفاً للحكم .

ولعلنا إذا قلنا مع ابن سينا إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وإن ذكره في العلم الطبيعي فضل وزيادة ، نستطيع أن نجل موضوعات هذين العلمين مستقلة بعضها عن بعض على وجه أتم وأوفى . فالعلم الطبيعي علم وضعي يبحث في ظواهر الطبيعة لا في المباديء المفارقة . وهذا أقرب إلى الصواب من قول بعضهم إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات العلم الطبيعي .

٣ ـ المسألة الثانية

اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر

الواحد هو الموجود من جهة ما هو متميز عن غيره ، وغير منقسم ، وهو كما قال أرسطو ينحصر في أربعة أنواع : (تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ١/١٢٤١) .

الأول : هو المتصل بالطبع .

والثاني : هو الكل والتام ، وهو الشخص الواحد من أشخاص الموجودات الطبيعية .

والثالث : هو البسيط في جنس جنس من أجناس المقولات العشر .

والرابع : هو الواحد بالصورة ، وهو المعنى الكلي .

وقد بين ابن سينا أن الواحد يقال لما هو غير منقسم ، وهو على أنواع : فإن كان لا ينقسم في الجنس كان **واحداً في الجنس** ، وإن كان لا ينقسم

في النوع كان **واحداً بالنوع** ، وإن كان لا ينقسم بالعرض العام كان **واحداً بالعرض** ، وإن كان لا ينقسم بالمناسبة كان **واحداً في المناسبة** ، كقولنا : إن نسبة الملك إلى المدنية والعقل الى النفس واحدة ، وإن كان لا ينقسم في الموضوع كان **واحداً في الموضوع** ، وإن كان لا ينقسم بالحد كان **واحداً بالكلمة** . (ابن سينا ، النجاة ٣٦٤ - ٣٦٥)

والواحد عند ابن سينا قد يكون فيه بوجه من الوجوه كثرة بالفعل أو بالقوة ، فإن كان فيه كثرة بالفعل كان واحداً بالتركيب والاجتماع ، وإن كان فيه كثرة بالقوة كان واحداً بالاتصال ، وإن لم يكن فيه كثرة لا بالفعل ولا بالقوة كان واحداً بالعدد على الإطلاق ، وأقل العدد عنده اثنان ، والاتحاد في الكيفية مشابهة ، وفي الكمية مساواة ، وفي الجنس مجانسة ، وفي النوع مشاكلة ، وفي وضع الأجزاء موازاة ، وفي الأطراف مطابقة.

أما ابن رشد فإنه يبين أن الواحد يطلق على الأسماء المشككة ، وهي الأسماء الموضوعة لأمر عام مشترك بين الأفراد لا على السواء ، بل على التفاوت . ومن أنواع الواحد عنده الواحد بالعدد ، ويطلق على المتصل كقولنا خط واحد وسطح واحد وجسم واحد ، وأحق الأشياء باسم الواحد المتصل التام الذي لا يكون فيه زيادة ولا نقص كالخط المستدير . والمتصل قد يكون متصلاً بالوهم مثل الخط والسطح ، وقد يكون متصلاً بالوجود مثل الأجسام المتشابهة الأجزاء . وكما يطلق الواحد على المتصل التام ، فكذلك يطلق على الأشياء المرتبطة والمماسة بالطبيعة كاليد الواحدة والرجل الواحدة ، أو على الأشياء المرتبطة بالصناعة كالكرسي الواحد والخزانة الواحدة .

قال ابن رشد : « فهذه هي أشهر المعاني التي يقال عليها الواحد بالعدد ، وهو بالجملة إنما يدل به الجمهور على هذه الأشياء من حيث هي منحازة عن غيرها ، ومنفردة بذاتها ، إذ ليس يتصور في بادىء الرأي من

معنى الواحد غير هذه ، ولذلك قيل في حد الوحدة العددية إنها التي بها يقال في شيء شيء إنه واحد . فمن هذه الأشياء ما هي منحازة بأماكنها التي تحويها ، وهو أشهر الانحيازات ، ومنها ما هي منحازة بنهاياتها فقط ، وهي المتماسة ، ومنها ما انحيازها في الوهم فقط ، وبهذه الجهة تلحق العدد المتصل ، وإذا كان هذا هكذا فالواحد بالعدد في هذه الأشياء إنما يدل منها على أمور هي خارجة عن ذاتها ، وبالجملة على أعراض لاحقة لها ، ومن هذه الجهة يكون داخلاً من بين المقولات العشر في جنس الكم ، ويكون الواحد عرضاً ، إذ كان العدد إنما هو جماعة الآحاد التي بهذه الصفة » (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ١٠)

وليس في هذه الأقوال التي قدمناها شيء يدل على اختلاف حقيقي بين ابن رشد وابن سينا ، فإن هذين الفيلسوفين يتفقان في الأشياء التي يطلق عليها اسم الواحد ، ان كلاً منهما يطلق هذا الاسم على كل ما هو متميز عن غيره ، وغير منقسم ، يطلقه على مبدأ العدد وعلى المتصل الذي لا ينقسم كما يطلقه على الجواهر المفارقة ، والواحد عندهما مرادف للموجود ، لأن كل ما هو موجود فهو واحد ، وكل ما هو واحد فهو موجود ، (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ٣١١/١ - ٣١٢) وبالأحرى كل ما يصح عليه قولنا إنه موجود يصح أن يقال له واحد ، « حتى إن الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد قد يقال لها كثرة واحدة » . (ابن سينا ، النجاة ٣٢٣)

ولكن معنى الواحد الذي يختلفان فيه أعمق من معانيه التي يتفقان فيها ، فابن سينا يرى أن طبيعة الواحد طبيعة عرضية لأنه لا يدل على الجوهر بل على عرض في الجوهر ، على حين أن ابن رشد يرى أن اسم الواحد يدل على ذات الشيء وماهيته ، لأنه مرادف لاسم الموجود ، فإن كان الواحد عرضاً في الجوهر كما يقول ابن سينا كان لازماً للذات لامقوماً

لها ، وإن كان مرادفاً لذات الشيء وماهيته ، كما يقول ابن رشد ، كان مقوماً للذات وغير خارج عنها .

قال ابن سينا : « إن الوحدة من لوازم الماهيات لا من مقوماتها ، لكن طبيعة الواحد من الأعراض اللازمة للأشياء ، وليس الواحد مقوماً لماهية شيء من الأشياء ، بل تكون الماهية شيئاً ، إما إنساناً ، وإما فرساً أو عقلاً أو نفساً ، ثم يكون ذلك موصوفاً بأنه واحد وموجود ... فالواحدية ليست ذات شيء منها ، ولا هي مقومة لذاته بل صفة لازمة لذاته» (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤٠) . وقال أيضاً : « فلو كانت طبيعة الوحدة طبيعة الجوهر لكان لا يوصف بها إلاّ الجوهر ، وليس يجب إن كانت طبيعتها طبيعة العرض أن لا توصف بها الجواهر ، لأن الجواهر توصف بالأعراض ، وأما الأعراض فلا تحمل عليها الجواهر حتى يشتق لها منها الاسم » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤١) ومعنى ذلك أن طبيعة الواحد عند ابن سينا طبيعة عرضية ، وكذلك طبيعة العدد الذي يتبع الوحدة ، ويتركب منها ، فالوحدة غير ذاتية للجواهر ، بل لازمة لها ، وهي معاقبة للكثرة في المادة ، ومقولة على الأعراض .

وهذا الذي ذهب إليه ابن سينا مخالف في نظر ابن رشد لآراء أرسطو ، لأن الواحد عند ابن رشد يدل من الشيء الموصوف به على طبيعته ، لا على أمر زائد عليه قال ابن رشد : « مما يدل على أن الواحد ليس يقال على شيء زائد على الموصوف به أن جوهر كل واحد من الأشياء هو واحد بالذات لا لأمر زائد عليه ، وذلك أنه لو كان الشيء واحداً بأمر زائد على ذاته كما يذهب لذلك ابن سينا لم يكن شيء من الأشياء واحداً بذاته وجوهره بل بشيء زائد على جوهره ، وذلك الشيء الذي صار به واحداً ، إن قيل فيه إنما صار واحداً بمعنى زائد

على ذاته ، فقد سئل أيضاً في ذلك الشيء الذي به صار واحداً بماذا صار واحداً ، فإن كان ذلك الأمر بمعنى زائد عليه ، عاد السؤال فيه ، ومرّ الأمر إلى غير نهاية » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ٣١٤/١ - ٣٥١) والسبب في اعتقاد ابن سينا أن الواحد صفة لازمة للماهية لا صفة مقومة لها أنه « أشكل عليه الفرق بين اسم الواحد الذي هو مبدأ العدد . . . وبين اسم الواحد المرادف لاسم الموجود » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، ١٢٦٧/٣) ولذلك قال ابن رشد إن ابن سينا غلط في هذا غلطاً كثيراً فظن أن الواحد والموجود يدلان على صفات زائدة على ذات الشيء ، قال : « والعجب من هذا الرجل كيف غلط هذا الغلط وهو يسمع المتكلمين من الأشعرية الذين مزج علمه الإلهي بكلامهم يقولون إن من الصفات ما هي صفات معنوية ، ومنها ما هي صفات نفسية ، ويقولون إن الواحد والموجود هما راجعان إلى الذات الموصوفة بها » لا إلى صفات دالّة على أمر زائد على الذات (ابن رشد تفسير ما بعد الطبيعة ٣١٣/١) ، وقال أيضاً : « لقد احتجّ هذا الرجل لمذهبه بأن قال إنه لو كان الواحد والموجود يدلان على معنى واحد لكان قولنا الموجود واحد بمنزلة قولنا الموجود موجود ، والواحد واحد ، وهذا إنما كان يلزم لو قيل أن قولنا في الشيء الواحد إنما هو موجود وواحد يدلاّن على معنى واحد من جهة واحدة ونحو واحد » (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٣) . ولكن الموجود والواحد إنما « يدلان من الذات الواحدة على أنحاء مختلفة ، لا على صفات مختلفة زائدة عليها » (ابن رشد المصدر نفسه ٣١٣) . فابن سينا لم يفرق بين الصفات الدالة على الذات والصفات الزائدة على الذات . وسبب غلطه كما يقول ابن رشد ، « أنه وجد اسم الواحد من الأسماء المشتقة ، وهذه الأسماء تدل على عرض وجوهر . . وأنه ظن أن اسم الواحد يدل على معنى في الشيء عادم للانقسام ؛ وأن ذلك المعنى

غير المعنى الذي هو طبيعة .. وأنه ظن أن هذا الواحد المقول على جميع المقولات هو الواحد الذي هو مبدأ العدد ، والعدد عرض فاعتقد أن اسم الواحد يدل من الموجودات على عرض » (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٤).

وجملة القول أن غلط ابن سينا يرجع في نظر ابن رشد إلى أمرين :

١ — أحدهما أنه اعتقد أن الواحد الذي هو مبدأ العدد هو الواحد المرادف لاسم الموجود ، فإن كان الأول عرضاً وجب أن يكون الثاني عرضاً مثله ، لأنه مرادف له .

٢ — والآخر أنه التبس عليه اسم الموجود الذي يدل على الجنس ، والذي يدل على الصادق ، فإن الذي يدل على الصادق عرض ، والذي يدل على الجنس يدل على كل مقولة من المقولات العشر دلالة تناسب الهوية .

إن الواحد يقال على أنحاء مختلفة ، وحدُّه كما قال أرسطو أنه مبدأ العدد لا أنه عدد ، وهو في غير هيولى ، وقولنا كل ما هو موجود واحد ينعكس مثل قولنا كل ما هو واحد موجود ، فالواحد مرادف الموجود ، وهو يقابل الكثرة كما يقابل العدم الملكة .

ثم إن تصور الواحد بديهي ، ومعناه سلبي ، وهو نفي الانقسام عنه ، فإن كان صفة دل على الواحد بالعدد ، أو على الفرد من جهة ما هو جزء من كل ، أي من كثيرين بالعدد ، أو على الأحد الذي لا نظير له في ذاته ، أو على الكثير من جهة ما هو ذو وحدة متماسكة فيكون واحداً بالتركيب . وإن كان اسماً دلَّ على أول الأعداد ، أو على مبدأ الوجود أو الفكر ، والواحد بهذا المعنى الأخير هو المطلق الحقيقي . قال الفارابي : « يقال لكلِّ موجود واحد من جهة ما هو موجود بالوجود الذي يخصّه ، وهذا المعنى من معاني الواحد يساوق الموجود الأول ، فالأول أيضاً بهذا الوجه واحد ، وأحق من كل واحد سواه باسم الواحد ومعناه» (المدينة

الفاضلة ، ٣٠) ، وقال ابن رشد : « إن اسم الواحد والموجود يدلاّن على ذات واحدة ، وإنما يختلفان بالجهة » (تفسير ما بعد الطبيعة ١٢٨١/٣) .

والواحد عند ابن سينا لا يصدر عنه إلاّ واحد لأنه بسيط ، قال في كتاب النجاة : « إن الواحد من حيث هو واحد إنما يوجد عنه واحدٌ» (النجاة ، ٤٥٣) وقال في كتاب الإشارات : « الأول ليس فيه حيثيات لوحدانيته ، فيلزم كما علمت أن لا يكون مبدأً إلاّ لواحد بسيط » ، وهو العقل الأول . ومعنى ذلك أن الأول واحد من جميع الوجوه ، فإذا صدر عنه موجود غيره وجب أن يكون هذا الموجود واحداً . مثال ذلك أن واجب الوجود في مذهب ابن سينا لا يبدع إلا العقل الأول ، لأنه واحد ، ولأنه لا يصدر عن الواحد إلاّ واحد ، وهذا شبيه بقول (أفلوطين) في التساعيات إن الواحد ، وهو الأقنوم الأول ، لا يصدر عنه إلا أقنوم ثان وهو العقل ، فالواحد غير معين ، أما الأقنوم الثاني فهو عقل وموجود ومعقول معاً . فابن سينا يعدّ هذا المبدأ ركناً من أركان الفيض على حين أن ابن رشد يعدّه سبباً من أسباب الوهم ، لأنه ليس هنالك في نظره صدور ولا لزوم ولا فعل حتى تقول إن الفعل الواحد يلزم أن يكون عن فاعل واحد .

وها هنا سؤال لا بدّ من الإجابة عنه ، وهو قولنا : إذا كان الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد فمن أين جاءت الكثرة ؟ إن قولنا : إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد يناقض قولنا إن الذي صدر عن الواحد الأول شيء فيه كثرة ، وإذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول ترجع إلى كونه يعقل ذاته ويعقل الأول قال ابن رشد إن ذلك يوجب أن تكون ذات العقل الأول مركبة من طبيعتين ، فأي هاتين الطبيعتين هي الصادرة عن المبدأ الأول ، وأيها هي الغير الصادرة ، إنا لا نستطيع أن نتخلص من هذا الإشكال إلا إذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول كل واحد منها أول ، وهذا يسوقنا إلى القول بتعدد المبادىء .

ولكن الفلاسفة القدماء يجيبون عن سؤالنا : من أين جاءت الكثرة بواحد من الأجوبة التالية ، أحدها قول بعضهم إن الكثرة جاءت من الهيولى ، والثاني قول بعضهم إنها جاءت من الآلات ، والثالث قول من قال إنها جاءت من قبل الوسائط والذي جرى عليه ابن رشد في تعليل حدوث الكثرة إرجاعها إلى الأسباب الثلاثة أي إلى المتوسطات والآلات والاستعدادات ، وهذه كلها تستند إلى الواحد وترجع إليه .

وصفوة القول إن الواحد عند ابن رشد يدلّ على الجوهر تارة وعلى العرض أخرى ، أما عند ابن سينا فهو لا يدلّ إلا على عرض في الجوهر ، وما كان عرضاً كان زائداً على الذات لا مقوماً لها . وسيتضح لنا ذلك عند الكلام على اسم الموجود في الفقرة التالية .

٤ ـ المسألة الثالثة

هل يدل اسم الموجود على الذات أم على صفة زائدة على الذات ؟

الموجود هو الثابت في الذهن أو في الخارج ، وهو من المعاني الأولية أو البديهية التي يصعب تعريفها . قال ابن سينا : « إن الموجود لا يمكن أن يشرح بغير الاسم لأنه مبدأ أول لكل شرح . فلا شرح له ، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء » (النجاة ٣٢٥) . وقال ابن رشد: « إن اسم الموجود واسم الهوية يدل كل واحد منها على مقولة الجوهر ، وعلى سائر أعراض الجوهر التي هي المقولات التسع » (تفسير مابعد الطبيعة ٧٤٧/٢) ، وقال أيضاً : « ولكن هذا الاسم إنما يدل أولاً وباطلاق وتقديم على مقولة الجوهر » (المصدر نفسه ٧٤٧/٢) .

ونحن نلاحظ أولاً أن الموجود يقال عند ابن رشد على أنحاء مختلفة (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ٥ ـ ٦) .

١ – فهو يطلق على كل مقولة من المقولات العشر .

٢ – وهو من أنواع الأسماء التي تقال بترتيب وتناسب لا التي تقال باشتراك محض ، ولا بتواطؤ .

٣ – وهو يقال على الصادق ، وهو الذي في الذهن على ما هو عليه خارج الذهن .

٤ – وهو يقال على ما له ماهية وذات خارج النفس سواء تصورت تلك الذات أو لم تتصور .

٥ – وقد يدل بلفظ الموجود على النسبة التي تربط المحمول بالموضوع في الذهن ، وعلى الألفاظ الدالة على هذه النسبة سواء كان ذلك الارتباط ارتباط إيجاب أو سلب ، صادقاً كان أو كاذباً ، بالذات أو بالعرض .

وها هنا مسألتان كانتا سبب اختلاف شديد بين ابن سينا وابن رشد ، الأولى مسألة انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب ، والثانية مسألة الماهية والوجود .

١ – الواجب والممكن :

يقول ابن سينا : « إن الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال ، وإن الممكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . والواجب الوجود هو الضروري الوجود ، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه ، أي لا في وجوده ولا في عدمه » (النجاة ٣٦٦) . ثم يقول : « إن الواجب الوجود قد يكون واجباً بذاته ، وقد لا يكون بذاته . أما الذي هو واجب الوجود بذاته فهو الذي لذاته لا لشيء آخر ... وأما الواجب الوجود لا بذاته ، فهو الذي لو وضع شيء مما ليس هو صار واجب الوجود » (النجاة ٣٦٦) ، مثال ذلك : « إن الأربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن

عند فرض اثنين واثنتين ، والاحتراق واجب الوجود لا بذاته ولكن عند فرض التقاء القوة الفاعلة بالطبع والقوة المنفعلة بالطبع ، أعني المحرقة والمحترقة » ، ثم يضيف إلى ما تقدّم قوله : « ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معاً » (النجاة ٣٦٧) بل كل ما هو واجب الوجود بغيره فإنه ممكن الوجود بذاته ، وهذا ينعكس فيكون كل ما هو ممكن الوجود بذاته ، فإنه ان حصل وجوده كان واجب الوجود بغيره . فهناك إذن ثلاثة أنماط من الوجود .

الأول : هو الممكن بذاته ويشتمل على جميع الأشياء التي يتساوى فيها العدم والوجود .

والثاني : هو الممكن بذاته الواجب بغيره ، وهو يشمل جميع موجودات هذا العالم .

والثالث : هو الواجب الوجود بذاته ، وهو المبدأ الأول أي الله .

ولكن ابن رشد يبين أن انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب رأي انفرد به ابن سينا فربما أتى به من عند نفسه ، أو ربما أخذه عن الفارابي وإخوان الصفا ، أو عن المتكلمين ، وخصوصاً عن أبي المعالي الذي قال : « إن العالم بأسره جائز . قال ابن رشد : « ونحن نجد ابن سينا يذعن لهذه المقدمة بوجه ، وذلك أنه يرى أن كل موجود ما سوى الفاعل ، فهو إذا اعتبر بذاته ممكن وجائز » (ابن رشد ، كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ٤٠) ، وقال أيضاً : « إن المتكلمين يرون ... أن الموجود ينقسم إلى ممكن وضروري ، وأن الممكن يجب أن يكون له فاعل ، وان العالم بأسره لما كان ممكناً وجب أن يكون الفاعل له واجب الوجود . هذا هو اعتقاد المعتزلة قبل الأشعرية ، وهو قول جيّد ، ليس فيه كذب إلاّ ما وضعوا من أن العالم بأسره ممكن .. فأراد ابن سينا أن يعمم هذه

القضية ويجعل المفهوم من الممكن ما له علة ، وإذا سومح في هذه التسمية لم تنته به القسمة إلى ما أراد لأن قسمة الموجود أولاً إلى ما له علة وإلى ما لا علة له » ليست قسمة معروفة بنفسها (كتاب تهافت التهافت ٧٢).

لقد زعم ابن سينا أن الواجب الوجود بغيره ممكن بذاته ، وأن الممكن يحتاج إلى واجب ينقله من حالة الوجود بالقوة الى حالة الوجود بالفعل ، فقال ابن رشد : ان الواجب ليس فيه إمكان أصلاً ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة ، ويقال في تلك الطبيعة إنها ممكنة من وجه ، وواجبة من وجه . قال ابن رشد : وليس يصح أن يقال : «ها هنا شيء ممكن من ذاته ، أزلي وضروري من غيره ، كما يقول ابن سينا إن الواجب منه ما هو واجب بذاته وواجب بغيره إلا في حركة السماء فقط ، وإما أن يوجد شيء هو في جوهره ممكن وهو من قبل غيره ضروري الوجود فلا يمكن ذلك ، لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون من قبل جوهره ممكن الوجود ، ويقبل من غيره الوجود الضروري إلا لو أمكن فيه أن ينقلب طبعه ، وأما الحركة فيمكن فيها أن تكون واجبة من غيرها ممكنة من ذاتها . والسبب في ذلك أن الوجود لها من غيرها وهو المحرك ، فإن وجدت سرمدية فواجب أن يكون ذلك من قبل محرك (سرمدي) لا يتحرك بالذات ولا بالعرض ، فالبقاء للحركة من قبل غيرها وأما للجوهر فمن قبل ذاته ، ولذلك لم يمكن أن يوجد جوهر ممكن من ذاته ضروري من غيره ، وأمكن ذلك في الحركة» (تفسير ما بعد الطبيعة ٣/١٦٣٢).

ومعنى ذلك أن ابن رشد يجيز انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب في الحركة ، ويمنعه في الجواهر لأن الجواهر عنده أزلية ، والبقاء لها من قبل ذاتها ، لا من قبل غيرها ، والممكن الوجود لا يمكن أن يصبح

واجب الوجود إلا إذا انقلبت فيه طبيعة الإمكان إلى طبيعة الضرورة ، والإمكان السرمدي هو الوجود الضروري ، أمّا عند ابن سينا فإن الجواهر ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها . والجزئيات أعراض ممكنة بالقياس إلى الكليات، وقولنا إنها أعراض ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها لا يجعل العالم داخلاً في حظيرة الإمكان بل يجعله مع إمكانه مصطبغاً بصبغة الوجوب .

٢ – **الماهية والوجود :**

تطلق الماهية على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق ، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي . فإذا سألنا ما المثلث مثلاً سألنا عن معناه المتصور في الذهن ، فالأمر المتصور في الذهن من حيث هو مقول في جواب ما هو يسمَّى ماهية ، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمَّى حقيقة ، ومن حيث مطابقته للشيء الموجود في الخارج يسمَّى صادقاً . قال ابن رشد : « والصادق من إيجاب أو سلب هو الذي يكون من خارج النفس على ما هو عليه في النفس ، والكاذب ضدّ ذلك » (تفسير ما بعد الطبيعة ١/٤٥٥) ، ومسألة المطابقة بين الأشياء المتصورة في الذهن والأشياء الموجودة في الخارج من أعوص المسائل التي شغل بها الفلاسفة خلال حقب طويلة من الزمان ، حتى إن ابن سينا الذي عني بهذه المسألة عناية بالغة لم يقتصر على التمييز بين وجود الماهية في الذهن ووجودها أو عدم وجودها في الخارج ، بل قرر أن للمعقولات ثلاثة أنماط من الوجود ، وهي :

١ – وجودها في العقل الإنساني مجردة من اللواحق الحسية .

٢ – وجودها في الأعيان وجوداً طبيعياً غير مفارق .

٣ – وجودها في العقل الفعال .

ولكن تصور الماهية عند ابن سينا لا يستلزم وجودها الخارجي ، لأن

الوجود في نظره ليس مقوماً للماهية ، وإنما هو صفة عرضية لازمة لها ، وهو في ذلك يقول : « ليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له في الوجود مثال بوجه ، مثل كثير من معاني الأشكال الموجودة في كتب الهندسة ، وإن كان وجودها في حيز الإمكان ، ومثل كثير من مفهومات ألفاظ لا يمكن وجود معانيها ، مثل مفهوم لفظ الخلاء ، ومفهوم الغير المتناهي في المقادير ، فإن مفهومات هذه الألفاظ تتصور مع استحالة وجودها ، ولو لم تتصور لم يمكن سلب الوجود عنها . فإن ما لا يتصور معناه من المحال أن يسلب عنه وجود ويحكم عليه بحكم سواء كان إثباتاً أو نفياً » (ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ٣١ – ٣٢) ، ويقول أيضاً : إن الوجود صفة رئيسية للأشياء ذوات الماهيات المختلفة محمول عليها ، خارج عن تقويم ماهياتها » (المصدر نفسه ، ٢٢) ، ولا يمكن أن يكون الوجود صفة مقومة للماهية ، لأن الموجود مساوق للواحد والواحد كما ذكرنا آنفاً من لوازم الماهيات لا من مقوماتها .

وقد بين ابن سينا في كتاب الإشارات أن ماهية الشيء قد تكون علةً لإحدى صفاته ، ولكنها لا تكون علة لوجوده . إن العلة متقدمة على المعلول في الوجود فكيف يمكن أن تكون الماهية علة الوجود وهي لا تزال في حظيرة الإمكان . فهناك إذن فرق حقيقي بين ماهية الشيء ووجوده ، يدلّ على ذلك قول ابن سينا في تصنيف العلوم : إن العلم الطبيعي يبحث في أمور حدودها ووجودها متعلقان بالمادة والحركة ، وإن العلم الرياضي يبحث في أمور وجودها متعلق بالمادة والحركة ، وحدودها غير متعلقة بها ، وإن العلم الإلهي يبحث في أمور لا وجودها ولا حدودها متعلقة بالمادة والحركة . ففرّق كما ترى بين حدود الأشياء ووجودها في الخارج ، والحدّ عنوان الذات ، أو هو القول المفصل الدال على ماهية الشيء كحدّ المثلث المتساوي الأضلاع ، فإنه يولّد في النفس صورة معقولة

مطابقة لماهية المثلث ، ولكنه لا يستلزم بالضرورة وجود المثلث بالفعل في العالم الخارجي . ولم يكن ابن سينا أول من أخذ بهذا الرأي فقد سبقه إلى ذلك من فلاسفة الإسلام أبو نصر الفارابي في كتاب فصوص الحكم ، حيث بيّن أن الوجود لا يدخل في تقويم الماهيات الممكنة ، وإذا انقسمت الموجودات إلى ممكن وواجب أمكننا أن نقول إن الماهية والوجود هما في الموجود الواجب بذاته شيء واحد ، أما في الموجودات الممكنة بذاتها والواجبة بغيرها فالوجود غير مقوّم للماهية .

ذلك هو رأي ابن سينا في علاقة الماهية بالوجود ، وهو مختلف عن رأي ابن رشد تمام الاختلاف ، لأن ابن رشد يرى أن قولنا في الشيء إنه موجود لا يدلّ على معنى زائد على جوهره ، وكذلك وجوب وجود الشيء وإمكان وجوده فإنهما لا يدلاّن على معنى زائد على الماهية . وهو يلوم ابن سينا على قوله إن الوجود عرض لاحق للماهية ، وإن كل ما كان وجوده زائداً على ماهيته فله علّة ، وكلّ ما له علة أوجبت وجوده فهو ممكن بذاته وواجب بغيره .

وفي الحق أن لفظ الموجود يدلّ عند ابن رشد على معنيين :

« (أحدهما) ما يدل على الصادق مثل قولنا هل الشيء موجود أم ليس بموجود ، وهل هذا يوجد كذا أو لا يوجد كذا .

« (والثاني) ما يتنزل من الموجودات منزلة الجنس ، مثل قسمة الموجودات إلى المقولات العشر ، وإلى الجوهر والعرَض .

« فإذا فهم من الموجود ما يفهم من الصادق لم يكن خارج النفس كثرة ، وإذا فهم منه ما يفهم من الذات والشيء كان اسم الموجود مقولاً على واجب الوجود ، وعلى ما سواه بتقديم وتأخير مثل اسم الحرارة المقول على النار وعلى الأشياء الحارّة » (ابن رشد ، تهافت التهافت ٧٨) . فاذا قلنا إن الماهية متقدمة على الوجود ، وإن الوجود يرد على الشيء أو يضاف إليه

من خارج لم يفهم من قولنا هذا أن لفظ الوجود المستعمل هنا هو الوجود الذي يدّل على ذوات الأشياء بل فهممنه أنه الوجود الذي يدل على الصادق. مثال ذلك أن المثلث له ماهية وهي كونه شكلاً تحيط به ثلاثة أضلاع ، وليس الوجود جزءاً من هذه الماهية مقوماً لها . ولذلك يجوز أن يدرك العقل ماهية المثلث ، وليس يدري هل له وجود في الأعيان أم لا ؟ فإن كان المعنى الذي في الأذهان مطابقاً للشيء الذي في الأعيان كان صادقاً ، وإن لم يكن كذلك كان كاذباً . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول إن تصور الماهية متقدم على الوجود في الخارج .

ولكن اسم الموجود لا يدل على الصادق فحسب ، بل يدل على شيء آخر ، وهو ذات الشيء . إنا لا نطلب معرفة ماهية الشيء حتى نعلم أنه موجود ، فالماهية الموجودة في الذهن والمتقدمة على الوجود ليست في الحقيقة ماهية ، وإنما هي شرح معنى اسم من الأسماء . فإذا علم أن ذلك المعنى موجود خارج النفس علم أنه ماهية ، وقد جاء في كتاب المقولات لأرسطو أن كليات الأشياء المعقولة إنما صارت موجودة بأشخاصها ، وأشخاصها معقولة بكلياتها ، وجاء في كتاب النفس أن القوة التي بها ندرك أن الشيء مشار إليه وموجود غير القوة التي ندرك بها ماهية الشيء المشار إليه . ولذلك قيل إنّ الأشخاص موجودة في الأعيان ، والكليات متصورة في الأذهان ولا معنى لقول ابن سينا إن الوجود زائد على الماهية ، لأنه لو كان زائداً عليها لكان كالواحد عرَضاً مشتركاً ، وهذا في نظر ابن رشد غير صواب .

فأنت ترى أن بين رأي ابن رشد ورأي ابن سينا اختلافاً كبيراً ، لأن ابن سينا يزعم أن الوجود زائد على الماهية ، وأن ماهية الشيء متقدمة على وجوده على حين أن ابن رشد يقول إن الماهية لا تتقدم على الوجود إلا اذا فهم من اسم الموجود أنه يدل على الصادق ، ولكن إذا فهم من

اسم الموجود أنه يدل على ذات الشيء كان الوجود مقوّماً للماهية لا لازماً لها . إنك لا تدرك ماهية الشيء إدراكاً حقيقياً حتى تعلم أنه موجود ، وهذا أقرب إلى رأي الوجوديين المعاصرين الذين يرون أن ماهية الشيء عين وجوده .

٥ ـ خاتمــة

ونريد الآن أن نختم هذا المقال باشارة سريعة الى ما يريده ابن سينا بقوله : إن اسم الواحد عرَض في الجوهر ، وإن الوجود لازم للماهية لا مقوّم لها . إن ابن سينا آرسطي العقل ، أفلاطوني القلب ، إنه يبني هيكلاً أفلاطونياً بحجارة مشائية ، والدليل على ذلك أن للمعقولات عنده وجوداً في العقل الفعّال فوق العقل الإنساني ، والفرق بين معقولات ابن سينا ومثل أفلاطون أن الأولى مجتمعة في العقل الفعال ، والثانية قائمـة بذاتها في عالم الآلة . ومع أن ابن سينا يبطل المُثُل الأفلاطونية كما يبطلها أرسطو ، فإنه لم يستطع أن يفسر لنا حصول المعرفة في العقل الإنساني إلا بطريقين : أحدهما طريق الإحساس ، والآخر طريق التأمّل ، ذلك لأن المعرفة لا تحصل بتأثير قوى النفس وحدها ، بل تحصل باشراق المعقولات على النفس الإنسانية من العقل الفعال . وقد قلت في موضع آخر إن العقل الفعّال يجمع الصور العقلية التي تفيض عليه من الجواهر العلوية ثم يرسلها إلى عالم الكون والفساد ليكسو بها المادة ، هكذا تفيض الصور الحسية على المادة لتنقلها من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل ، وهكذا أيضاً تفيض الصور العقلية على النفس الإنسانية لتولد فيها المعرفة المطابقة لحقائق الأشياء . فالمعرفة إذن هي الاتصال بعالم المعقولات ، والإشراق هو اتحاد إدراك العقل بجوهر الوجود ، ولو اقتصرت النفس على القوى الحيوانية من حس وخيال ووهم لما استطاعت أن تنتقل من إدراك الجزئيات

إلى إدراك الكليات ، والفرق بين ابن سينا وأفلاطون أن الأول يجعل المعقولات قائمة في العقل الفعال ، على حين أن الثاني يجعلها قائمة بذاتها خارج كل عقل .

وظاهر أن ابن سينا لم يقدم هذه المقدمات ولم يأخذ بنظرية الفيض الأفلاطونية إلا ليجعل فلسفته موافقة للدين . فالله في هذه الفلسفة هو الواجب الوجود الذي يوصف بأنه واحد ، وتام ، وخير ، وكامل ، ومبدع ، وهو واجب الوجود بذاته لا يشوب وجوده شيء من الإمكان والإضافة ، فوجوده عين ماهيته ، ووحدانيته عين ذاته . أما ما خلا الله من الموجودات الممكنة بذاتها ، والواجبة بغيرها فالوجود فيها عرض مضاف على الماهية ، والوحدة فيها من لوازم الماهيات لا من مقوماتها . لا تصبح الماهيات موجودة بالفعل في العالم الخارجي إلا بفعل مبدأ مفارق تفيض عنه الصور على المادة لتلبسها ثوباً من الجمال والخير . نعم ، إن الماهيات المعقولة موجودة في العقل الإنساني على سبيل الانفعال كما هي موجودة في العقل الفعال على سبيل الفعل ، ولكن وجودها في العالم الخارجي بالفعل يحتاج إلى علة فاعلة تنقلها من حالة اللاتعين إلى حالة التعين ، وهذه العلة الفاعلة هي الصانع أو الله الذي يعطي جميع الماهيات ، ذلك المعنى الذي تصير به موجودة ، فبين الوجود في العالم الخارجي وبين الوجود في العقل الإنساني مطابقة تامة ، كما أن بين الكليات الثابتة ، والجزئيات المتغيرة موازاة حقيقية . والسبب في هذه المطابقة أن الأصل الذي تصدر عنه الصور في كلا الحالين واحد . وفي هذه الصور التي تفيض على العالم صبغة إلهية تجعل الأشياء واجبة وضرورية، نعم إن العالم في نظر ابن سينا داخل في مقولة الممكن وعلاقته بمبدعه كعلاقة الممكن بالضروري ، ولكن هذا الإمكان الذي اتشح به العالم ليس حادثاً في زمان معين . ولو أخذ ابن سينا بمذهب وحدة الوجود الذي يوحد الله والعالم لما احتاج إلى التمييز بين الماهية والوجود ، ولا بين الإمكان والوجوب ،

ولكنه زعم أن هنالك عالماً مفارقاً تفيض عنه الصور على العالم المحسوس وتنقل الأشياء من حالة الوجود الممكن إلى حالة الوجود الضروري . وفي هذا القول كما لا يخفى أثر من أفلاطون واضح لم يبق منه في فلسفة ابن رشد شيء . لقد ترددت الفلسفة العربية بين أفلاطون وأرسطو مدة طويلة من الزمان ، فلما انتشرت تآليف ابن رشد عادت إلى أحضان أرسطو واستقرت فيها . لقد قال ابن سبعين : إن خلاف ابن سينا لأرسطو لما يشكر عليه ، ولكن ابن رشد الذي كان بالجملة مقلداً لم يشكر ابن سينا على ما خالف به أرسطو ، بل لامه على ذلك لوماً شديداً . وإذا كان نقده لابن سينا أخف من نقده للغزالي ، فمرد ذلك إلى أن الغزالي كان عدو الفلاسفة اللدود ، وقتال العدو للعدو لا يشبه عتاب الصديق للصديق . إن نسبة ابن رشد الى سلفه ابن سينا كنسبة أرسطو إلى أفلاطون ، أو كنسبة القديس توما الاكويني الذي كان أرسطياً الى القديس انسلم الذي اتبع طريقة القديس أوغستينوس وكان في جدله أفلاطونياً .

لقد قال أرسطو في المقالة الأولى من كتاب ما بعد الطبيعة إن الإنسان لا يصل إلى الحقيقة دفعة واحدة ، وإنه ينبغي له أن يعترف بفضل العلماء السابقين وإن كانت آراؤهم مخالفة لرأيه ، وإذا كان أرسطو قد ردّ على كل من جاء قبله حتى على أستاذه أفلاطون ، فمرد ذلك الى رغبته في إظهار الحق . ولولا ذلك لما اعتذر عن مخالفة أستاذه بقوله : أفلاطون صديقي والحق صديقي ، لكن الحق أولى بالمحبة لقد ردّ ابن رشد على الغزالي وابن سينا كما ردّ أرسطو على أفلاطون ، ولكن لو لم يكن ابن سينا لم يكن الغزالي ، ولو لم يكن الغزالي لم يكن ابن رشد

جميل صليبا

أبو الفداء : الملك العلّامة

الدكتور محمد كامل عياد

يُعتبر أبو الفداء ، الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل بن علي ، صاحب حماة من ألمع الشخصيات في تاريخ العرب والإسلام ، فهو من أسرة الأمراء الأيوبيين الذين حكموا مصر وبلاد الشام أكثر من ثمانين عاماً وامتازوا بالشجاعة والإقدام ، وأبلَوا بلاءً حسناً في محاربة الصليبيين وطردهم من هذه الأقطار ..

ولد أبو الفداء في جمادى الأولى من سنة (٦٧٢) هجرية الموافق تشرين الثاني سنة (١٢٧٣) ميلادية بمدينة دمشق التي كان أهله قد جفلوا إليها من غارة التتر . وبعد انتصار الجيوش الإسلامية على التتر خارج حمص في سنة (٦٨٠) [1] عاد الملك المنصور محمد ، صاحب حماة إلى بلده ومعه أهله وأخوه الملك الأفضل والد أبي الفداء . ولمّا انتقل الحكم إلى الملك المظفّر محمود في سنة (٦٨٣) ظل عمه الملك الأفضل يساعده في إدارة الحكومة وقيادة عساكر حماة . وقد رافق أبو الفداء في السنة التالية وهو في الثانية عشرة من عمره أباه ، وابن عمه الملك المظفر عند محاربة الفرنج وفتح حصن (المرقب) الشهير [2] . وفي سنة (٦٨٨) ساهم أبو الفداء في الهجوم على طرابلس وتحريرها من الصليبيين [3] . وفي سنة (٦٩٠) أصبح أبو الفداء (أمير عشرة) فعهد إليه بنقل إحدى العجلات

(١) راجع كتاب المختصر في أخبار البشر طبعة استانبول سنة ١٢٨٦ ، المجلد ٤ صفحة ١٥

(٢) المختصر ، المجلد ٤ صفحة ٢٣

(٣) المصدر نفسه ، صفحة ٢٤

لحمل المنجنيق العظيم المسمّى المنصوري من حصن الأكراد إلى دمشق ثم إلى عكا . وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء . ويبين لنا أبو الفداء في تاريخه (١) ما لاقاه الجنود في الطريق من مصاعب بسبب الأمطار والثلوج ، ثم يصف لنا بدقة مراحل الحصار والقتال في ظروف قاسية زادها شدّة هبوب الرياح العاتية ، وارتفاع أمواج البحر ، وعنف مقاومة الفرنج . وبعد أن نوّه أبو الفداء بشجاعة عسكر حماة أشار إلى أن الفرنج الصليبيين كانوا استولوا على عكا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الأيوبي ظهر يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٥٨٧) فاستعادها الآن في سنة (٦٩٠) السلطان الأشرف صلاح الدين بن قلاوون كذلك يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة .

بعد وفاة والده احتلّ أبو الفداء مكانته في دولة حماة كمساعد لابن عمه الملك المظفر محمود الذي رفع رتبته في الجيش ، فظل يشترك في الحملات العسكرية والحروب ضد التتر والأرمن في الأناضول .

ولما مات الملك المظفر محمود فجأة في سنة (٦٩٨) خرجت مملكة حماة مؤقتاً من أيدي الأسرة الأيوبية — التقوية إذ أنه لم يكن للملك المظفر ولد يستطيع وراثته ، كما لم يتمكن سائر أفراد الأسرة وفي مقدمتهم أبو الفداء وأخواه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن من الاتفاق على مرشح لملك حماة (٢) فانتهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون هذه الفرصة لإرضاء أحد رفاقه من المماليك هو (قرا سنقر) فأرسله نائباً عنه في حماة ثم تعاقب على هذه النيابة عدد من المماليك حتى سنة (٧١٠) .

وقد عرف أبو الفداء في هذه الفترة كيف يتودد إلى السلطان المملوكي

(١) المختصر ، المجلد ٤ الصفحة ٢٥ — ٢٦

(٢) راجع المختصر ، مجلد ٤ صفحة ٤٣

محمد بن قلاوون ويخدمه ويقدم إليه الهدايا ، واستطاع أن ينال ثقته حتى وعده بملك حماة . وساعد على إنجاز الوعد توسط (مهنا بن عيسى) أمير عرب الفضل الذي كان له نفوذ كبير في المملكة ، والذي حصل في سنة ٧١٠ على مرسوم من السلطان بتعيين أبي الفداء نائباً في حماة [١] . وبعد أن تسلّم أبو الفداء مقاليد الأمور لقب بالملك الصالح ، وأخذ يسعى إلى تمتين صلاته بالسلطان الناصر ، حتى عهد إليه في سنة ٧١٢ بالملك عوضاً عن النيابة ، ولقبه بالملك المؤيّد [٢] . وظل أبو الفداء يتردّد على القاهرة من حين إلى آخر ، ويزور السلطان محمد بن قلاوون ويخرج معه إلى الصيد ويرافقه إلى الحج . وكان السلطان يعرف أقدار الرجال ، ويحب أهل العلم ، وقد تأكد من إخلاص أبي الفداء له ، وأعجب بسيرته وبما رآه من آدابه وفضائله ، فكان يكرمه ويحترمه ويعظمه . ولذلك رفع في سنة ٧٢٠ رتبته فألبسه شعار السلطنة [٣] وفوض إليه بأن يفعل في حماة ما يشاء من إقطاع وولاية دون مراجعة القاهرة ، وإنما عليه أن يجرد العسكر من مدينته حماة عند تجنيد الجيوش من مصر والشام ، كما رسم بأن يخطب له على منابر حماة وأعمالها ، وأن يخاطب « بالمقام العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، المؤيدي على ما كان عليه الأمر مع عمه الملك المنصور » [٤] .

إن نجاح أبي الفداء في استعادة ملك أسرته واحتفاظه بمكانة سامية في العهد المملوكي الذي كثرت فيه التقلبات والاضطرابات الداخلية دليل قاطع على ما كان يتحلى به من مهارة وحنكة ومرونة سياسية أشار إليها مؤرخو عصره ...

---

(١) المختصر ٤/٦٣-٦٤
(٢) المصدر نفسه ٤/٧٠-٧١
(٣) المصدر نفسه ٤/٩٠
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، « طبعة القاهرة ١٣٥٨ » ١٤/٩٥ - ٩٦

كذلك برهن أبو الفداء على كفاءة فائقة في إدارة مملكة حماة . فكان كثير العناية بمصالح الناس وحاجاتهم ، عادلاً في أحكامه ، شديد الاهتمام بعمران البلاد وازدهارها . وقد شيد الكثير من المباني الجميلة سواء القصور أو الجوامع أو المدارس أو الحمامات التي ما زال بعضها قائماً ..

ثم إن أبا الفداء كان ، مثل الكثيرين من الأمراء الأيوبيين ، ينظم الشعر الجيد ، ويحب أهل العلم والأدب ، فيقربهم ويشجعهم ويجيزهم بسخاء على مدائحهم له ، بل كان قد خصص رواتب دائمة لبعض الشعراء.

ويقول ابن حجر العسقلاني : « لا أعرف في أحد من الملوك من المدائح ما لابن نباتة والشهاب محمود وغيرهما ، في أبي الفداء إلا سيف الدولة »(١).

وقد أجاد أبو المحاسن بن تغري بردي في تعداد صفات أبي الفداء ومزاياه الجمة إذ قال : « كان ملكاً عالماً ، عادلاً ، سخياً ، جواداً ، ممدحاً ، عاقلاً ، ديناً خيراً ، ذا رأي وتدبير ومعرفة وسياسة ، مع الحلم والرياسة ، صاحب معروف وصدقات ، ذكياً ، فاضلاً ، ذا همة عالية ونفس زكية ، محباً لأهل العلم والخير ، كثير الإكرام لهم ، يعطي العطيات الجزيلة ويجيز على المدائح بالجوائز السنية »(٢) .

أما الشيخ جمال الدين الأسنوي فقد خص أبا الفداء بترجمة عظيمة في كتابه (طبقات الشافعية) وركز اهتمامه على الناحية العلمية وقال إنه « كان جامعاً لاشتات العلوم ، أعجوبة من أعاجيب الدنيا ، ماهراً في الفقه والتفسير والأصلين والنحو وعلم الميقات والفلسفة والمنطق والطب والعروض والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم »(٣) .

---

(١) الدرر الكامنة ، المجلد ١ في ترجمة الملك المؤيد إسماعيل بن علي .

(٢) المنهل الصافي ، المجلد ٩ في ترجمة أبي الفداء .

(٣) نقلاً عن أبي المحاسن في المصدر نفسه .

ثم يروي الأسنوي كيف أن أبا الفداء ، عند قدومه إلى مصر في إحدى المرات ، استدعاه إلى مجلسه بصحبة الطبيبين الشهيرين ركن الدين ابن القوبع والصلاح ابن البرهان فجرى البحث في عدة من العلوم شارك فيها أبو الفداء مشاركة عالم محقق ، ثم انتقل الحديث اتفاقاً إلى علم النبات والحشائش ، فكان كلما ذُكر نبات تكلم على صفاته ، والأرض التي ينبت فيها ، والمنفعة التي فيه ، واستطرد في ذلك استطراداً عجيباً . وهذا الفنّ هو الذي كان يتبجح الطبيبان ابن القوبع وابن البرهان بالاختصاص به ، بينما أكثر الأطباء يجهلونه ، فلما خرجا تعجبا إلى الغاية ، وقال الشيخ ركن الدين : « ما أعلم ملكاً من ملوك المسلمين وصل إلى هذا العلم »[١].

ويتبين من الأخبار أن أبا الفداء كان يمارس الطب عملياً في بعض الأحيان . فقد مرض مرة ولده الملك الأفضل ، وكان يرافقه في رحلة إلى مصر ، فأرسل السلطان رئيس أطبائه الذي صار يأتي إليه بكرة وعشية فيجده حاضراً ليباحثه في سير المرض ، ويقدر الدواء ويمزجه بيده في دست من الفضة . وقد اضطر رئيس الأطباء إلى أن يعترف بمهارته في الطب ويقول له : « يا سيدي ، والله ما تحتاج إلي ، وما أجيء إلا امتثالاً لأمر السلطان »[٢] .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء إنما اشتهر في التاريخ ، قبل كل شيء ، بأنه هو نفسه كان من كبار العلماء العرب . ويتفق المؤرخون الذين بحثوا في سيرته على أنه قد شارك في علوم وفنون كثيرة من فقه وفلسفة وطب وغير ذلك ، وأن أجود ما كان يعرفه ويتقنه علم الهيئة .

---

(١) المصدر نفسه ١٣

(٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ١/١٧

ومما يدعو إلى الإعجاب حقاً أن نشأة أبي الفداء العسكرية واشتراكه في الحروب العديدة ثم مشاغله الإدارية والسياسية ، ورحلاته المتعاقبة إلى مصر للاتصال بالحكام المماليك لم تمنعه جميعاً من الاستمرار في طلب العلم ، واقتناء الكتب القيمة ومطالعتها ، وحضور مجالس العلماء والمشاركة في مناقشاتهم . والأعجب هو أنه فوق كل ذلك ، وجد الوقت الكافي ، وبذل الجهد الضروري ليقوم بتأليف جملة من الكتب النفيسة التي احتلت مكانة سامية ، ونالت شهرة واسعة في الأوساط العلمية ، والتي مازالت تسترعي الاهتمام وتستحق الدراسة .

لقد انكبَّ أبو الفداء على البحث العلمي . ولا يذكر المؤرخون أنه كانت تعقد في قصره مجالس الشرب واللهو ، بل يتفق الجميع على أنه كان متديناً ، وأنه قد انصرف إلى مسامرة الشعراء ، ومحاورة العلماء الذين كان يدعوهم إلى حماة التي أصبحت في عهده مركزاً لحركة ثقافية شاملة . وظل أبو الفداء يتابع الدراسة واقتباس المعرفة وتأليف الكتب طوال عمره ، إلى أن توفي في الثالث والعشرين من المحرم سنة ٧٣٢ هجرية - ١٣٣١ ميلادية .

من الأساتذة الذين تلقى أبو الفداء العلم عنهم نعرف الشيخ أثير الدين عبد الرحمن الأبهري الذي كان بارعاً في الطب والهيئة ، ويتقن الحساب والمساحة والاصطرلاب . وقد أخذ عنه أبو الفداء العلوم الرياضية وأسكنه في حماة وقدمه وأجرى عليه رزقاً (١) .

ويذكر أبو الفداء لنفسه أستاذاً آخر هو قاضي القضاة في حماة الشيخ جمال الدين محمد بن واصل الذي كان يتردد إليه كثيراً ، ويعرض عليه ما يحله من أشكال (اقليدس) ، ويستفيد منه معارف أخرى (٢).

(١) راجع ترجمة حياته في (الدرر الكامنة) ٢/٣٣٩

(٢) المختصر في أخبار البشر ٤/٣٩ - ٤٠

يروي المؤرخون وأصحاب التراجم جملة من الأشعار ، وعلى الأخص الموشحات التي نظمها أبو الفداء ، والتي لم تجمع حتى الآن . وهو قد ألّف عدداً من الكتب نذكر منها :

١ — نظم كتاب (الحاوي الصغير) في الفقه الشافعي ، تأليف نجم الدين عبد الغفار القزويني .

٢ — كتاب (الموازين) . يقول (رينو) و (دوسلان) في مقدمتها لطبعة كتاب (تقويم البلدان) باريس ١٨٤٠ : إن كتاب (الموازين) ربما كان عبارة عن المنظومة في الفلك المحفوظة مخطوطة منها في مكتبة (بودليان) باكسفورد .

٣ — شرح (نظم الكافية) في النحو لابن الحاجب .

٤ — (التبر المسبوك في تواريخ الملوك) ؛ ذكر فهرس دار الكتب المصرية أنه يتضمن تواريخ المماليك سلاطين مصر والشام .

٥ — (الكناش) ؛ وقد ذهب رينو ودوسلان في مقدمة تقويم البلدان إلى أن (الكناش) كتاب في الطب من عدة مجلدات ، ولكن الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي في دراسته عن « منهج أبي الفداء في البحث » التي ألقاها في مهرجان أبي الفداء بدمشق ذكر أنه اطلع على مخطوطـــة من الكناش بدار الكتب المصرية ، كتب على صفحتها الأولى أن « الكناش » مرتب على سبعة كتب ، وأن المخطوطة المذكورة تؤلف الكتاب الأول الذي يبحث في « النحو والتصريف » ، وجاء على هامش الصفحة الأولى أن الكتب الأخرى تبحث في الفقه ، والطب ، والتاريخ ، والأخلاق ، والسياسة والزهد ، والأشياء ، وفي فنون مختلفة .

على أنه لم ينتقل إلينا من مؤلفات أبي الفداء ولم ينشر سوى الكتابين المشهورين :

٦ — تقويم البلدان .

٧ — المختصر في أخبار البشر .

أما كتاب (تقويم البلدان) الذي انتهى أبو الفداء من تأليفه في سنة ٧٢١ هـ فإنه ليس ـ خلافاً لما ادعاه أحد المستشرقين ـ عبارة عن مجموعة هزيلة من المعلومـــات نقلت عن المصادر القديمة (١) ، بل إنه موسوعة مبتكرة امتازت بالدقة والشمول والوضوح . وقد اشتهر كتاب « تقويم البلدان » منذ صدوره ونال ثقة جميع الباحثين في العصور التالية فقام العلامة (شمس الدين الذهبي) معاصر أبي الفداء باختصاره والتعليق عليه ، واقتبس عنه (القلقشندي) بعد مدة عصر أجزاء كثيرة في كتابه المشهور (صبح الأعشى) ، ثم قام في أواخر القرن السادس عشر الميلادي (محمد بن علي سباهي زادة) بترجمة مقاطع منه إلى اللغة التركية ، بعد أن رتبه على حروف المعجم ، وأخرجه تحت اسم (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)(٢) .

كما في الشرق ، كذلك لاقى كتاب (تقويم البلدان) اهتماماً كبيراً في بلاد الغرب ، ونال شهرة واسعة لدى المستشرقين . وقد نشرت أجزاء منه منذ منتصف القرن السابع عشر وترجمت إلى اللغة اللاتينية . ثم عني المستشرقان الفرنسيان رينو ودوسلان بتحقيق المتن العربي ونشره والتصدير له بمقدمة ضافية عن سيرة أبي الفداء وعن كتابه في سنة ١٨٤٠ ، كما قاما بترجمة القسم الأول منه في سنة ١٨٤٨ وتمت ترجمة القسم الثاني من قبل (غيار) في سنة ١٨٨٣ .

---

(١) هكذا قال المستشرق الهولاندي (كرامرس Kramers) راجع كتاب (تراث الإسلام Legacy of Islam) طبعة اكسفورد ١٩٣١ م صفحة ٩١

(٢) راجع حاجي خليفة ، كشف الظنون ٢/٣٩٣ ، طبعة فلوغل .

يقول (رينو) و (دوسلان) : إن كتاب تقويم البلدان يمثل مؤلَّفاً ضخماً في مجاله ، وإن العصور الوسطى الأوروبية لم تعرف كتابـاً يمكن مقارنته به . ويعلق المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) على ذلك قائلاً : « لا يزال هذا الحكم صحيحاً في جوهره حتى أيامنا هذه »[١]. ويرى المستشرق الطلياني (آماري) أن كتاب (تقويم البلدان) قد حاز الإعجاب لأسلوبه المتزن ونقـده القويم . أما الأستاذ (جورج سارتون) صاحب الكتاب المشهور (مدخل إلى تاريخ العلم) فيصرح بأن أبا الفداء كان أعظم جغرافي في عصره [٢] .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء قدم لنا في كتاب (تقويم البلدان) خلاصة المعارف الجغرافية التي توصل إليها علماء العرب قبله . وقد برهن على مقدرة عالية في جمع الموادّ من مظانّها وتمحيصها ، وأجاد في ترتيبها وعَرْضها ، وهو يبين لنا في مقدمة الكتاب طريقته العلميـة في البحث ، وهدفه من التأليف إذ يقول : « إني لما طالعت الكتب المؤلفة في البـلاد ، ونواحي الأرض والجبال والبحار وغيرها ، لم أجد فيهـا كتاباً موفياً بغرضي . فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب (ابن حوقل) ، وهو كتاب مطوّل ذكر صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال والعُروض ، فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ؛ ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامة » . ثم أشار من جهة ثانية إلى أن الكتب المؤلفـة في الأطوال والعُروض تهمل تحقيق الأسماء وبيان صفات

---

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، طبعة لينينغراد ١٩٥٧ ، صفحة ٣٨٩

(٢) G. Sarton : Introduction to The History Science . Vol. 111 p. 793 - 799 .

المدن ، بينما الكتب التي تعنى بتصحيح الأسماء وضبطها لا تتعرض إلى الأطوال والعروض ، وأضاف قائلاً : « ومع الجهل بالأطوال والعُروض يجهل سَمْتُ ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ، ولا الجنوبي ولا الشمالي .. ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة ، من غير أن ندعي الإحاطة بجميع البلاد أو بغالبها ، فإن ذلك أمر لا مطمح فيه » .

وقد رجع أبو الفداء إلى مصادر عديدة ليستقي منها موادّ كتابه ، فاستعان بمؤلفات أشهر الجغرافيين العرب ، مثل (كتاب المسالك والممالك) (لابن حوقل) وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف (الإدريسي) وكتاب المسالك والممالك (لابن خرداذبه) وكتاب (الأقاليم) للاصطخري و (جغرافية الأقاليم السبعة) لابن سعيد المغربي ، وقد اعتمد ، لتحديد خطوط الطول والعرض ، على كتاب (رسم الربع المعمور) المنسوب إلى (بطلميوس) وعلى كتاب (القانون المسعودي) للبيروني وكتاب (التذكرة) للعلاّمة نصير الدين الطوسي ، وعلى الكتاب المعروف باسم (العزيزي) للحسن بن المهلبي الذي لم يصل إلينا ، كما أنه استفاد عند ضبط الأسماء من كتاب (الأنساب) للسمعاني ، وكتاب (اللباب) لابن الأثير وكتاب (المشترك وضعاً والمختلف صقعاً) لياقوت الحموي ، (ولكنه لم يذكر كتابه المشهور « معجم البلدان » الذي ربما لم يكن اطلع عليه) .

على أن أبا الفداء لم يكن يكتفي بالاقتباس والنقل عن هؤلاء المؤلفين ، بل كان دوماً ينسب إلى كل واحد منهم ما أخذه عنه ، ثم يفحص أقوالهم ويقارنها وينتقدها .

تتجلى عبقرية أبي الفداء العلمية في أنه قد استطاع تنسيق المعلومات

الكثيرة ، المنوعة التي جمعها من هذه المصادر ، وعرف كيف يختصرها ويختار منها ما هو مناسب وضروري بعد تمحيصه ، كما أنه أحسن ترتيبها وعرضها بطريقة مبتكرة ، في شكل جداول لم يستخدمها جغرافي آخر قبله . كذلك اتبـع تصنيفاً جديداً للأقاليم إذ فرق بين الأقاليم الحقيقية وهي الأقاليم السبعة المعروفة ، الطبيعية أو المناخية ، وبين الاقاليم العرفية التي يقصد بها « كل ناحية أو مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الأماكن والبلاد ، مثل الشام والعراق وغيرها » . وقد عدّد ٢٨ إقليماً عرفياً ينقسم بعضها بدوره إلى أقاليم عرفية صغرى ، وقام بدراستها دراسة منهجية ، فذكر في كل إقليم أولاً حدوده وموقعه ، وبعض ظواهره الطبيعية ، ومراكزه البشرية ، ثم انتقل إلى الجداول التي تشتمل على أهم مدن الإقليم وقراه . ويمتدّ كلُّ جدول على صفحتين : في الصفحة الأولى بيان خطوط الطول والعرض ، وتحديد الموقع ، وضبط الأسمـاء لغوياً ؛ وفي الصفحة الثانية ذكر الأوصاف والأخبار العامّة بصورة مكثفة ، مع التركيز على الظواهر الطبيعية ، وبعض النشاطات البشرية والاقتصادية والآثار التاريخية . وقـد أشار أبو الفداء عند كل موقع إلى المصادر التي نقل عنها معلوماته ، وهو لا يقتصر هنا على مؤلفـات الجغرافيين السابقين ، بل يستشهد أيضاً بأقوال الرحالة والتجار المعاصرين الذين اجتمع بهم ، أو بمشاهداته الذاتية . وخلافاً لغيره من المؤلفين فإن أبا الفداء يركز البحث على المعلومات الجغرافيـة ، ولا يستطرد إلى المسائل الأدبية والتاريخية والأسطورية .

وبالنظر إلى مستوى علم الجغرافيا في عصر أبي الفـداء ونقص آلات الرصد والقياس فليس غريباً إذا هو وقع في بعض الأخطاء أو نقلها عن غيره . ولا حاجة إلى الوقوف عند هذه الأخطاء لأن أهمية أبحاث أبي الفداء إنما تقاس بالنسبة إلى عصره وبالنسبة إلى الطريقة التي اتبعها في البحث .

ومن هذه الوجهة فإن كتابه (تقويم البلدان) قد تضمن خلاصة المعارف الجغرافية في ذلك العصر ، وهو يمتاز على غيره بروح النقد وصحة المعلومات ودقتها وحسن الترتيب ...

أما الكتاب الثاني الذي انتقل إلينا ، ونال أيضاً شهرة واسعة فهو كتاب (المختصر في أخبار البشر) . يقول أبو الفداء في مقدمة الكتاب إنه قد اختاره واختصره على الأخص من كتاب (الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير الجزري . ومن المعروف أن ابن الأثير إنما اختصر بدوره كتابه هذا من (تاريخ الأنبياء والملوك) لأبي جعفر الطبري ، مع إضافة فصول عن أيام العرب ، ومعلومات عن المغرب ، ثم سجل الأحداث التي وقعت بعد سنة ٣٠٢ هجرية ، التي كان الطبري وقف عندها لينتهي إلى سنة ٦٢٨ هجرية .

وقد اعتبر كتاب (الكامل) خير ما ألف من كتب الحوليات في التاريخ الإسلامي ، لما امتاز به من مادة غزيرة ، وتبويب حسن ، وأسلوب شيّق ، ولغة دقيقة ، واضحة . على الرغم من ذلك فإن ابن الأثير قد غفل عن بعض الحوادث الهامّة ، ووقع في كثير من الأخطاء ، عدا أنه كان يهمل في الغالب ذكر مصادره ، وينحرف أحياناً ويتحزب . وقد لاحظ أبو الفداء هذه الشوائب ، وعرف أن كتاب (الكامل) ليس كاملاً من جميع الوجوه ، وكان من الطبيعي أن لا يقتصر عالم محقق ، واسع الاطلاع مثله على النقل والاقتباس ، بل لا بدّ له من أن يسعى إلى التأكد من صحة الأخبار ، وإلى ضبط التواريخ ، والأسماء بالرجوع إلى المصادر الموثوقة . ولهذه الغاية استعان أبو الفداء بمجموعة من المؤلفات القيمة التي قلما نجد لبعضها ذكراً عند غيره من المؤرخين . فعلاوة على كتب معروفة مثل (تجارب الأمم) لابن مسكويه ، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان ،

و (تاريخ اليمن) للفقيه عمارة اليمني ، و (المغرب في أخبار أهل المغرب) لابن سعيد المغربي ، وكتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) للقاضي جمال الدين بن واصل ، اعتمد أبو الفداء بصورة خاصّة على (كتاب البيان عن تاريخ سني الزمان على سبيل الحجة والبرهان) لأبي عيسى بن المنجم ، ثم على (تاريخ سني ملوك الأرض) لحمزة الأصفهاني[١] .

وهنا لا بد من التساؤل : من هو أبو عيسى بن المنجم ؟ لقد ورد ذكره في كتاب (الفهرست) لابن النديم[٢] ، الذي يروي أخبار آل المنجم جميعاً ، ويقول إن جد الأسرة (يحيى بن أبي منصور) هو فارسي ، اشتغل بالنجوم ، وأسلم على يد الخليفة المأمون . وقد نبغ عدد من أولاده وأحفاده ، فاشتهر بعضهم بالأدب ورواية الشعر والتأليف في مختلف الفنون ومنادمة الخلفاء . ثم يقول ابن النديم : « ومن أفاضل آل المنجم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى ، له من الكتب (كتاب تاريخ سني العالم) » دون أن يذكر شيئاً عن تاريخ مولد المؤلف أو موته أو عن محتوى الكتاب . ولكنه في ترجمة أخيه أبي عبد الله هارون يخبرنا أن هذا توفي في سنة ٢٨٨ هـ . ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أنه عاش في أواخر القرن الثالث الهجري ، ويمكننا أن نتفق مع المستشرق (روزنتال F. Rosenthal) الذي يقول في كتابه (علم التاريخ عند المسلمين)[٣] : إن أبا عيسى بن المنجم ألف كتاب (تاريخ سني العالم) قبل الطبري بعدة عقود ، ثم يضيف قائلاً : إن هذا التاريخ ربما كان بحثاً مرتباً حسب السنين على النمط اليهودي ـ المسيحي يبدأ

(١) راجع المختصر في أخبار البشر ١/٣

(٢) ابن النديم ، الفهرست : طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ ، صفحة ٢٠٧

(٣) روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلي ، طبعة بغداد ١٩٦٣ ، صفحة ١٠٣

منذ الخليقة وهبوط آدم والطوفان ، ويروي قصص الأنبياء وأخبار الفرس واليونان والروم ، وإنه ربما لم يتطرق إلى تاريخ الإسلام قط . ومن المؤسف أن الكتاب لم يكتب له الانتشار ولم يصل إلينا .

ومهما كان الأمر فإن أبا الفداء في القسم الأول من (المختصر في أخبار البشر) الخاص بالأمم القديمة ، يعتمد كل الاعتماد على كتاب أبي عيسى المنجم الذي يبدو أنه قد استقى معلوماته من مصادر سريانية وبزنطية . فهو ، عند تحديد تاريخ (هيلين) و (موسى) مثلاً يستند إلى كتاب (الردّ على جوليان) الذي ألفه (كيرلّس Cyrillis) رئيس أساقفة الاسكندرية في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي . وهو يقول : « المنقول عن أصحاب السير من اليونان : أن (أميرس) أي [هوميروس] الشاعر اليوناني كان موجوداً في سنة ٥٦٨ لوفاة موسى [١] . ونلاحظ أن هذا التحديد الزمني ينطبق على التقديرات الحديثة .

وعلى وجه الإجمال فإن الأخبار التي اقتبسها أبو الفداء عن أبي عيسى ابن المنجم فيما يتعلق باليونانيين والرومان تمتاز بالدقة ، وتقرب كثيراً من الصحة ، خلافاً لما يرويه أكثر المؤرخين العرب من قصص خيالية وأساطير . وقد أقدم أبو الفداء مرة واحدة على معارضة رواية أبي عيسى ، ولكن من المصادفات الغريبة أنه كان هو المخطيء في هذه الحالة . فقد ذكر أبو عيسى أن (طاليس) الملطي ، وهو أول فلاسفة اليونان ، كان في زمن (بخت نصر) . وهذا صحيح ، إذ حكم (بخت نصر) بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ قبل الميلاد وعاش (طاليس) بين ٦٤٠ و ٥٤٦ قبل الميلاد . ولكن أبا الفداء رجع إلى كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني الذي ذكر

(١) المختصر في أخبار البشر ١/٨٨

أن الفيلسوف اليوناني (فيثاغوراس)[وهو متأخر عن طاليس] كان في زمن (سليمان) وأنه أخذ الحكمة من « منبع النبوة »[١]. وهنا أخذ أبو الفداء يحسب التواريخ القديمة فتبين له أن (بخت نصر) قد عاش بعد سليمان بأكثر من ٤٠٠ سنة واستنتج من ذلك أن قول (أبي عيسى) بأن الفلسفة اليونانية ظهرت في عهـــد (بخت نصر) غير مطابق لما ذكره الشهرستاني الذي اعتمد عليه دون مبرّر إلاّ أن يكون قد استهواه قول (الشهرستاني) بأن (فيثاغوراس) أخذ الحكمة من « معدن النبوة » ...

أما حمزة الأصفهاني الذي كان ، على الرغم من نزعته الشعوبية ، مشهوداً له بالفضل والمعرفة الواسعة ، والنظرة الفاحصة ، والآراء الجريئة ، فقد تأثر أبو الفداء بطريقته الانتقادية في ضبط التواريخ وتحقيقها . وهو في كتابه (تاريخ سني الملوك) يذكر ملوك الفرس والروم وغيرهم فضلاً عن أنساب حمير ، وسائر دول العرب من غسّان ولخم وكندة ، وكان اهتمامه منصرفاً إلى تحقيق سني الولادة والوفاة ومدة الحكم . وفي كتابه قائمة بأسماء الكتب الفارسية الكثيرة التي استقى منها معلوماته . وقد لاحظ أبو الفداء أن الأخبار المأخوذة عن المؤرخين قبل الإسلام مضطربة جداً ، لأنهم كانوا يؤرخون من ابتداء ملك كل من تملك منهم فكثرت بدايات تواريخهم ، وكان هذا ، كما قال حمزة الأصفهاني : « سبباً في فساد تواريخهم فساداً لا مطمع في إصلاحه ، مع ما انضم إلى ذلك من بعد العهد ، وتغير اللغات ، وقدم الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فصار تحقيق التواريخ القديمة متعذراً أو في غاية التعسر . »[٢]

وقد تأثر أبو الفداء أيضاً بأبحاث (أبي الريحان البيروني) الذي يعتبر من أكبر العلماء والمفكرين المسلمين . إلاّ أنه قد اقتصر على كتاب واحد

---

(١) المصدر السابق ٨٨/١ (٢) المصدر السابق ٤/١

من مؤلفاته هو (القانون المسعودي) في الهيئة والنجوم الذي استفاد منه عند تأليف كتاب (تقويم البلدان) ونقل رأي (البيروني) في مساحة الأقاليم السبعة ، ومقارنته بين أبحاث الهنود واليونانيين ، وتصريحه القائل : « الروم والهند أصدق سائر الأمم عناية بهذه الصناعة ، (يقصد علم الهيئة ووصف المعمورة) ولكن الهند لايبلغون غاية اليونانيين فيعترفون لهم بالتقدم ، ولمثله نميل إلى آرائهم ونؤثرها »[١] . وقد اقتبس أبو الفداء عن كتاب (القانون المسعودي) بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بقياصرة الرومان .[٢] وكان من المنتظر أن يستفيد أبو الفداء من كتابين آخرين للبيروني لهما صلة بالتاريخ هما كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة) و كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ولكن الكتاب الأول لايأتي ذكره أبداً عند أبي الفداء ، بينما يشير الى الكتاب الثاني مرة واحدة ، وذلك عند شرح اسم (اليهود) فينقل عن الشهرستاني قوله بأن هذا الاسم مشتق من هاد الرجل أي رجع وتاب ، وأنه إنما لزمهم لقول موسى : « إنا هدنا إليك » أي رجعنا وتضرعنا ثم يضيف أبو الفداء هنا ما قاله (البيروني) من أن ذلك ليس بشيء ، وأن اسم اليهود إنما أطلق عليهم نسبة الى (يهوذا) أحد الأسباط ، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة كما يوجد في كلام العرب .[٣]

وقد استند أبو الفداء أيضاً إلى التوراة التي اعتبرها من أهمّ المصادر لمعرفة التواريخ القديمة . إلا أنّه لاحظ الاختلافات الكبيرة بين نسخ التوراة الثلاث المتداولة وهي السامرية والعبرانية واليونانية ، فقال : إن الأولى والثانية « مفسودتان » وإن المحققين من المؤرخين قد اختاروا التوراة اليونانية التي ليس فيها ما يقتضي الإنكار من جهة الماضي من عمر الزمان . ثم

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان صفحة ١١

(٢) المختصر في أخبار البشر ١/٦٤ - ٦٥

(٣) المصدر نفسه ١/٩١

أشار أبو الفداء الى الأسطورة التي نسجت حول نقل هذه التوراة من العبرانية في عهد الملك بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) وصرح بأنه قد اعتمد عليها دون غيرها في تحديد بعض التواريخ.[١] أما في سبيل قراءة الأسماء، فيقول إنه أحضر نسخة عبرانية لسفري القضاة والملوك، ثم أحضر شخصاً عارفاً باللغتين العربية والعبرانية فاستعان به عند ضبط الأسماء التي كانت فيها أحرف ليست من حروف العربي، وفيها إمالات ومدّات لا يمكن أن تعلم إلاّ مشافهة.»[٢]

إلى جانب المصادر الرئيسية العامّة كان أبو الفداء يرجع في موضوعات معينة إلى الكتب الاختصاصية، فنراه مثلًا عند استعراض أسماء الفراعنة يعتمد على كتاب خاصّ بملوك مصر في قديم الزمان لمؤلف اسمه (ابن حنون الطبري) لانعرف عنه شيئاً. على أنه لما نقل عن التوراة أن فرعون الذي غزا بني إسرائيل في أيام (رحبعام بن سليمان) هو (شيشاق) [أي ششنق الأول مؤسس الأسرة الليبية] علق على ذلك قائلًا: «وهو الأصح» أي أصح من اسم (بولة) الذي ذكره (ابن حنون).[٣]

وفي الفصل الخاصّ بأمـــة اليونان نقل أبو الفداء تراجم حياة فلاسفة اليونان الكبار سقراط وافلاطون وآرسطو عن الشهرستاني، إلاّ أنه استعان أيضاً بكتاب (تاريخ الحكماء) لابن القفطي في سبيل معرفة أسماء الفلاسفة اليونانيين المتأخرين، وعلى الأخص الذين عاشوا منهم في الاسكندرية، واشتغلوا بالعلوم الرياضية والطب[٤] والذين لم يتعرض إليهم الشهرستاني.

كذلك في قسم التواريخ الإسلامية كان أبو الفداء يرجع في كثير من

(١) المختصر ٦/١
(٢) المختصر ٣٢/١
(٣) المختصر ٦١/١
(٤) المختصر ٩٠/١

الموضوعات إلى مؤلفات الاختصاصيين لتلافي النقص أو تصحيح الأخطاء . فنراه مثلاً عند الكلام على غارة التتر ، التي يصفها بأنها كانت أعظم مصيبة نكب بها المسلمون ، يعتمد على كتاب (تاريخ ظهور التتر) تأليف (محمد بن أحمد النسوي) الذي كان كاتب الإنشاء لدى جلال الدين بن محمد خوارزم شاه ، وكان رافقه في حروبه ضد التتر ، وأصبح أخبر الناس بأحوال الخوارزميين وجيرانهم ، فنقل عنه أبو الفداء وصف بلاد الصين وأخبار نشأة جنكيز خان ، وحروب المغول والتتر.[١]

إن تفكير أبي الفداء كان يسيطر عليه الاتجاه الرياضي . فهو مولع باستقصاء المعلومات ومقارنتها وتمحيصها وبحساب التواريخ وضبطها . وقد رجع إلى كتاب (الجمع والبيان في أخبار القيروان) لأبي العرب الصنهاجي للتحقق من تاريخ مقتل أبي عبد الله الشيعي ، داعية المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، إذ أورده ابن الأثير في سنة (٢٩٦) في حين ذكر الصنهاجي : إن ذلك في سنة (٢٩٨) ، ويضيف أبو الفداء قائلاً : « وهو الأصح عندي ، كما ذكر ذلك ابن خلّكان أيضاً »[٢] . وعند البحث في دولة بني حماد بافريقية في أواخر القرن الرابع يقتبس أبو الفداء معلوماته من كتاب الصنهاجي أيضاً . أما أخبار دولة الحفصيين ، ملوك تونس في القرن السابع ، فيقول إنه نقلها من الشيخ ركن الدين بن القويع التونسي[٣] ، وهو الطبيب المشهور الذي اجتمع به في القاهرة كما ذكرنا سابقاً .

أورد ابن الأثير موت محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، في (٤٦٩) . فعلق أبو الفداء على ذلك قائلاً : «لكنني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم أن محموداً

(١) المختصر ١٢٩/٣
(٢) المختصر ٧٠/٢
(٣) المختصر ١٩٦/٣

المذكور مرض في سنة (٤٦٧) وحدث به قروح في الأمعاء مات بها في تلك السنة ذاتها ، فملك بعده ابنه نصر الذي لم يذكر ابن الأثير تاريخ مقتله ، بينما قال ابن العديم إن ذلك كان يوم الأحد مستهل شوال سنة (٤٦٩)[١]. ثم ذكر ابن الأثير أن قلعة (شيزر) القريبة من حماة لم تزل لبني منقذ يتوارثونها من أيام (صالح بن مرداس) . ولكن أبا الفداء صرح بأن الأمر ليس كذلك لأن ابن مرداس توفي سنة (٤٢٠) بينما كان تملك (بني منقذ) لشيزر في سنة (٤٧٤) أي بعد مدة أربع وخمسين سنة . ويضيف أبو الفداء قائلا : « ونحن نورد أخبار بني منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد وهو أفضل بني منقذ . »[٢]

كان أبو الفداء يحرص على تقصي الأخبار الهامة من جميع المصادر . ومن الأمثلة على ذلك ما يرويه عن قاضي القضاة جمال الدين بن واصل الذي كان يتردّد عليه للدراسة كما سبق ذكره . فإن (ابن واصل) كان قد توجه في سنة (٦٥٩) هجرية (١٢٦١ ميلادية) رسولاً من قبل الملك (الظاهر بيبرس) إلى الامبراطور (مانفريد) . ويبدو أن أبا الفداء قد سأله عن مشاهداته في ايطالية ، فعلم منه أن كلمة امبراطور معناها ملك الأمراء وأن مملكة (مانفريد) تشمل جزيرة (صقلية) وبلاد (آبولية) و (لومباردية) من البرّ الطويل (أي ايطاليا كما كانوا يسمّونها) وأن الامبراطور (مانفريد) كان ، مثل والده الامبراطور (فريدريك الثاني) مصافياً للمسلمين ومحباً للعلوم ، وقد أكرم (ابن واصل) الذي صنف له كتاباً في المنطق بعنوان (الامبروزية) نسبة إلى الامبراطور . وذكر (ابن واصل) أنه أقام في مدينة من مدائن (آبولية) تبعد عن (رومية) مسيرة خمسة أيام (يقصد بذلك مدينة (فوجيا) وأن هناك بالقرب منها مدينة تسمى (لوجارا) أي

(١) المختصر ٢/٢٠٢

(٢) المختصر ٣/٣٣

(Lugera) ، أهلها كلهم مسلمون ، كان قد نقلهم الامبراطور (فريدريك الثاني) من صقلية ليكونوا حرساً خاصاً له . وكان أكثر أصحاب الامبراطور (مانفريد) مسلمين ، ويعلن في معسكره بالأذان للصلاة .(١)

كان أبو الفداء يتحلى بحس تاريخي حقيقي يساعده على تمييز الحوادث الهامة من غيرها ، وعلى نقد الرواة ، وتمحيص الأخبار ، واصطفاء المعلومات الموثوقة . وهو لم يكن ليخفى عليه أن كتب التاريخ مملوءة بكثير من القصص الخرافية والأساطير ، وأن الأخبار التي تتناقلها عن تعاقب الملوك والحكام والقادة ووصف الحروب والانقلابات وذكر الكوارث الطبيعية ، ليست جميعها مما يستحق التسجيل والحفظ . إنه كان يدرك أن أهمية الحادث التاريخي تقاس بمدى تأثيره في الأوضاع الحاضرة والمستقبلة . واذا كنا لا ننكر أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لا يخلو من بعض الحوادث التافهة والأخبار المشبوهة والقصص السخيفة فلابد لنا من الاعتراف بأن هذه الشوائب قليلة وأنه ، عند مقارنته مع نظرائه ، يبرهن على نزعة علمية ونظرة انتقادية وتفكير عقلاني . إنه ، بالإجمال ، يمتاز على كثير من كتب التاريخ باقتصاره على الأمور الهامة ، والأخبار الصحيحة .

إن أبا الفداء ، بعد أن ينقل قصص الأنبياء كما كانت ترويها اذ ذاك كافة المؤلفات التاريخية في الشرق والغرب بالاستناد الى شهادة الكتب المقدسة ، يبدأ في ذكر طبقات ملوك الفرس ويقول إن ملوك الطبقة الأولى القديمة « تروي عن مُدَد ملكهم وحروبهم أموراً يأباها العقل ، ويمجها السمع ، فأضربنا عنها لذلك ، ولم نذكر إلا ما يقرب إلى الذهن صحته »(٢).

عوضاً عن ذكر التواريخ غير المحققة وجه أبو الفداء اهتمامه إلى

(١) المختصر ٤/٤٠ (٢) المختصر ١/٤١

أساليب الإدارة والسياسة لدى ملوك الفرس القدماء ، كما لخص مبادىء ديانة (زرادشت) ، ثم تعاليم (مزدك) التي تدعو الى التساوي في الأموال بين الناس ، والاشتراك في النساء ، والتي تؤمن بالتنجيم والطلاسم[١] ، والتي كان لها تأثير كبير في آراء بعض الفرق حتى العهد الإسلامي مثل القرامطة .

وعند ذكر أمة القبط نقل أبو الفداء عن كتاب (طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي قوله : « إن سكّان مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية ، وظهر بينهم علماء بضروب العلوم ، خاصة الطلسمات والنيرنجات والكيمياء ؛ وأنهم كانوا أخلاطاً من الأمم مـــا بين قبط ويونان وعماليق وروم وغيرهم ، وذلك لكثرة من تداول عليهم فإن أكثر من تملك مصر هم الغرباء »[٢] .

ولمـــا تكلم على اليونان قال : إنهم كانوا طوائف قبل (فيلبس المكدوني) وبعد أن ذكر الإسكندر وخلفاءه ، استعرض فلاسفة اليونان ، وبحث في آرائهم ومؤلفاتهم ، ونقل عن كتاب (أبي عيسى بن المنجم) قوله : « كان اليونانيون أهل شعر وفصاحة ، ثم صارت فيهم الفلسفة ، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم ، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والآلهية والرياضية ، وكانوا يسمون العلم الرياضي (جومطريا) وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب والألحان والإيقاع وغير ذلك . وكان العالم بهذه العلوم يسمَّى فيلسوفاً وتفسيره : محب الحكمة »[٣] .

وعند ذكر أمة الصين قال : « أما بلاد الصين فطويلة ، عريضة ، ويشتمل عرضها على الأقالـــيم السبعة . وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً ، وهم أحذق خلق الله بنقش وتصوير وسائر الصناعات »[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ١/٥٣
(٢) المصدر نفسه ١/٥٩ و ٨٦
(٣) » » ١/٨٩
(٤) » » ١/١٠١-١٠٢

كان أبو الفداء يكتفي هنا بالصفات العامّة التي اشتهرت بها مختلف الأمم ، لأنه لم يكن في استطاعته أن يعرف عنها تواريــخ مضبوطة ، ولأن مقصده من تأليف المختصر رســم صورة مجملة ، واضحة عن تاريخ البشرية .

عندما تعرّض أبو الفداء إلى بلاد (عاد) التي تعرف بالأحقاف ، قال : « لقد كثر الاختلاف في أمرهم وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب ، غير قريب للصحة ، فأضربنا عنه »[١] . وعند ذكر ملوك كندة أشار إلى قصّة امرىء القيس التي تروي أن ملك الروم دسّ له السّم في حلة فقال : « وهذا عندي من الخرافات »[٢] .

وفي الواقع كان أبو الفداء يتحاشى دوماً رواية القصص الخرافيــة التي كانت تزخر بها كتب المؤرخين المعاصرين له ، والتي كان يجاهر بمكافحتها . وقد نقل عن ابن الأثير أن الناس بالموصل أصابهم في سنة (٦٠٠) وجع في حلوقهم فشاع أن امرأة من الجنّ يقال لها أم عنقود مات ابنها ، وأن كل من لايعمل مأتماً يصيبه هــذا المرض . فكان النساء وأوباش الناس يلطمون على عنقود ويقولون : « يا أم عنقود اعذرينا ، قد مات عنقود ومادرينا » . ثم يضيف أبو الفداء قائلاً : « وإنما أوردنا هـذا لأن رعاع الناس إلى يومنا هذا وهــو سنة ٧١٥ يقولون بأم عنقود وحديثها ليعلم تاريخ هذا الهذيان متى كان »[٣] . ورأي أبي الفداء هذا صحيح ، فإن أفضل وسيلة لتحرير عقول الناس من الخرافات والأساطير هي الدراسة التاريخية للقصص الغريبة والكشف عن حقيقة أمرها وبيان كيفية نشأتها ومراحل تطورها .

---

(١) المصدر نفسه ١٠٣/١
(٢) المصدر نفسه ٧٩/١
(٣) « « ١٩٤/٢

بقدر ما كان أبو الفداء يُعرض عن رواية الأساطير والخرافات والقصص العجيبة كان يحرص، بالعكس، على الإكثار من الأخبار والأبحاث العلمية. هكذا يذكر في حوادث سنة (٢٥٩) هجرية وفاة (محمد بن موسى ابن شاكر)، أحد الإخوة الثلاثة الذين يقول: « إنه كانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة، وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل (أي الميكانيك) والموسيقى ». ثم أخذ يبحث في المهمة التي عهد بها إليهم الخليفة المأمون، وهي تحقيق ماورد في كتب الأوائل عن دور الأرض (أي محيطها)، فشرح بالتفصيل كيف ساروا إلى صحراء سنجار ومسحوا درجة الطول.(١)

ولما سجل أبو الفداء بين حوادث سنة (٦٤٩) وفاة الشيخ (علم الدين قيصر) المعروف (بتعاسيف) قال عنه بأنه كان إماماً في العلوم الرياضية ومهندساً فاضلاً، وذكر أن الملك المظفر، صاحب حماة، استخدمه فبنى له أبراجاً بحماة، وطاحوناً على النهر العاصي، وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم عليها جميع الكواكب المرصودة. ونقل عن القاضي (ابن واصل) قوله: « وقد ساعدت الشيخ علم الدين على عمل هذه الكرة في حماة. وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسأل عن مواضع دقيقة فيها. »(٢) و (تعاسيف) هذا هو الذي طلب منه الملك (الكامل) الإجابة على المسائل الرياضية والفلسفية التي أرسلها إليه الامبرطور (فريدريك الثاني).(٣)

كان المؤرخون قد بدأوا منذ صدر الإسلام يهتمون بتراجم أحوال الصحابة والتابعين ورواة الحديث، فنشأت كتب (الطبقات) الأولى لهؤلاء، ثم اتسعت دائرة الاهتمام حتى شملت الفقهاء والمتصوفين والنحاة والشعراء والأدباء والفلاسفة والأطباء وغيرهم. وفي هذا الصدد أبدى المستشرق النمساوي

(١) المصدر نفسه ٢/٥١ - ٥٢ (٢) المصدر نفسه ٣/١٨١

(٣) راجع المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣٢

(شبرنغر Sprenger) الملاحظة التاليـة : « من المبادىء الأساسية النبيلة عند العرب والمسلمين احترام الذات والكرامة الشخصية . فإن لكل فرد قيمته ومكانته . لذلك فإن الكتب التي ألفها المسلمون في التراجم والأنساب تفوق في عددها كل ما كتبته الأمم الأخرى السابقة والمعاصرة لهم معاً » .

ولم يقتصر الأمر على كتب التراجم بل إن التواريخ العامّة ، وبالأخص الحوليات جميعاً تشتمل أيضاً على سير الكثيرين من (الأعيان) . ومثل غيره من مؤلفي الحوليات كان أبو الفداء أيضاً يذكر ضمن حوادث كلّ سنة المشاهير الذين ماتوا فيها . إلا أنّ هناك فرقاً بينه وبين أكثر المؤرخين المعاصرين الذين يحشرون أكبر عدد ممكن من أسماء الأشخاص ، سواء كانوا بارزين حقاً أو مجرد مشتغلين بالقراءة والحفظ أو الخطابة والوعظ . فقد كان أبو الفداء يقتصر على الشخصيات البارزة من كبار علماء اللغة والأدباء والشعراء ، ويؤثر على الأخص الأطباء والمهندسين والفلاسفة . وكان بارعاً في تصوير حياة هؤلاء المشاهير بكلمات قليلة تبرز الصفات الجوهرية ، وتكشف عن الخصائص المميزة ، كما كان يروي عن أبطاله بعض الأقوال والأشعار والقصص التي تعكس أحوال البيئة والظروف التاريخية ، وتتضمن أحياناً نقداً ، ولا تخلو أحياناً أخرى من نكتة ظريفة ، أو دعابة لطيفة . هكذا كتب أبو الفداء تراجم وافيـة جيدة لأبي بكر الرازي ، والفارابي ، وابن سينا ، ونصير الدين الطوسي ، ثم للشافعي ، والأشعري ، وسيبويه ، والفراء ، والجاحظ ، والطبري ، وابن الأثير . وقد تكلم بإسهاب عن الإمام فخر الدين الرازي الذي يصفه بأنه كان أوحد زمانه في المعقولات والأصول ، ثم يروي كيف ثار عليه في سنة (٥٩٥) فقهاء الكرامية والحنفية بهراة في ما وراء النهر ، ونسبوه إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة ، فاضطر أن يلجأ إلى

صاحب (غزنة) ، وإلى السلطان خوارزم شاه اللذين حظي لديهما ، وينقل من نظم فخرالدين الرازي الأبيات التالية :(١)

نهاية إقـدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانـا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويروي أبو الفداء قصة أمين الدولة بن التلميذ الذي كان طبيب دار الخلافة في عهد المقتفي ، ويصفه بأنه كان حاذقـاً ، فاضلًا ، ظريف الشخص ، عالي الهمة ، مصيب الفكر ، ويقول عنه إنه كان شيخ النصارى وقسيسهم ، وله في الأدب يد طولى ، وكان متفنناً في العلوم ، وخلف تصانيف حسنة ، منها كتاب (اقراباذين) وهو المعتمد عليه عند الأطباء . ومن معاصري ابن التلميذ أبو البركات بن ملكان الحكيم صاحب كتاب المعتبر في الحكمة . وكان بينهما تنافس كما يقع كثيراً بين أهل كل صنعة . وكان أبو البركات يهودياً ثم أسلم في آخر عمره ، وكان متكبراً ، بخلاف ابن التلميذ الذي عرف بالتواضع ، فنظم فيه هذه الأبيات :

لنا صديق يهودي ، حماقته إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعدُ لم يخرج من التيه (٢)

وفي حوادث سنة ٥٨٤ يذكر أبو الفداء وفاة محمد بن الكاتب المعروف بالتعاويذي ، الشاعر المشهور الذي شاعت قصائده في الغزل والنسيب ، والذي له غير ذلك أشياء حسنة أيضاً ، منها الأبيات التي صنعها على أثر مصادرة جماعة من أهل الدواوين في بغداد وهي :

يا قاصداً بغداد جز عن بلدةٍ للجور فيهـا زجرة وعتاب

(١) المختصر ٣/١٠١ – ١٠٢ و ١١٨
(٢) المختصر ٣/٤٥

إن كنت طالب حاجةٍ فارجع فقد
سُدّت على الراجي بها الأبواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه ويخونه القرباء والأحباب
لا شافع تغني شفاعته ولا جانٍ له مما جناه متاب (١)

وفي حوادث سنة ٦١٢ يتعرض أبو الفداء إلى الوجيه المبارك بن أبي الأزهر الذي اشتغل بعلم العربية وولي تدريس النحو بالمدرسة النظامية في بغداد ، وكان حنبلياً ، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعياً ، فقال فيه أبو البركات زيد التكريتي :

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وفارقته إذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر
إلى مالك فافطن (لما) أنت قائل (٢)

وفي سنة ٦٣٤ — ٦٣٥ أوفد الخليفة أبو جعفر المستنصر بالله رسولاً لتهنئة الملك (العادل) بالسلطنة واستخلافه للمستنصر وللإصلاح بين العادل وأخيه الصالح أيوب ، وكان هذا السفير هو محيي الدين يوسف بن أبي الفرج الجوزي ، الذي سبق له القيام بمثل هذه المهمة في مناسبات أخرى ، وقد اتفق أن مات في حضوره أربعة من السلاطين العظماء : هم الملك (الكامل) صاحب مصر ، وأخوه (الأشرف) صاحب دمشق ، و (العزيز) صاحب حلب ، و (كيقباذ) صاحب بلاد الروم ، فقال في ذلك (ابن المسجف) ، أحد شعراء دمشق :

---

(١) المختصر ٣/٨٠ (٢) المصدر نفسه ٣/١٢٣

يا إمام الهدى أبا جعفر المنـ صور يا من له الفخـار الأثيل
ماجرى من رسولك الآن محيي الـدّين في هـذه البـلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهى وغدا والديـار منهم طـلول
أقفر الروم والشآم ومصر أفهـذا مغسّل أم رسول ؟ [1]

وعندما تكلم أبو الفداء على استسلام الصليبيين المحاصرين في (دمياط) وعلى رأسهم ملك فرنسا (لويس التاسع) في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر سنة ٦٤٨ الموافق ٦ أيار سنة ١٢٥٠ وورود البشرى بذلك إلى سائر الأقطار ، ذكر الأبيات التي نظمها الشاعر جمال الدين يحيى بن مطروح بهذه المناسبة وهي :

قل للفرنسيس إذا جئتـه مقـال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصراً تبتغي ملكها تحسب أن الزمر يا طبـل ريح
وكل أصحابـك أوردتهـم بحسن تدبيرك بطن الضـريح
خمسون ألفاً لا يرى منهم غير قتيـل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عودة لأخذ ثـأر أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان عـلى حالهـا
والقيـد باقي والطواشي صبيح [2]

[دار لقمان هي التي كان ينزلهـا كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان والتي سكن فيها ملك فرنسا بعـد أسره ، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي لحراسته] .

لا شك في أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ينقصه الكثير من المزايا التي نجدها في كتاب (الكامل) لابن الأثير مثل تنوع

(١) المختصر ٣/١٧١-١٧٢ (٢) المصدر نفسه ٣/١٩٠ - ١٩١

المعلومات ، ووفرة الوثائق ، والتوازن بين مختلف العصور والأقاليم ، والتعليقات ، والتأملات حول الأحداث الهامّة ، والأسلوب الجميل في عرض الوقائع بصورة متسلسلة ، متماسكة .

وفي الواقع لم يفكر أبو الفداء ، بادىء الأمر ، في تأليف كتاب شامل . فلم يضع مخططاً لأجزاء الكتاب وفصوله ، ولم يقصد توجيه الكلام إلى القراء ، وشرح آرائه في أحداث التاريخ وتعليلها . وهو إنما قام بتدوين بعض التواريخ لتكون تذكرة له تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة ، وقد كتب هذه المذكرات بأسلوب بسيط ، بل جاف ومختصر للغاية .

على الرغم من هذه الشوائب فقد نال كتاب (المختصر في أخبار البشر) شهرة واسعة سواء في العالم الإسلامي أو في بلاد الغرب . والسبب في هذا التقدير هو أن أبا الفداء استطاع اختصار مجموعة من الكتب التاريخية القيمة ، ضاع بعضها ، وألف منها خلاصة مكثفة ، منقّحة ، بذل كل جهده في تحقيق وضبط ما ورد فيها من تواريخ وأسماء . وإذا كان الباحثون في الوقت الحاضر لم يعودوا يرجعون إلى كتاب (المختصر في أخبار البشر) كمنبع للمعلومات عن الأمم القديمة والعصور الإسلامية الأولى بعد أن نشرت المصادر الأصلية ، المفصّلة ، فإن الفصول الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالعصر الذي عاش فيه المؤلف ، وبالأخص زمن الحروب الصليبية وعهد الأيوبيين والخوارزميين والمماليك ، مازالت تستحق كل اهتمام ، لأن قسماً كبيراً من حوادث هذه الحقبة قد شاهدها أبو الفداء بنفسه ، واشترك فيها وأحسن وصفها بأسلوب مبين ، واضح ، دقيق ، بعيد عن التزويق والتنميق ، مقتصراً على الأمور الهامة . ولعل من أهم العوامل التي دفعت المستشرقين إلى الاعتماد على كتاب (المختصر في أخبار البشر) هو التزام

المؤلف بهذه الطريقة العلمية ، الموضوعية ، حتى عندما يسرد حوادث الحروب الصليبية ، أو يتكلم على أفراد أسرته ، دون أن يبدو عليه شيء من التعصب والانحياز .

وقد اتجهت أنظار الباحثين الأوروبيين منذ أوائل القرن الثامن عشر ، إلى نشر أجزاء منه مع ترجمتها اللاتينية . ثم نشر الكتاب كلّه على مراحل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وترجم إلى اللاتينية والفرنسية والانكليزية ، كما نقل إلى لغة (الأوردو) وطبع في دلهي سنة ١٨٥٦ . وقد ظل الكتاب يعتبر مدة طويلة أهم مصدر يستند إليه المستشرقون في دراساتهم لتاريخ العرب والإسلام ، وبالأخص تاريخ الحروب الصليبية . ويقول (رينو) و (دوسلان) إنه قد حوى أخباراً ما كان يتسنى معرفتها بدونه [١] .

إن أبا الفداء الذي احتفلنا بمرور ٧٠٠ سنة على مولده يستحق كل عناية وتقدير ، لما امتاز به من معرفة واسعة ، وحب للاطلاع والبحث ، ومن نزعة علمية ، وطريقة انتقادية ، ونظرة حيادية ، موضوعية . وهو جدير بأن ندرس آثاره ونبرز قيمتها العلمية ، ومكانتها في تاريخ العلوم ، وتطور الفكر البشري .

محمد كامل عياد

(١) راجع كتاب (تقويم البلدان) طبعة باريس ١٨٤٠ التصدير ص ٢٩

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

أ ـ كتب الغريب قبل كتاب الدلائل :

١

لما حج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة حجة الوداع ، وخطب الناس خطبته الشهيرة الجامعة التي بين لهم فيها ما بيّن ، كان مما قاله في خطبته : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي »(١) .

وخرج العرب المؤمنون من جزيرتهم يداً واحدة ، يبشرون بالهدى ودين الحق ، فدانت لهم الأرض ما بين بحر الظلمات إلى أسوار الصين ، غدت بهم نقية كالزلفة (٢) ، تنبت ثمراتها وتمنح خيراتها ، تظللها رايات العدل ، ويسودها الإخاء والتقوى ، واستمسك أصحاب رسول الله بدعامتي الإسلام : القرآن والسنة أيما استمساك ، وكانوا الأقوياء الأمناء عليها ، مضوا يتدارسون ما فيها ليتفقهوا في الدين وليعلموا قومهم ، فهم أبداً يعلّمون ويتعلمون ، صباحهم ومساءهم لا يفترون ، شعارهم : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ سورة الزمر : ٩) ، يحفزهم

---

(١) المستدرك للحاكم (كتاب العلم) ١ : ٩٣ ، فيض القدير ٣ : ٢٤٠-٢٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٩

(٢) الزلفة : بفتح الزاي واللام ، المرآة ، شبهت الأرض بها لصفائها ونظافتها ، وقيل : هي الروضة . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٦٩

الإيمان ، وتملأ صدورهم الحمية ، وليس أقوى منها ، وتلقى الخلف الثروة عن السلف ، وثمّر الأبناء ما غرس الآباء ، فتفتحت من الكتاب والسنة حدائق ذات بهجة ، باسقات الأشجار ، ظلها دائم ، وقطوفها دانية ، لست في صدد عرضها وتعدادها ، فقد كفى ذلك المؤلفون المتقدمون ، ومن أراد اللمحة الدالة فله العود إلى « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، « وكل علم فمن القرآن »[١] ، وإلى مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، « والسنة تفسر القرآن وتبينه »[٢] ، وإنما يعنيني في كلمتي هذه أن أقف عند علم واحد من تلك العلوم الجمة التي نجمت عن مدارسة الحديث ، وتفهم معانيه ومقاصده ، لا أعدوه إلى سواه ، ألا وهو علم « غريب الحديث » .

٢

نشأ علم « غريب الحديث » نشأته الأولى على أيدي العلماء من أئمة اللغة ، ليُعنى بشرح الكلمات الغامضة الغريبة في حديث رسول الله ، وتفسير ما خفي من معانيه وأساليبه من المشكل الذي لا يفطن إليه إلا بعد الكد والمطاولة . كان علماء اللغة هم فرسان هذا الميدان الذين جروا في مضماره : جرؤوا عليه ، وتفردوا به ، فعرضوا للغريب الغامض في حديث رسول الله من الألفاظ والأساليب ففسروه ، وجلوا معناه ، وكشفوا عن مراميه ، وأبدوا ما ذهبوا إليه من تفسير وشرح بالشواهد من شعر العرب .

ويذكر لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » أوائل من ألّف

(١) التيسير في علوم التفسير للديريني : ٢

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٤١ ، ٢٥٢ ، الاختلاف في اللفظ : ٣٤

في غريب الحديث ، فعدّ منهم أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) وأبا الحسن النضر بن شميل المازني (٢٠٤ هـ) وأبا علي محمد بن المستنير الملقب بقطرب (٢٠٦ هـ) واسم كتابه : « غريب الآثار » وأبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٣ هـ) وأبا عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢١٣ هـ) « وممن روى كتابه في غريب الحديث عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عمرو الشيباني » ، وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) وأبا عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي الراوية ، وأبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١ هـ)[1] .

وذكر الخطيب البغدادي من بينهم أيضاً أبا الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط (٢١١ هـ)[2] ، ونستطيع أن نتلمس صنيع هؤلاء الأئمة في كلمة أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي (٣٤٧ هـ) التي رواها الخطيب البغدادي ، وهو يتحدث عن غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه

---

(١) الفهرست : ٧٤ ، ٨٣ - ٨٥ ، ٨٧ - ٨٨ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٣٥ (ط. مصر) نور القبس : ٢١٧ — ٢١٨ ، مراتب النحويين : ٩١ ، وظل كتاب شرح (غريب الحديث) لأبي عبيدة متداولاً دهراً طويلًا . فكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير الأموي الاشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) ، حدثه به الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) ، انظر فهرست ابن خير : ١٨٥ — ١٨٦ . وروى الأزهري في تهذيبه بسنده ، من غريب الحديث للنضر بن شميل (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٣ — ٥٤)

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير »[١] ، كذلك فإن صاحب « الفهرست » قال في صنيع أبي عدنان : « وله كتاب غريب الحديث ، وترجمته : ما جاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ مفسراً ، وعلى أثره ما فسره العلماء من السلف »[٢] .

ويتحدث ابن الأثير « أبو السعادات المبارك مجد الدين - ٦٠٦ ﻫ » عن هذه المرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، ويصف الطريقة التي انتهجها أئمة اللغة في التأليف فيقول : « فقيل : إن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه ، ومخترع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر .

والثاني : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم .

ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ، وشرح فيه وبسط ، على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعي ، وكان في عصر

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

(٢) الفهرست : ٧٤ ، انباه الرواة ٤ : ١٤٢ . وترجمة الكتاب : عنوانه ، قال ابن قتيبة في مقدمة إصلاح الغلط : ٣ « لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته » ، وسئل الرماني فقيل له : لكل كتاب ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله تعالى ؟! فقال : هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به (البلغة للفيروز ابادي : ١٥٩ — ١٦٠) .

أبي عبيدة وتأخر عنه ، كتاباً أحسن فيه الصنع وأجـــاد ، ونيّف على كتابه وزاد (١) ، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه ، جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها ، في أوراق ذوات عـــدد ، ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر ، (٢) .

ـــ لقد استأثر اللغويون بالمرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، وكانت طريقتهم أن يأتوا بالحديث مجرداً عن سنده ، ليتفرغوا لتفسير الغريب من كلماته ، والغامض المشكل من أساليبه ، لم يشذ منهم أحد عن ذلك ، غير أبي عدنان الذي خرج على إجماعهم ، فساق في كتابه الأحاديث بأسانيدها ، وصنفها على أبواب السنن والفقه ، ثم كانت تآليفهم ، في الأعم الأغلب ، صغيرة ، موجزة ، لا تتوخى الإحاطة والشمول .

ـ ويذكر المؤلفون أن أبا بكر الحسين بن عياش السلمي الباجدائي الرقي الجزري (٢٠٤ هـ) قد ألّف مصنفاً في غريب الحديث ، وكان الحسين أديباً ، فاضلاً ، فصيحاً ، ولكننا لا نستطيع أن ندرج اسمه بين أئمة اللغة ، وليس بين أيدينا وصف لكتابه الذي وضعه ، ورواه عنه أبو عمر هلال بن العلاء

(١) يقول ابن النديم في الفهرست : ٨٨ - ٨٩ ، وهو يعدد كتب الأصمعي : « وله كتاب غريب الحديث ، نحو مائتي ورقة ، رأيته بخط السكري » . ثم يذكر له مرة أخرى في الموضع نفسه : « كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي » . أما الإمام الخطابي ، فقد ذكر ، وهو يعدّد كتب غريب الحديث ، كتاب الأصمعي وقال : « يقع في ورقات معدودة » ، انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ويذكر ذاكرون أن الأصمعي لم يكن يجيب في القرآن وحديث النبي تحرجاً وورعاً (مراتب النحويين ٤١ ، ٤٨-٤٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ط . الخيرية) ١ : ٤ - ٥

الباهلي الرقي (١٨٤ – ٢٨٠ هـ) ثم رواه عن هلال أبو القاسم الحسين بن عبد الله بن مناذر الواسطي (١) .

٣

وإذا كانت الفترة الزمنية لهذه المرحلة تبدأ في القرن الثاني الهجري لتختم في مطالع القرن الثالث ، فإنه يحق لنا أن نضم إليها كتباً ألفها أصحابها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهي بذلك تتداخل من الناحية الزمنية بكتب المرحلة الثانية ، ولكنها ، من حيث طريقة تأليفها ، أشبه بكتب المرحلة الأولى ، بل هي امتداد وتتمة لها .

وأبرز من نعدهم في هذا الصدد من مؤلفي هذا النمط من كتب الغريب :

عمرو بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١ هـ) وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم (٢٣٠ هـ) وصاحبا الفراء : أبو جعفر محمد بن قادم ، وأبو محمد سلمة بن عاصم الكوفي ، وأبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) وأبو معاذ النحوي اللغوي صاحب القراءات ، وأبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥ هـ) وكتابه في غريب الحديث كبير جداً (٢) .

---

(١) الفهرست : ٩٦ (ط . إيران) ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٦٢ – ٣٦٣ ، ١١ : ٨٣ – ٨٤ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ولعل في المطبوع من تاريخ بغداد سقطاً ، إذ لم يرد فيه ترجمة الحسين بن عياش السلمي. وذكر صاحب تاريخ الموصل : ٣٥٥ ، في أحداث سنة ٢٠٤ هـ ، موت الحسن ابن العباس الخزرجي وقال فيه : « وهو مولى لبني سليم ، وكان فصيحاً ، وله كتاب في غريب الحديث » . ويبدو لي أن الاسم والنسبة محرفان عن الحسين بن عياش الجزري.

(٢) الفهرست : ٨٩ – ٩٠ ، ١٠٦ – ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، بغية الوعاة : ٢٦٦ – ٢٦٧ ، انباه الرواة ٤ : ١٧٩ ، غريب الحديث لأبي عبيد الصفحة (هـ) من المقدمة ، مقدمة تهذيب اللغة للأزهري : ٦٥ – ٦٨ ، وجعل الأزهري أبا معاذ النحوي في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، مع أبي عبيد القاسم بن سلام (مقدمة تهذيب اللغة : ٦٥) .

٤

وبدأت المرحلة الثانية في علم « غريب الحديث » بظهور كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي البغدادي (١) .

١ – ولد أبو عبيد (٢) بهراة ، في حدود عام ١٥٧ هـ ، وتبينت فيه مخايل النجابة والنبوغ منذ صغره ، فطلب العلم ، وسمع الحديث ، ودرس الأدب ، ونظر في الفقه ، وروى اللغة عن أعظم علماء عصره من أئمة اللغة ، أمثال أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي ، وغيرهم من البصريين ، وأمثال ابن الاعرابي وأبي زياد الكلابي وأبي محمد عبد الله بن سعيد الاموي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والأحمر والفراء ، وأبي الحسن علي بن حازم اللحياني وغيرهم من الكوفيين .

— وصل أبو عبيد أسبابه ببعض الحكام والأمراء في عصره ، كان مؤدباً لأولاد الهراثمة ، وتوثقت علاقاته بآل طاهر بن الحسين أمراء خراسان ، وبعبد الله بن طاهر منهم خاصة ، وعلت منزلته لديهم ، ولما

(١) طبع كتاب غريب الحديث لأبي عبيد في الهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد الدكن ، وصدرت أجزاؤه الأربعة ما بين سنتي (١٩٦٤ – ١٩٦٧ م) وصدر مصححه محمد عظيم الدين جزءه الأول بمقدمة فيها نقول من مخطوطة كتاب غريب الحديث للخطابي ، المحفوظة في مكتبة الجامعة العثمانية .

(٢) انظر أبرز مصادر ترجمة أبي عبيد في انباه الرواة ٣ : ١٢ (الحاشية) والأعلام ٦ : ١٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ١٠١ – ١٠٢ ، ووفيات الأعيان (ح ، الدكتور إحسان عباس) ٤ : ٦٠ (الحاشية) ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية الجديدة) ١ : ١٦١ – ١٦٢

قدم بغداد وأقام بها يؤلف ويعلم ، تعرّف إلى ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ، وتولى ثابت أمر الثغور في عام ١٩٢ هـ ، أواخر عهد الرشيد ؛ فاصطحب أبا عبيد إلى طرسوس وولاه القضاء بها ثماني عشرة سنة (١٩٢ – ٢١٠ هـ) وقُدّر لأبي عبيد أن يسافر إلى مصر ، مع العالم المحدث الكبير يحيى بن معين ، في سنة ٢١٣ هـ ، فاستفاد ممن لقيه بها من العلماء وأفاد ، (كتب بمصر وحُكي عنه) ، ثم عاد إلى بغداد ، واستأنف سيرته الأولى يؤلف ويعلم ، ويذكر أبو بكر سنان بن محمد أنه سمع من أبي عبيد ببغداد سنة عشرين وإحدى وعشرين ومائتين ، ولحق أبو عبيد في أخريات أيامه بمكة مجاوراً ، بعد أن صنف ما صنف من كتبه ، ولم يزل بها إلى أن توفي في عام ٢٢٤ هـ ، وقد بلغ سبعاً وستين سنة .

كان أبو عبيد ذا فضل ودين وسيرة جميلة ومذهب حسن ، عده الأزهري في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، وقال في صفته : « وكان ديناً ، فاضلاً ، عالماً ، أديباً ، فقيهاً ، صاحب سنة ، معنياً بعلم القرآن وسنن رسول الله ﷺ ، والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل »(١) ويعده علماء اللغة الكوفيون من أبرز علمائهم ، وكبار أئمتهم(٢).

٢ — صنف أبو عبيد الكتب في فنون شتى ، في علوم اللغة والفقه ، والقرآن ، وغريب الحديث ، والامثال ، ومعاني الشعر ، وغير ذلك ،

---

(١) الفهرست : ٧٨ ، ١١٢ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ — ٤١٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ – ٦١ ، انباه الرواة ٢ : ٢٥٥، ٢٥٧ ، ٣ : ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، نور القبس : ٣١٤ – ٣١٥ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ ، تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٩ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، كتاب الأموال : ٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ — ٣١٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٥٩ – ٢٦٢ ، غريب الحديث لأبي عبيد ١ : ٢٢٦

(٢) مراتب النحويين : ٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٩٩ – ٢٠٢

وكان حسن الرواية ، صحيح النقل ، روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً ، عدّ منها صاحب الفهرست عشرين كتاباً ، وذكر أن له غير ذلك من الكتب الفقهية (١) .

وكانت كتبه مستحسنة ، مطلوبة في كل بلد ، وقد أجزل له الامراء ، وبنو طاهر بن الحسين خاصة ، العطاء اعترافاً بفضله ، وجودة تآليفه . قال أبو الطيب اللغوي : « وكان أبو عبيد يسبق بمصنفاته إلى الملوك فيجيزونه عليها ، فلذلك كثرت مصنفاته » (٢) . وحظي أبو عبيد برواة ثقات مشهورين ، ذوي ذكر ونبل ، نبغوا وتصدروا للاقراء والافادة ، حملوا علمه إلى الآفاق ، وأقرأوا كتبه ، ونشروا مروياته ومسموعاته (٣) .

٣ - ليس من همنا الحديث عن كتب أبي عبيد ، المطبوع منها والمخطوط (٤) ، وإنما غرضنا أن نعرض بإيجاز لكتابه الشهير (غريب

---

(١) الفهرست : ١١٢ – ١١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ : وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ ، نور القبس : ٣١٥

(٢) الفهرست : ١١٢ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤

(٣) الفهرست : ٧٧ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٥٧ – ٥٨ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٠٥ – ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ ، فهرست ابن خير : ١٨٦ – ١٨٧ ، انباه الرواة ١ : ٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢ : ١٤٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣ : ٢١ – ٢٢ ، ٢٦٣

(٤) المطبوع من كتب أبي عبيد :
أ – كتاب الامثال (انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ١٢١) ، كما طبع شرحه :
– فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري (ط ١ ، ١٩٥٨ م ، ط ٢ ، ١٩٧١ م) .
ب – كتاب الأموال (مصر ١٣٥٣ هـ)
ج – كتاب الأجناس (الهند ١٩٣٨ م) =

الحديث) ؛ الذي يعد بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل التأليف في هذا الفن .

ـ كان السابقون ممن عرضوا لغريب الحديث من أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن لهم كبير مشاركة في علوم أخرى ، أما أبو عبيد فكان أول من تصدى لهذا الفن من التأليف ، ولم تكن اللغة وحدها كل زاده ، كان ، كما ذكرنا ، متفنناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والحديث والعربية والاخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، حتى قال فيه ابراهيم الحربي : « كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح ، يتكلم في كل صنف من العلم » . وأعانه ذلك على أن ينهج في تأليفه نهجاً جديداً ، يفيد فيه من مشاركته في علوم عدة متنوعة ، تتصل بالحديث متناً واسناداً ، ليخرج به على السنن الذي سلكه سابقوه في التأليف(١) .

ـ تتبع أبو عبيد أحاديث رسول الله على كثرتها ، وآثار الصحابة والتابعين ، على تفرقها وتعددها ، وأحاط بكل ما أُلف قبله في هذا الشأن ، واستوعب كل ما سبقه ، فلما تكامل له جمع ما احتاج الى بيانه من الأحاديث

= د ـ كتاب غريب الحديث (الهند ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م)

هـ ـ كتاب الإيمان (دمشق ١٣٨٥ هـ)

ونسب إليه :

و ـ كتاب النعم (ليبزيغ ١٩٠٨ م)

ز ـ رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات العرب ، طبعت بهامش كتاب التيسير في علوم التفسير للديريني (مصر ١٣١٠ هـ)

ح ـ كتاب الرحل والمنزل (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

ط ـ كتاب النخل والكرم (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١١ ، ٤١٣ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١

عرضها في كتابه مشفوعة بأسـانيدها ، وهذا مالم يقو عليه سابقوه ، ولا تطرقوا اليه(١) .

-- كانت طريقته ان يورد الحديث ، ثم يعقب بذكر سنده ، ليمضي بعد ذلك في الكشف عما غمض من كلماته ، ويفسر الغريب من الفاظه ، وإذا اتفق أن كان اللفظ من المشترك فقد يتطرق إلى ذكر جملة من معانيه ، إضافة إلى معناه الوارد في الحديث . وقد يدعوه تفسير لفظة إلى تفسير أخوات لها تلاقيها في الاشتقاق . ويمتد به نفس القول احياناً ، فيما أشكل من الاحاديث ، فيمدُّ من اطراف الشرح والتفسير ، ايضاحاً لمعناها ، وبيانا لوجهها ، وتأويلاً لمتشابهها ، وقد يستطرد الى ألوان من الفقه ، وبسط للأحكام ، ناقلاً في شروحه وتفاسيره أقوال ائمة اللغة ، مؤيداً قوله بآيات من القرآن وبشواهد من الشعر ، ليسترسل احياناً في تفسير ما جاء في الآيات والشعر من غريب .

-- بدأ ابو عبيد كتابه بذكر أحاديث رسول الله ، ثم أتبعها ذكر أحاديث الصحابة فالتابعين ، كل على حدته(٢) . وعني ابو عبيد بكتابه أتم عناية ، بذل فيه جهده ووكده ، وأفنى فيه عمره ، حتى بلغ فيه مـا بلغ من الاجادة والاتقان في التصنيف . كان كلامه (كالمسمار في الساج) دقة وتحقيقاً ، واستهوت طريقته الجديدة التي سلكها في التأليف أهل الحديث والفقه واللغة ، فرغبوا في كتـابه ، وتسابقوا الى دراسته ، لاجتماع مـا يحتاجون اليه فيه(٣) .

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، وقد شغلت أحاديث رسول الله الجزءين الأول والثاني من الكتاب المطبوع ، وسبع صفحات ومائتين من الجزء الثالث ، أما أحاديث الصحابة فقد شغلت بقية الجزء الثالث (ص : ٢٠٨ — ٤٨٦) ، وإحدى وأربعين وثلثمائة صفحة من الجزء الرابع ، وكان لأحاديث التابعين بقية الجزء الرابع ما بين الصفحة ٣٤٢ إلى الصفحة ٥٠٠ .

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥

٤ - ولعل من الخير أن نقتطف من كتاب غريب الحديث ما نتمثل به طريقة ابي عبيد واضحة جلية .

- (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : الطيرة والعيافة والطرق من الجبت[1] ، قال : حدثناه الفزاري مروان واسحاق الأزرق او أحدهما ، عن عوف عن حيان عن قطن بن قبيصة عن قبيصة بن مخارق الهلالي عن النبي ﷺ .

قال أبو عبيد : قوله : العيافة ، يعني زجر الطير ، يقال منه : عفت الطير أعيفها عيافة ، ويقال في غير هذا : عافت الطير تعيف عيفاً ، اذا كانت تحوم على الماء ، وعاف الطعام يعافه عيافاً ، وذلك اذا كرهه .

وأما قوله : « في الطرق » فانه الضرب بالعصا ، ومنه قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالعصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال : بعضهم يرويه : الضوارب بالعصا ، ومعناهما واحد ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد ، لأنه يطرق بها ، اي يضرب ، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف .

والطرق ايضاً في غير هذا : الماء الذي قد خوضته الابلُ وبوّلت فيه ، فهو طرق ومطروق ، ومنه حديث ابراهيم : الوضوء بالطرق أحبّ اليّ من التيمم ، وأما الطروق فانه من الطارق الذي يطرق ليلا ، وأما الاطراق فانه يكون من السكوت ، ويكون ايضاً استرخاء في جفون العين ، يقال منه : رجل مطرق . قال الشاعر في عمر بن الخطاب يرثيه :

وما كنت أخشى ان تكون وفاته بكفى سبنتي أزرق العين مطرق[2]

---

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٩٤ ، والنهاية (ح . الطناحي) ٣ : ١٢١ ، ٣٣٠

(٢) ينسب البيت للشماخ ، ولاخويه مزرد وجزء ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ق ٣ : ١٠٩٠ - ١٠٩٢ ، والاصابة ٦ : ٨٥

وأما التطارق فهو اتباع القوم بعضهم بعضا ، يقال : قد تطارق القوم اذا فعلوا ذالك ، ومنه قيل للترسة : المجانّ المطرقة ، يعني قد اطرقت بالجلود والعصب اي أُلبسته ، وكذلك النعل المطرقة ، هي التي أضيفت اليها أخرى . واحد المجان : مجن).[1]

(١) غريب الحديث ٢ : ٤٤ - ٤٨ ، والحديث صالح الاسناد

- مروان الفزاري ، شيخ أبي عبيد ، هو مروان بن معاوية ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ ، إلا أنه كان يدلس أسماء الشيوخ . مترجم في الجرح والتعديل ٤/١ : ٢٧٢ - ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٥ - ٢٩٦ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٩٣ - ٩٤ ، والعبر ١ : ٣١١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٩٦-٩٨ ، والتقريب ٢ : ٢٣٩

- وإسحاق الأزرق ، شيخ أبي عبيد الآخر ، هو إسحاق بن يوسف ابن مرداس المخزومي الواسطي ، من الثقات المأمونين . مترجم في الجرح والتعديل ١/١ : ٢٣٨ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٣١٥ وتاريخ واسط : ١٥٦ - ١٥٧ وتاريخ بغداد ٦ : ٣١٩ - ٣٢١ وتذكرة الحفاظ : ٣٢٠ - ٣٢١ ، والعبر ١ : ٣١٨ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٢٥٧ والتقريب ١ : ٩٣

- وعوف ، هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي الهجري أبو سهل البصري ، ثقة . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٥ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٠٥ ، والعبر ١ : ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٦٦ - ١٦٧ ، والتقريب ٢ : ٨٩

- وحيان ، هو حيان بن العلاء ، قال فيه الحافظ في التقريب ١ : ٢٠٨ ، مقبول . وهو مترجم في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٦٨

- وقطن بن قبيصة ، قال فيه الحافظ في التقريب ٢ : ١٢٦ ، صدوق . مترجم في أخبار أصبهان ٢ : ١٥٨ والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٣٧ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨١

- وقبيصة بن مخارق الهلالي ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٥ ، =

– (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : ان افضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر(١) ، حدثنيه يحيى بن سعيد ومحمد بن عمر الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد ، قال يحيى : عن عبد الله بن لحي ، وقال محمد : عن عبد الله بن نجي ، عن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ .

قال ابو عبيد : قوله : يوم القر ، يعني الغد من يوم النحر ، وانما سمي يوم القر ، لان اهل الموسم يوم التروية وعرفة والنحر في تعب من الحج ، فاذا كان الغد من يوم النحر قروا بمنى ، فلهذا سمي يوم القر ، وهو معروف من كلام اهل الحجاز .

قال ابو عبيد : سألت عنه ابا عبيدة وابا عمرو [الشيباني] فلم يعرفاه ، ولا الاصمعي فيما أعلم)(٢) .

= والإصابة ٥ : ٢٢٧ ، والتهذيب ٨ : ٣٥٠ والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٧٧ عن يحيى بن سعيد عن عوف به ، وفيه بعده قال : العيافة من الزجر ، والطرق من الخط ، ثم أخرجه ٥ : ٦٠ عن روح عن عوف به أيضاً .

وأخرجه أبو داود ٤ : ٢٣ (عون المعبود) عن مسدد عن يحيى عن عوف به ، وفيه عقبه : « الطرق : الزجر ، والعيافة : الخط » عكس ما جاء عند أحمد في الموضع الأول . وأخرجه ابن سعد في ترجمة قبيصة في الطبقات ، عن أحمد بن جعفر بن مالك ، عن بشر بن موسى عن هوذة بن خليفة عن عوف به أيضاً .

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٢٦ ، والنهاية (ح ، الطناحي) ٤ : ٣٧

(٢) غريب الحديث ٢ : ٥٢ – ٥٣

– ويحيى بن سعيد ، شيخ أبي عبيد ، هو يحيى بن سعيد القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٩٣ ، والجرح والتعديل ٤/٢ : ١٥٠ – ١٥١ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٣٥ – ١٤٤ ، والعبر ١ : ٣٢٧ – ٣٢٨ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٨ – ٣٠٠ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٢١٦ – ٢٢٠ =

= — ومحمد بن عمر الواقدي ، شيخ أبي عبيد الآخر ، تكلم فيه غير واحد من أئمة الحديث ، وقال الحافظ في التقريب ٢ : ١٩٤ ، متروك مع سعة علمه . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ – ٣٣٥ ، والجرح والتعديل ٤/١ : ٢٠ – ٢١ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٣ – ٢١ ، والعبر ١ : ٣٥٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٣٤٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ – ٦٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣–٣٦٩

— وثور بن يزيد ، أبو خالد الكلاعي الحمصي ، ثقة ثبت ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٦٧ ، والجرح والتعديل ١/ ١ : ٤٦٨–٤٦٩ ، والعبر ١ : ٢١٩ ، وتذكرة الحفاظ : ١٧٥ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٣ – ٣٥ ، والتقريب ١ : ١٢١

— وراشد بن سعد المقرائي ويقال الحبراني الحمصي ، ثقة ، من أثبت أهل الشام . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٥٦ ، والجرح والتعديل ١ / ٢ : ٤٨٣ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٥ – ٢٢٦ ، والتقريب ١ : ٢٤٠

— وعبد الله بن لحي : الحميري ، أبو عامر الهوزني الحمصي ، ثقة ، مترجم في الجرح والتعديل ٢ / ٢ : ١٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٢٢١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ ، والتقريب ١ : ٤٤٤

— وعبد الله بن قرط ، الأزدي الثالي ، صحابي ، مترجم في الإصابة ٤ : ١١٨ – ١١٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٣٠١ : وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٦١ ، والجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٠ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٤١٥

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٥٠ عن يحيى بن سعيد عن ثور به ، إلا أنه سمى فيه عبد الله بن لحي : عبد الله بن نجي ، وفيه : أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر .

وأخرجه أبو داود ٢ : ٨٢ (عون المعبود) عن إبراهيم بن موسى الرازي عن عيسى ، وعن مسدد عن عيسى = عن ثور به ، وفيه بعده ، قال عيسى ، قال ثور : وهو اليوم الثاني.

وذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة عبد الله بن قرط أن حديثه هذا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن لحي عنه .

(تولى الخلافة ١٩٨ — ٢١٨ ﻫ) وقرأه عليه ، وعرضه على عبد الله ابن طاهر فاستحسنه ، وأجرى عليه رزقا كل شهر ، ثم كان أول من سمعه منه المحدث الكبير يحيى بن معين ، أعلمُ الناس بصحيح الحديث وسقيمه ، وكتب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل كتاب غريب الحديث إعجاباً به وتقديراً (١) .

— وكان أبو عبيد معجباً بصنيعه ، يذكر ما عاناه في سبيله حتى استوى له على صورته التي تم عليها ، فقد روي عنه أنه قال : « كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة » (٢) .

وأقرأ أبو عبيد الناس ببغداد كتابه في (غريب الحديث) (٣) ، وأشار إليه في كتابه (الامثال) (٤) وأما كتابه الأجناس فمستخرج من غريب الحديث (٥) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٦ — ٤٠٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، نور القبس : ٣١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٩١

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٧ ، طبقات الحنابلة ١ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، وروى الأزهري هذه الكلمة لأبي عبيد في كتابه (الغريب المصنف) (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ — ٥٧) ، وفي مراتب النحويين : ٩٣ ، « قال أبو عبيد : جمعت كتاب (الغريب المصنف) في ثلاثين سنة » . أما القفطي فقد روى كلمة أبي عبيد مرة بصدد غريب الحديث ، ومرة بصدد الغريب المصنف (إنباه الرواة ٣ : ١٦ ، ٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٥

(٤) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ط ٢) : ٦٠١

(٥) الأجناس : ١

وقُدر لكتاب أبي عبيد أن يحجب ما سبقه من كتب ، وأن يحتل المنزلة الأولى في كتب غريب الحديث ، حتى قال فيه ابن الأثير : « جمع أبو عبيد كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً ، لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة في هذا الشأن » وكان الهلال بن العلاء الرقي يقول : « منّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم ، بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ، لولا ذلك كفر الناس ، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، وبأبي عبيد القاسم بن سلام ، فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ، لولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ » وذكر ابن خلكان مقالة لقوم أجازوا لأنفسهم أن يجعلوا أبا عبيد أول من صنف في هذا الشأن إعجاباً بما جاء به فقال في كتابه وفيات الأعيان وهو يتحدث عن أبي عبيد : « ويقال : إنه أول من صنف في غريب الحديث » ، وكأنهم لم يعتدوا بتلك الكتب التي سبقت ، تفخيماً لصنيع أبي عبيد ، وتمييزاً له عنها . وتناقلت الرواة كتاب أبي عبيد في مشرق الأرض ومغربها ، وكان له في الأندلس شأن أي شأن . « وبقي على ذلك كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه ، ويعتمدون في غريب الحديث عليه » ذلك بأنه انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون (١) .

٦ - وإذا كان كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد قد لقي

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، غريب الحديث لأبي عبيد ص (ﻫ) من المقدمة ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٠ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨

الإعجاب والتقدير ، فـإن ذلك لم يعفه من أن يعرض له عدة علماء بالنقد والرد .

– كان نقد بعضهم ينصبّ على أن أبا عبيد لم يأت في تصانيفه بجديد ، وإنما سلك طريقاً ملحوباً ، مهده له من جاء قبله من العلماء والأئمة ، يقول ابن درستويه (٣٤٧ ﻫ) في ذلك — وكان ابن درستويه شديد الانتصـار للبصريين في النحو واللغة — : « وقد سُبق [أبو عبيد] إلى جميع مصنفاته ، فمن ذلك الغريب المصنف ... وكتاب غريب الحديث ، أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ... فجمع أبو عبيد عامة ما في كتبهم وفسره ، وذكر الأسانيد ... وكذلك كتابه في معاني القرآن ... » ويمضي ابن درستويه ليؤكد أن أبا عبيد في كتبه قد عمد إلى كتب السابقين فأفاد منها ، وقد يضيف إليها ما يحسنها [١].

وجاء أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ ﻫ) – وكان مفرط العصبية للبصريين ، ينحي على من سواهم ، ولا يرى العلم إلا ما جاءوا به [٢] – فأيد مقالة ابن درستويه في اعتماد أبي عبيد في تآليفه على السابقين ، ينتزع كتبه من تصانيفهم ، كما أضاف إلى ذلك أن أخذ على أبي عبيد قلة روايته في اللغة ، وأن أكثر ما يحكيه عن علماء البصرة غير سماع ، قال في حقه : « وأما أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه مصنف حسن التأليف ، إلا أنه قليل الرواية ، تقطعه عن اللغة علوم افتنّ فيها .... وأما كتابه في (غريب الحديث) فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في (غريب الحديث) .... وذكر أهل البصرة أن أكثر ما يحكيه عن

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، البلغة للفيروز ابادي : ١٠٧ ، وصحفت كلمة (سبق) بالباء الموحدة في طبعة تاريخ بغداد إلى (سيق) بمثناة تحتية .

(٢) مراتب النحويين : ٢٤ – ٢٧ ، ٧٤ – ٧٥ ، ٩٠ – ٩٢

علمائهم غير سماع ، إنما هو من الكتب . . . . وكان ناقص العلم بالإعراب »[١] .

– وتصدى علماء لنقد كتاب (غريب الحديث) خاصة ، قال إبراهيم الحربي (٢٨٥ هـ) : « وكتاب غريب الحديث فيه أقل من مائتي حرف « سمعت »، والباقي : « قال الأصمعي ، وقال أبو عمرو » ، وفيه خمسة وأربعون حديثاً لا أصل لها ، أتي فيها أبو عبيد من أبي عبيدة معمر بن المثنى » وفي رواية أخرى عنه : « في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل » وفي رواية ثالثة عنه : « في كتاب أبي عبيد : غريب الحديث ، مائة وخمسة وعشرون حديثاً ليس لها أصل قد علمت عليها في كتابي »[٢] .

– وردّ أبو سعيد أحمد بن خالد البغدادي الضرير على أبي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب (غريب الحديث)[٣] .

– ثم قام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) بوضع كتاب فيما أخذه على أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، سماه إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث[٤] .

(١) مراتب النحويين : ٩٣

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣٥ – ٣٦ و ١٢ : ٤١٣ ، معجم الأدباء ١ : ١٢١ ، نزهة الألباء : ٢٧٧ ، نور القبس : ٣١٥ وفي مطابع عبارة (نور القبس) سقط يستكمل من تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٣

(٣) مقدمة تهذيب الأزهري : ٦٣ – ٦٤ ، إنباه الرواة ١ : ٤١ ، معجم الأدباء ٣ : ١٦ – ١٧ ، بغية الوعاة : ١٣١ – ١٣٢

(٤) الفهرست : ١٢٢ ، ١٣٥ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨ ، بغية الوعاة ٢٩١ ، وسنفصل القول في الكتاب حين نتحدث عن ابن قتيبة وجهوده في غريب الحديث ، في الفقرة التالية .

— وألّف أبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة كتاب (الرد على أبي عبيد في غريب الحديث)[١].

٥

ويعد ابن قتيبة الرجل الثاني الذي يمثل هذه المرحلة الجديدة من مراحل التأليف في غريب الحديث ، والتي بدأها أبو عبيد .

١ — ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري[٢] في سنة ٢١٣ هـ ببغداد ، وقيل : بالكوفة ، ونشأ وترعرع في جنبات بغداد ،

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٢٢ ، وقد رد علماء آخرون على أبي عبيد القاسم بن سلام ، ولكننا لم نورد هنا إلا ما كان من ردود علماء القرن الثالث الهجري ومطالع الرابع ، وإلا ما كان صريحاً في الرد على غريب الحديث خاصة ، لا في الرد على كتاب آخر من كتب أبي عبيد كالغريب المصنف ، ولا في الرد على غلط أبي عبيد في كتبه عامة ، مثل كتاب أبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي المعروف بصعودا (فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه) ، ومثل كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (٣٤٥ هـ) ، (ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه وصنفه) انظر الفهرست ١١٦ ، ١٢٠ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ و ١٩ : ١٠٥ .

(٢) انظر مصادر ترجمة ابن قتيبة في إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ١٥٠ — ١٥١ ، وكتاب المعاني الكبير ، الصفحة (د) من المقدمة ، وكتاب عيون الأخبار ٤ : ١٢ (من المقدمة) . وقد خصه الأستاذ السيد أحمد صقر بكلمة طيبة في مقدمة كتاب : تأويل مشكل القرآن ، ثم أفرد له الأستاذ جيرار لكونت كتابه الجامع الوافي (ابن قتيبة) (ط . المعهد الفرنسي بدمشق — ١٩٦٥ م) ، وهو يعد من أجود الدراسات التي صدرت عن ابن قتيبة حتى الآن ، وقد عرض في كتابه لمصادر ترجمة ابن قتيبة ، والدراسات التي ألفت عنه ، كما حرر الأستاذ لكونت مقالة ابن قتيبة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة الفرنسية) ٣ : ٨٦٨ — ٨٧١

فتأدب على أيدي علمائها وفقهائها ومحدّثيها . وهو مروزي الأصل وإنما سمي الدينوري لأنه ولي قضاء الدينور [١] مدة فنسب إليها ، وإذ كانت الدينور من أمهات مدن الجبل أجاز البيروني لنفسه أن يجعله (الجبلي) [٢].

– كان ابن قتيبة منذ نشأته طلعة ، ذا نفس تواقة إلى المعرفة والنظر في كل علم ، يقول عن نفسه : « وقد كنت في عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم » [٣]، فغشي مجالس الفقه والتفسير والحديث ، وتردد على حلقات الأدب واللغة والتاريخ ، ونهض بعبء الطلب حق النهوض ، يريد أن يلم بكل شيء ، مشغوفاً بالدرس ، لا يختار عنه بديلاً ، حتى توصل إلى ما شاء من تلك الثقافة العريضة ، واجتمعت له علوم كثيرة ، فهو عالم باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن والحديث ومعانيهما ، والشعر ، والفقه ، روى عن كبار أئمة اللغة في عصره أمثال أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨ هـ) وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ هـ) وأبي الحسن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي سعيد أحمد بن خالد المكفوف البغدادي [٤] ،

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين كثيرة الثمار والزروع ، ولها مياه ومستشرف . والدينور بمقدار ثلثي همذان ، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) .

(٢) الآثار الباقية : ٢٣٨ ، والجبل أو الجبال : هي البلاد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة (معجم البلدان ، كلمتا : الجبل ، والجبال) .

(٣) تأويل مختلف الحديث : ٦١

(٤) أخطأ القفطي في إنباه الرواة (١ : ٤١) حين ذكر أن أبا سعيد الضرير (المكفوف) قدم على ابن قتيبة وأخذ عنه ، فعكس الأمر وقلب الواقعة .

وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٢٤٩ هـ)[١] . وبلغ من اتساعه في المعرفة ، وافتنانه في العلوم أن عده الذهبي : من أوعية العلم . وكان ابن قتيبة صادقاً فيما يرويه ، ثقة ، ديناً ، فاضلاً .

— ألف ابن قتيبة الكتب الحسان في فنون شتى من القرآن والحديث والفقه والأخبار واللغة والشعر ، وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ، وكان كثير التصنيف والتأليف ، عدد له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً من تآليفه [٢] وقال : « وكتبه بالجبل مرغوب فيها » ، وقال أبو زكريا محيي الدين النووي (٦٧٦هـ) وهو يتحدث عن ابن قتيبة : « وله مصنفات كثيرة جداً ، رأيت فهرستها ونسيت عددها ، أظنها تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم »[٣] .

تنوعت تآليف ابن قتيبة بتنوع معارفه ، وكان لكتبه شأن أي شأن في المغرب والاندلس حتى كانوا يقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه ، وقال ابن كثير : « وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه » ، وعد ابن خلدون في مقدمته كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة واحداً من أربعة دواوين هي أصول علم

(١) ذكر الفيروز ابادي في البلغة : ١١٦ ، أن ابن قتيبة روى عن ابن الأعرابي ، وقد تفرد الفيروز ابادي بهذه الرواية ، ولعله وهم بمحمد بن زياد ابن عبيد الله الزيادي أحد شيوخ ابن قتيبة . وانظر شيوخ ابن قتيبة في مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٣-٦ ، وفي كتاب (ابن قتيبة)لجيرار لكونت:٤٥-٧٤

(٢) ذكر ابن النديم وهو يعدد كتب ابن قتيبة كتاب عيون الشعر ، وأنه يحتوي على عشرة كتب منها كتاب المراتب ، ثم عاد فذكر كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر ، فإذا أسقطنا الثاني لأنه جزء من الكتاب الأول ، كان ما ذكره ابن النديم من كتب ابن قتيبة اثنين وثلاثين كتاباً (الفهرست : ١٢١ - ١٢٢) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ، الجزء الثاني : ٢٨١

الأدب وأركانه . وتوفي ابن قتيبة فجأة في سنة ٢٧٦ هـ[1] .

٢ - لن نعرض لكتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع[2] ، ولا لاختلاف آراء العلماء فيها ، وكل ما يعنينا انما هو كتابه الذي ألفه في (غريب

(١) الفهرست : ١٢١ - ١٢٢ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ - ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ - ٤٤ ، بغية الوعاة : ٢٩١ ، البلغة للفيروز ابادي : ١١٦ ، مراتب النحويين : ٨٤ - ٨٥ ، تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية : ١٢١ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٣ ، البداية والنهاية ١١ : ٤٨ ، ٥٧ و١٣ : ٢٧٨-٢٧٩ ، مقدمة ابن خلدون : ٤٨٩ ، تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠-١٧١

(٢) المطبوع من كتب ابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، أدب الكاتب ، الأشربة ، إصلاح الغلط ، الأنواء ، تأويل مختلف الحديث ، تأويل مشكل القرآن ، تفسير غريب القرآن ، الشعر والشعراء ، العرب ، عيون الأخبار ، المسائل والأجوبة ، المعارف ، المعاني الكبير ، الميسر والقداح .

وينسب إليه كتاب الإمامة والسياسة وليس له ، ورسالة في اللبأ واللبن منتزعة من كتاب الجرائيم المنسوب إليه (البلغة في شذور اللغة : ١٤٦ ، ط ١٩١٤ م بيروت) .

وذكر صاحب الأعلام في المستدرك الثاني : ١٣٣ أن كتاب ابن قتيبة في غريب الحديث قد طبع جزءان منه في الهند ، ولست على يقين من صحته . وقد جمع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني (٤٥٤ هـ) بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لابن قتيبة في كتاب القرطين المطبوع في القاهرة (١٣٥٦ هـ) .

وانظر صفة كتب ابن قتيبة في مقدمة الجزء الرابع من عيون الأخبار ، ٤ : ١٩ - ٣٨ ، وفي مقدمة كتاب القرطين ، الصفحة (ط - ص) ، وفي مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٧ - ٣٥ ، وفي الفصل الخامس من كتاب (ابن قتيبة) لجيرار لكونت : ٩٣ - ١٧٨

الحديث) ، يتابع فيه الطريقة التي ابتدأها أبو عبيد القاسم بن سلام وكان أبا عُذرها .

– نشأ ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري ، القرن الذي كان من أخصب القرون في حفظ الحديث وتدوينه وروايته والتأليف فيه ، وشهد ابن قتيبة كبار المحدثين والحفاظ ، وحذاق اصحاب الجرح والتعديل ، وكان ، كما ذكرنا ، منهوماً بالعلم ، متعلقاً بالمعرفة ، قد أخذ من كل علم بطرف ، وأتيح له أن يلي القضاء ، فدفعه ذلك الى ان يمضي في بسط آفاق معرفته في اللغة والأدب والفقه والحديث والتفسير وأمثالها ، ليكون أقدر على الحكم ، وأدنى الى الصواب في القضاء ، ومال ابن قتيبة الى الحديث وأصحابه ميلاً شديداً ، وآثر طريقتهم ، وحمد نهجهم[1] . وكان له من ثقافته الدينية واللغوية ما هيأ له أن يشارك في (غريب الحديث) .

– كان ابن قتيبة شديد الاعجاب بسلفه أبي عبيد ، تعرّف الى مؤلفاته وهو في طراءة العمر ومقتبل الشباب ، فقد هيأ له أستاذه ابو العباس احمد بن سعيد اللحياني صاحب ابي عبيد القاسم بن سلام طريق الاطلاع عليها ، حدثه بكتابي ابي عبيد : الأموال ، وغريب الحديث في عام ٢٣١ هـ ، وابن قتيبة في الثامنة عشرة من عمره ، فأشرب قلبه حبه ، ومال اليه وسمع كتبه ، وعكف على مؤلفاته[2] .

– واستأثر به كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد ، وأعجبته طريقته التي اختطها في تأليفه ، وأخذ نفسه بمدارسته حتى كان منه أبداً على ذكر ،

---

(١) تأويل مختلف الحديث : ٧٣ – ٨٦

(٢) إصلاح الغلط : ٦ ، ٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٤٥

يستشهد به ، ويعود اليه ، وينهل منه ، وكان من أثر إكباب ابن قتيبة على غريب أبي عبيد ، قراءة ومدارسة وتمحيصاً ، أن تبين له ان ابا عبيد لم يحط بكل الأحاديث التي تحتاج الى تفسير أو بيان ، وأن مـا ندّ عنه وشرد ، لايقل عما أثبت وقيّد ، وتشوّف الى أن يصنع مثل صنيعه ، في غريب الحديث ، وألزم نفسه ان يمضي على النهج الذي اختطه ابو عبيد وحدده ، فيتم بعمله ما بدأه الرائد الأول ، ويشيد ما أسس ، ويكون كتابه صلة لغريب ابي عبيد وتكملة . فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث ، حذا فيه حذو ابي عبيد في طريقته ، ولم يودع كتابه شيئاً من الأحاديث التي ذكرها ابو عبيد في كتابه ، بل فسر من الأحاديث مالم يفسر ابو عبيد ، الا ما دعت اليه حاجـــة من زيادة شرح أو بيان أو استدراك أو اعتراض .

— لم يؤلف ابن قتيبة كتابه ، أول ما ألفه ، على النحو الذي انتهى إلينا ترتيباً وتبويباً ، بل إنه حين ابتدأ في عمل الكتاب أطلع عليه قوماً من حملة العلم فسألوه ان يخرج لهم ما يؤلف في كل اسبوع ، فلما تم لهم الكتاب وسمعوه من ابن قتيبة حمله قوم منهم الى الامصار . ثم عرضت لابن قتيبـة بعد ذلك أحاديث كثيرة لم يكن فسرها ، فعمل بها كتاباً ثانياً ســماه الزوائد في غريب الحديث[١] .

— ثم كان من شأن هذه الصلة الوثيقة التي ربطت بين ابن قتيبة وكتاب أبي عبيد في الغريب أن تكشفت له مواضع جانب فيها أبو عبيد الصواب ، وخالف عن القصد في تفسيره ، فألف ابن قتيبة في ذلك كتاباً

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ ، ٤

سماه (اصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث)[١] ، ذكر فيه الأحاديث التي أداه اجتهاده ان يخالف ابا عبيد في تفسيرها ليعرض تفسيراً آخر يراه الصواب ، وأنه المعنى المراد ، ولكنه لم يغفل عن ان يشيد ، في مقدمة كتابه ، بفضل أبي عبيد عليه ، وانه منه تعلم ، وعنه أخذ ؛ ولم ينس ان يذكر ان ما قام به من اصلاح الفساد وسد الخلل ، قليل في جنب صواب ابي عبيد . إن ابن قتيبة يتحدث عن سلفه بكل التجلة والتقدير (وما أحسنه أدبا) ؛ فهو يقول : « ونذكر الأحاديث التي خالفنا الشيخ ابا عبيد رحمه الله في تفسيرها ، على قلتها في جنب صوابه ، وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه »[٢] .

لم يطل ابن قتيبة في اصلاحه وقصر مآخذه على ثلاثة وخمسين حديثاً وقع فيها زلل فنبه ابن قتيبة عليه ، ودل على الصواب فيه . وهو حقاً شيء

(١) قام الأستاذ جيرار لكونت بتحقيق إصلاح الغلط عن نسختي أيا صوفيا والظاهرية ، ونشره في مجلة جامعة القديس يوسف ببيروت عام ١٩٦٨

وذكر صاحب كشف الظنون (١ : ١٠٨) أن أبا المظفر محمد بن آدم ابن كمال الهروي (٤١٤ ﻫ) قد شرح إصلاح الغلط لابن قتيبة (انظر ترجمة أبي المظفر محمد في معجم الأدباء ١٧ : ١١٦ — ١١٧ ، وبغية الوعاة : ٤ ، وإنباه الرواة ٣ : ١٢٦) .

وذكر أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري أن ابن قتيبة حدثهم باصلاح الغلط من أوله إلى آخره في سنة ٢٦٨ ﻫ بعد أن قرأ عليهم كتاب غريب الحديث (مجلة الدراسات الشرقية ٢١ : ٣٩٤ ، مقدمة اصلاح الغلط : ٤) ولم يكتف ابن قتيبة بتعقب أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، بل تعقبه في اختيار القراءات أيضاً . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ١ : ١٠٥ ، ٢ : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٤

(٢) إصلاح الغلط : ٦

قليل في جنب ما ألفه ابو عبيد(١) .

ـ ثم بدا لابن قتيبة ، وقد أفرد لمآخذه على ابي عبيد كتاب اصلاح الغلط ، أن يعيد النظر في كتابيه المؤلفين اولاً في الغريب ، ليجمعها في كتاب واحد ، مع ما يقتضيه ذلك الجمع من تنسيق بين ما جاء في الكتابين ، بتقديم ما يجب تقديمه ، واسقاط ما يحسن اسقاطه ، فجاء كتابه مثل كتاب ابي عبيد او اكبر منه ، واذ كان عمله انما هو اكمال لما فات ابا عبيد ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « ذيّل ابن قتيبة على ابي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه »(٢) .

٣ ـ ونقتطف، هنا ، كلمات لابن قتيبة من مقدمة كتابه (غريب الحديث) يصف بها تجربته في التأليف وصنيعه في الاقتداء بسلفه أبي عبيد ، قال ـ بعد أن ذكر جملة من الأحاديث تشكل على حملة العلم ـ :

« .... ومثلُ هذا كثير ، يطول بذكره الكتاب ، وفيما ذكرت منه ما دلّ على ما أردت ، وستقف على تفسير هذه الأحاديث في أضعاف الكتاب إن شاء الله . وقد كان تعرّف هذا وأشباهه عسراً ، فيما مضى ، على من طلبه ، لحاجته إلى أن يسأل عنه أهل اللغة . ومن يكمل منهم لتفسير غريب الحديث وفتق معانيه وإظهار غوامضه قليل . فأما زماننا هذا فقد كُفي حملة الحديث فيه مؤونة التنقير والبحث ، بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم بما ألفناه في كتابنا هذا بحمد الله . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ،

---

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨-١٩٠ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، ٣٥٩

(٢) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨

وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبتُ ذلك بالنظر والتفتيش ، والمذاكرة، فوجدتُ ما ترك نحواً مما ذكر ، أو أكثر منه ، فتتبعت ما أغفل ، وفسرته على نحو ما فسّر ، بالاسناد لما عرفت إسناده ، والقطع لما لم أعرفه ، وأشبعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر . وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب ، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها ، وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكل الحديث أو يوافق لفظه لفظه ، لتكثر فائدة الكتاب ويمتع قارئه ، ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه ، ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد ، إلا أحاديث وقع فيها زلل ، فنبهت عليه ، ودللت على الصواب فيه ، وأفردتُ لها كتاباً يدعى كتاب (إصلاح الغلط) ، وإلا حروفاً تعرض في باب ، ولا يكمل ذلك الباب إلا بذكرها ، فذكرتهـــا بزيادة في التفسير والفائدة . ولن يخفى ذلك على من جمع بين الكتابين . وكنتُ حين ابتدأت في عمل الكتاب أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه ، والحرص على تدوينه ، عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كل أسبوع ، ففعلت ذلك حتى تم لهم الكتاب ، وسمعوه ، وحمله قوم منهم إلى الأمصار . ثم عرضتْ بعد ذلك أحاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً يدعى كتاب الزوائد في غريب الحديث ، ثم تدبرتُ الكتابين فرأيت الأصوب في الرأي أن أجمعها ، واقدم ما سبيله أن يُقدم ، وأؤخر ما سبيله أن يُؤخر ، وأحذف ماسبيله أن يحذف ، فمن رأى ذينك الكتابين على غير تأليف هذا الكتاب فليعلم انها شيء واحد ، وأن الاختلاف بينها إنما هو بتقديم وتأخير وحذف مكرور من التفسير ، ورأيت أن أفتتح كتابي هذا

بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه (١) .... ثم ابتدأت تفسير غريب حديث النبي ﷺ ، وضمنته الأحاديث التي يدّعى بها على حملة العلم حمل التناقض ، وتلوته بأحاديث صحابته رجلاً رجلاً ، ثم بأحاديث التابعين ومن بعدهم ، وختمت الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة ، سمعت أصحاب اللغة يذكرونها ، لا أعرف أصحابها ولا طرقها ، حسنة الألفاظ ، لطاف المعاني ، تضعف على الأحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه أضعافا . وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال ، وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا .... » (٢) .

— وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة في تأليف كتابه غريب الحديث، وتنقيحه إياه بعد ذلك هي التي تفسر لنا إشارة ابن قتيبة إلى كتابه غريب الحديث في بعض كتبه ، ثم إشارته إلى تلك الكتب في كتابه الغريب (٣) .

٤ — كان ابن قتيبة مغتبطاً بكتابه (غريب الحديث) ، راضياً عنه ، فقد احتفل له وتهيأ ، وبذل فيه ما بذل من جهد ، مما سمح له أن يقول في خطبة كتابه : « وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين ، من غريب

---

(١) وسلك نحو هذا في كتابه تفسير غريب القرآن حين افتتحه بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وأتبع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب لم ير بعض السور أولى بها من بعض (تفسير غريب القرآن : ٣) .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ - ٤

(٣) ذكر ابن قتيبة كتابه (غريب الحديث) في كتابيه : (إصلاح الغلط) ٣ ، ١٩ ، و (تأويل مشكل القرآن) (ط ٢) : ٨٢ ، ٩٣ ، ١٣١ ، ٢٦٥ ، كما ذكر في غريب الحديث (مخطوطة الظاهرية) كتابه إصلاح الغلط (١ : ٣ ، ٧٠) ، وكتابه مشكل القرآن (١ : ٩) .

الحديث ، ما يكون لأحد فيه مقال » ، وأشار ابن قتيبة إلى كتابه (غريب الحديث) في عدة كتب له ، أشار إليه في : أدب الكاتب ، وإصلاح الغلط ، وعيون الأخبار ، والأشربة ، وتأويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمسائل والأجوبة . بل إنه في كتاب (المسائل والأجوبة) عطف على كتابه في غريب الحديث ليضيف إليه أحاديث عرضت له ، لم يكن قد أوردها فيه ، إتماماً له واستكمالاً [١] .

– واختلف العلماء في تقدير ابن قتيبة وأعماله ، وليس من غرضنا استعراض ما قالوه [٢] ، بل نقف ، ما أمكن ذلك ، عند أقوالهم بشأن

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦ ، المسائل والأجوبة : ١٥ - ٢٠ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن للسيد أحمد صقر : ١٠ – ١١ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٧ ، ويذكر ابن خير في فهرسته : ١٩٥ ، كتاب المسائل لابن قتيبة ، في معاني غريب القرآن والحديث ، مما لم يقع في كتاب الغريب .

– وفي الظاهرية نسخة من (غريب الحديث) لابن قتيبة ، تتألف من الجزءين : الأول (وعدد أوراقه ١٣٩) والثالث (وعدد أوراقه ١٣٤) ، ونسخة ثانية من ثماني أوراق ، تتضمن القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب . وفي مكتبة شستربتي المجلد الثاني من غريب الحديث من نسخة قديمة جداً مكتوبة ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ .

انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : ١ ـ المنتخب من مخطوطات الحديث للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني : ٩٤ ، ٢ ـ علوم اللغة العربية للسيدة أسماء حمصي : ١٠٢ – ١٠٦ ، المستدرك الثاني من كتاب الأعلام : ١٣٣ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن : ١٠ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٨ ، مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي بدمشق) ٢١ : ٣٥١ - ٣٥٨، ٣٦٨ - ٣٩٣ ، مجلة المورد ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني : ١٧٢ رقم ٣٤٩٤ .

(٢) انظر آراء العلماء في ابن قتيبة في مقدمة تأويل مشكل القرآن : ٤٥-٧٦

كتابيه : إصلاح الغلط ، وغريب الحديث خاصة ، ونستطيع أن نقول ان ابن قتيبة قد تألب عليه في هذا الباب فئتان : فئة من اللغويين المختصين الذين وقفوا أنفسهم على اللغة وعلومها ، وتفرغوا لها تفرغ عابد متبتل في محاريبها ، فلم ينظروا إلى ابن قتيبة نظرة الرضا ، إذكان مشاركاً في علوم جمة ، ولم يقصر همه على اللغة وحدها ، حفياً بها منصرفاً اليها ، وفئة ثانية ليست من جنس الأولى ، نقمت عليه أن ينقد أبا عبيد ، وأن يجرؤ على تخطئته ، وهي التي تربأ بأبي عبيد عن الهفوة ، وتأبى له الزلة ، فقد أصبح أبو عبيد قمة لا يطالها الآخرون والإمام المقبول عند الناس كافة ، ترسخت مكانته اللغوية بكتابيه (الغريب المصنف) و (غريب الحديث) ، فانكب الناس عليها درساً وحفظاً ، حتى قال أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد »[١] . ورزق أبو عبيد أصحاباً حفظوا عنه ، واقرأوا كتبه ، وأنصاراً راحوا يتشبهون به ويمضون على سنته ، علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ، وغدا الامام القدوة مضرب المثل . فأنّى لابن قتيبة أن يقاس به ، وأين نجره من نجاره[٢] .

— ونستطيع أن نعد من رجال الفئة الأولى أبا علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة ، فقد ألف كتابه (الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) ، وكان من قبل قد رد على أبي عبيد[٣] .

ونضم إليه أبا الطيب عبد الواحد بن علي النحوي (٣٥١ ﻫ) الذي قال في حق ابن قتيبة : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٦ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٧ ، إنباه الرواة ٢ : ٧٧-٧٨

(٢) انباه الرواة ١ : ١٢٥ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٩٢ ، وانظر بشأن أصحاب أبي عبيد ما سبق (ص : ٨٣ ، رقم ٣) .

(٣) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، وانظر ماسبق (ص : ٩٤) .

أخذ عن أبي حاتم [السجستاني] ... إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي ﷺ وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ، ومن لا بصيرة له »[١].

كما نستطيع أن نعد من رجال الفئة الثانية محمد بن نصر المروزي (٢٩٤ هـ) الذي انتصر لأبي عبيد ، وردّ على ابن قتيبة اعتراضاته ، وردوده على أبي عبيد[٢].

وكانت الفئة الثانية تتعاظم ويزداد عددها ، فقد غدا ابو عبيد يتعالى شأنا على كرور الايام ، ويزيده مر القرون رفعة وتجلة ، فاذا نحن نستقبل على مدارج السنين فئات اثر فئات ، يتدارسون كتبه ، ويتناقلونها ، يرويها عدلٌ عن عدلٍ ، ينضحون عنها وينافحون ، وتقاس كتبهم واعمالهم بما كتب وعمل ، ويُعد منبهة لأحدهم ما رواه من كتب ابي عبيد ، بل يكبل احدهم نفسه حتى يحفظ كتابه (الغريب المصنف) ، فعل الفرزدق حين قيد نفسه ليحفظ القرآن . ثم هم يمضون ابعد من ذلك ليحاولوا ترتيب كتب ابي عبيد وتنسيقها او اختصارها ، او التذييل عليها[٣].

ومن هنا نستطيع أن نفهم ذلك الصوت المتأخر الذي انطلق من الأندلس

---

(١) مراتب النحويين : ٨٤ - ٨٥

(٢) لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣١٥

(٣) انباه الرواة ١ : ٢٩ ، ٢٦٨ ، ٢ : ٣١٠ ، بغية الوعاة : ٤٢ ، ٧٥ ، البلغة للفيروزبادي : ١٤٩ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٥٩ ، المحمدون من الشعراء : ٢٧٠ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ٢٠٤

في أواخر المائة الخامسة أو في أوائل السادسة ينتصر لأبي عبيد على ابن قتيبة ، ذلك هو صوت ابي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري (٥٢٠ ﻫ) الاديب الشاعر الكاتب المترسل الذي الف كتاباً في الانتصار لابي عبيد[١] .

ولعل ابا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ ﻫ) ، وهو من اشد الناس منافحة عن مذهب الكوفيين ، قد جمع في هجمته على ابن قتيبة الصفتين السابقتين ، فشن عليه حملة لا هوادة فيها . وكان عنيفاً قاسياً في كتاباته وردوده ، نسب ابن قتيبة الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة .

كان ابو بكر ابن الانباري من اعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، حدث انه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها وثلاثمائة الف بيت شاهدة في القرآن ، وكان يملي من حفظه لا من كتاب . انتصب ابن الانباري للدفاع عن الكوفيين ، وكان أبو حاتم السجستاني البصري ينال منهم نيلاً شديداً ، ويصغّر من أقدارهم ، ولعل ابن قتيبة قد قبل من استاذه ابي حاتم بعض آرائه ، او نظراته ، فما هو الا ان الف كتابه (إصلاح الغلط) حتى لاحت الفرصة مواتية لابن الأنبارى فآذنه واستاذه ابا حاتم بحرب واستعرض اكثر من كتاب من كتبه ، ليسلقه بلسانه حديد ، تمده حافظة لا تعرف النسيان . رد على ابن قتيبة قريباً من ربع ما ألفه في مشكل القرآن ، « عمل رسالة المشكل رداً على ابن قتيبة وابي حاتم ونقضاً لقولهما » . واستدرك على ابن قتيبة مواضع في كتابيه غريب الحديث واصلاح الغلط[٢] . يقول ابن الانباري يتحدث عن

(١) فوات الوفيات ٢ : ١٩

(٢) طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٥٣ - ١٥٤ ، انباه الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٧١ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص (و) ، الأضداد لابن الأنباري : ٩٤ - ٩٥ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٣٠٧ - ٣٠٩ أمالي القالي ١ : ١١٨ - ١١٩ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩ - ٧٠ ، ١٢٨ ، ٣٣٦ - ٣٣٧

السجستاني : « وقد انكر هذا رجل من أهل البصرة يعرف بابي حاتم السجستاني ، معه تعدٍّ شديد ، واقدامٌ على الطعن في السلف ، قال : فحكيت ذلك لاحمد بن يحيى [ثعلب] فقال : هذا من ضيق عطنه ، وقلة معرفته»(١) .

٥ - لن يدخل في تقسيمنا هذا أولئك اللغويون الذين كانوا يرجحون ابا عبيد على ابن قتيبة ، ولكنهم سلكوا طريقاً وسطاً ، فكانوا يصححون مازلّ به ابن قتيبة ، ويستدركون عليه اللفظة تلو اللفظة فإذا رأوا أن وجه الحق قد لاح بجانبه ، آزروه ، ورجحوا قوله .

نذكر من بين هؤلاء اللغويين الإمام أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ ﻫ)الذي كان يوثق ابن قتيبة في روايته ، ولا يدفعه عن الصدق فيما يحكيه عن أئمة اللغة ، « فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض ، أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة ، وألفيته يحدس بالظن فيما لايعرفه ولا يحسنه » ، ومن هنا كان يرى البون بعيداً بين الرجلين ، وان أبا عبيد أعلى كعباً ، وأرفع منزلة ، على ما وقع فيه من أغلاط ، وقد أشار في كتابه التهذيب إلى مآخذه على أبي عبيد وابن قتيبة في غريبيهما(٢) ، وإن كان قد أفاد منها في تهذيبه كل الافادة .

ونذكر من بينهم الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ - ٤٣٦ ﻫ) الذي عرض في أماليه لابن قتيبة وأبي عبيد ، وما جاء به ابن الأنباري ، وحاول أن يرجح من الأقوال ما تبين له رجحانه ، باسلوب هادىء متزن ، لا غلو فيه ولا عصبية (٣) .

---

(١) لسان العرب (شنأ) .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ١٠٢ ، ١٨٨

(٣) أمالي الشريف المرتضى ١ : ٥ - ٩ ، ١٥ ، ١٧ - ١٩ ، ١٢٠ ، ١٥٦ - ١٥٨ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ - ٤٣٢ ، ٤٥٤ - ٤٥٧ ، ٦٣٢ - ٦٣٥ ، و ٢ : ٥ - ٩ ، ٥٠ - ٥٣ ، ٨١ ، ٨٢ - ٨٦ ، ٢٠٠ - ٢٠٤

ونضيف إلى ذلك جماعة علماء الغريب من أمثال الزاهد والخطابي والهروي والزمخشري وابن الأثير الذين كانوا يأخذون ويدعون ، وفق ما يترجح لديهم ، وإن كانوا يدينون لغريبي أبي عبيد وابن قتيبة بأعظم الدين .

٦ – مهما يكن من شيء ، فقد أصبح كتابا أبي عبيد وابن قتيبة يؤلفان كلًّا واحداً متكاملاً في « غريب الحديث » ، استأثرا باعجاب العلماء وتقديرهم في مشرق الأرض العربية ومغربها ، فكانوا يئلون إليهما ويعولون عليهما .

يقول الإمام الخطابي (٣٨٨ هـ) في صنيع أبي عبيد وابن قتيبة في غريب الحديث : « وكان أول من سبق إليه ، ودلّ من بعده عليه ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، وصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتاباً لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق ، وبقيت بعدهما صبابة للقول »[1] .

ولما أعاد الخطابي القول ، بعد ذلك ، في مقدمة كتابه فذكر الكتب الأخرى المؤلفة في غريب الحديث لم يلبث أن عطف قائلاً ، ان في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة غنى ومندوحة عن كل كتاب ذكره قبل ، إذ كانا قد أتيا على جماع ما تضمنت الأحاديث المودعة فيها ، من تفسير وتأويل ، وزادا عليه ، فصارا أحق به وأملك له ، ولعل الشيء بعد الشيء منها قد يفوتها[2] .

ثم عرض الخطابي لايضاح الفروق بين كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، وهو في معرض الموازنة بينهما وبين كتب الغريب الأخرى فقال : « ثم انه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص(و) ، تأويل مشكل القرآن ، مقدمة المحقق : ٩–١٠ (٢) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

منهاج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه ، ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في اشباع التفسير وايراد الحجة وذكر النظائر وتخليص المعاني »[١] .

– غدا الكتابان مورداً عذباً تزاحم عليها الدارسون ، ومصدراً هاماً يستشهد أئمة اللغة وعلماؤها بما جاء فيها من أقوال ونقول[٢] . وبلغ من إعجاب الناس بالكتابين أن والوا النظر فيها وردده . وأخذ بعضهم نفسه بحفظها أو أحدهما[٣] ، وانتدب لهما من تناولهما أو أحدهما بالتهذيب أو الاختصار أو التذييل والزيادة ، أو الشرح : ألف أبو الهيثم الرازي (٢٧٦ ﻫ) كتاب ما زاد في الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد[٤] ، وقام الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (٤٤٧ ﻫ) فجمع كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، واختصرهما بكتاب : « تقريب الغريبين لأبي عبيد وابن قتيبة »[٥] ، وصنف أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الأندلسي الشاطبي (٤٦٥ ﻫ) ، غريب الحديث لأبي عبيد ، على حروف المعجم ، وجعله أبواباً[٦] ، ثم تعرض أبو الحسن علي بن عبد الله العقيلي (٥٤٦ ﻫ) إلى غريب الحديث لأبي عبيد فقفاه على الحروف[٧] . وأما عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ ﻫ) فقد صنف غريب الحديث الكبير ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي[٨] .

– للبحث صلة –

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

(٢) المخصص ١ : ١٢ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة : ٧

(٣) الصلة ١ : ١٧

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ١٠٠

(٥) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، المعجم العربي ١ : ٥٧ ، مقدمة النهاية (ح الطناحي) ١ : ٦ ، وانظر ترجمة أبي الفتح الرازي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٧ ، وانباه الرواة ٢ : ٦٩

(٦) انباه الرواة ٢ : ١٨٣

(٧) انباه الرواة ٢ : ٢٨٥ ، معجم الأدباء ١٦ : ١٠

(٨) طبقات الأطباء ١ : ٢٠٤ ، ٢١١

مصرع الشمس (*)

للشاعر محمد عبد الغني حسن

مضى عام ، وما زال — لهيب الحزن في كبدي
على الشمس التي ولّت — عن الدنيا إلى الأبـــد
ضنِنّـــا أن نوسدها — وأشفقنا على الجســد
وقلنا : إن يفُتْنا الدفـ — ن صُبْحَ غدٍ ، فبعد غد!
وقلنا : يا ركاب المو — ت ! لاتستعجلي ! اتئدي!
وما زلنا نراوغ في احـ — تيالاتٍ على الأمد ...
وهبنا قد أطلنا سا — عة التوديع في العدد
فهل زادَ لنا التسويـ — فُ حيناً حانَ لم يزد ؟
وهل ردَّ مطالُ الدفـ — ن من عُمْرٍ على أحد ؟

* * *

لقد كان هنا شمسٌ — على الآفــاق تلتمعُ
وكان هنا لهـا شُعَلٌ — وكان هنا لهـا لُمَعُ
وكان على أشعتهـا — شعاعُ الفكر يجتمع
وكان لها على العسافيـ — ن مُصطافٌ ، ومرتبع
إذا ما أجدبَ الناسُ — على أفيائهـا انتجعوا
وإمّـا مسَّهم ضُرٌّ — إلى ساحاتهـا فزعوا

(*) القصيدة التي أعدها الشاعر عضو مجمع اللغة العربية المراسل لتلقى في الاحتفال بذكرى مرور سنة على وفاة عميد الأدب العربي في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٥

وفيهـــا لذوي الآما ل ، والآلام متّسـع
تساوت عندهـــا الآحا د في المعروف ، والجمعُ
علت ، لكنها بالفضـ ل والأخلاق تتضع ...

* * *

رأيتُ الشمسَ طالعةً كما شاهـدتُ مصرعها
وقد أحسستُ مصرعها كما أحسستُ مطلعهـا
وأدركتُ عـلى الحالـ ن مبداها ، ومرجعها
ففيم حمدتُ غُرتهـــا وفيم ذممتُ برقعهـا ؟
ومَن بالدمـع بلّلهـا ومَن بالدر رصّعها ؟
ومَن أنضب ـ بعد الفيـ ض والتهطال ـ منبعها ؟
ومَن ثبّت فوق الفـ لك ِ الدّوار موقعها ؟
ومَن عطّل ناديهـــا ومَن فرّقَ مجمعهـا ؟
ومَنْ قدّرَ لي وأنـا عليـلٌ أن أودعهـــا

* * *

لقد ودّعتُ في « تشريـ ن » شمساً ذاتَ إشعاع
أطلّتْ من سماوات النـُّـ ـهى تَزهَى بإبـــداع
تخطـّت قمّـةَ التفكيـ ر وهيَ رهينة القـاع
على نُور البصيرة هَل إلى الأبصارِ من داعي ؟
وكم من مبصـر بالعيـ ن أعمى القلب مرتاع !
وماذا تنفـع العينـــا ن ِ قلباً ليس بالواعي ؟
لقد جـازت مدار العُمـ ر في خَبَبٍ وإيضاع

فمـــا بالت بأسقـــام ولم تأبـــه لأوجـــاع
وما زالت هنـــا حتى نعاهـــا للعُلا ناعي ..

* * *

هنا قد مالت الشمس الـ ـتي أطلعها « الأزهرْ »
أما كانت هنا - واللـ ـه - لله يدٌ تؤثَر ؟
أما كان هنا الشيخ الـ ـذي بالشك قد ثرثر ؟
وفي « ديكارتَ » منه ملا محُ بالشك أو أكثر
وفي قصـــة « إسماعيـ ـل » كَسْرٌ منه لا يُجبر
تعالى الله ! عاد الشـــكُّ إيمـــاناً ، وقد أثمـر
وآب ظلامُـــهُ الدامـ ـس بالصُّبح الذي أسفر
أما تمَّت هنا المعجـ ـزة الكبرى التي تَبْهر ؟
أما كان هنـــا طفلٌ ضريرُ العين قد أبصر ؟

* * *

« حديث الأربعاء » اليو م مَن يسكبُه صِرفا ؟
ومَن يزج فيه النقـ ـد لطفاً فيه ، أو عنفا ؟
ومَن « للسيرة » الغرا ء لا يخرمُها حرفـــا
ومَن « للفتنة الكبرى » يجلّيها لنـــا وصفا ؟
ومَـــن يجهرُ بالرأي فلا جُبن ، ولا خوفا ؟
ومَن أضفى على التعليـ ـم من كفيه ما أضفى ؟
ومَنْ كالريح إن هفَّت ومَن كالطل إن رفَّا ؟
ومَن قد شغل الدنيـا وفاقاً فيه أو خُلفا ؟

لقد وفّى الشعاعُ الغا رب الرحلةَ واستوفى ...

* * *

وقفتُ على مغيب الشم س أدعوها فلا تسمعْ
أناديهــا ، وهل يُغني نداء الموت أو ينفع ؟
وأطمع من وداعيها بما ليس به مطمــع
هنا قال لي الناصــح : يامغرورُ ! لا تُخدع !
فمَن راحَ فــلا يأتي ومَن ولّى فلا يرجع
ومن أدركــه المنزل هيهات بأن يطلع !
ورُحتُ ألمُّ أثوابي من الخزي ، واسترجع
أكفكفُ النفسَ عن أوها مها في الحادث المفجع
فكأسُ الدهر لا يُوقى وسهمُ الموت لا يُدفع

* * *

خرجت مـــع الجماهير غداةَ الدفن أنتحبُ
وقد أوهى الضنى جسَدي وهدّ كيانيَ الوَصب
لعلي أبصر الشمس الـ مضيئةَ ، وهي تنقلب
فالشمس عـــلى المغرب فينا منظرٌ عجب
وما أروعَ قرص الشمس ، وهي تكاد تحتجب
هنا ... هان لديّ الجاه ، والألقاب ، والرتب
هنا ... أدركتُ أن المجد شيء زائف كذب
هنا ... أيقنتُ أن الفانيَيْنِ : المال والنشب
هنا ... آمنت أن الخالدَيْنِ : العلم والأدب...

* * *

رأيت الشمس قد مالت   إلى المغـــرب مُغْبرَّه
كساها الموت من أكفا   نه في خدرهـــا صفره
وبدَّلها الردى المغتـــا   لُ من أفلاكها حفره ..
وأدركهـــا مصيرٌ لا   يفوت الحر ، والحره ...
فقـــام الصبح يبكيها   ويندبُ عندهـــا فجره
وراح الروض يرثيهـا   ويَرثي معهـــا عطره
ولم يَبق عـــلى التودي   ـع إلا ساكبٌ عبره
وقال الكون : إن الشم   س قد ماتت فيا حسره !
نعم ! قد ماتت الشمس   ولكن لم تمت فكره ...

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

مع ابن الأزرق في مخطوطته :

بدائع السلوك في طبائع الملوك

وحديثه عن : السفارة والسفراء

الدكتور عبد الهادي التازي

يوجد عدد كبير من رجالات العلم ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، والأدب ، ممن يحملون اسم الأزرق أو ابن الأزرق أو الأزرقي في المشرق والمغرب ... والأزرق جدّ قديم من أجداد العرب في الجاهلية ، يتصل نسبه بالعمالقة ، وكانت منازل بيته بالحجاز .. وإليه ينسب في – بعض الروايات – المؤرخ اليماني محمد بن عبد الله بن أحمد بن الأزرق من أهل مكة ، وصاحب كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) والمتوفّى سنة ٢٥٠ ، وقبل مؤرخ مكة ، نعرف عن أبي راشد نافع بن الأزرق البصري الحنفي رأس الأزارقة ، وإليه نسبتهم ، الذي صحب عبد الله بن عباس وكان هـو وأصحابُهُ من أنصار الثورة على سيّدنا عثمان وموالاة الإمام علي ، رضي الله عنهما ، إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية . قتل على مقربة من الأهواز عام ٦٥ في أعقاب مقاتلة المهلّب بن أبي صفرة له ... كما نعرف عن الحافظ حمّاد بن زيـــد الأزرق شيخ العراق في عصره الذي ولد وتوفي بالبصرة (عام ١٧٩) وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الأزرق الذي ورد من مصر على الأندلس وتوفي بقرطبة (سنة ٣٨٥) والمؤرخ عبد الله بن محمد ابن الأزرق المتوفّى عام ٥٩٠ ... هذا إلى الكاتب المعروف محمد ابن هذيل الشهير بابن الأزرق الذي خاطب الملكة فونيـــا Fona يخبرها

بوصول السفراء المغاربة من حصن القلاعة أوائل ذي الحجة عام (٦٤٧) وغير هؤلاء من الزُّرق الذين تناهت إلينا أخبارهم وفي صدرهم مترجَمُنا اليوم قاضي غرناطة ووزيرها وسفيرها أبو عبد الله بن الأزرق ...

ويظهر أنه لا صلة بين أسرة الأزرق هـذا وبين الأُسر التي تحمل لقب الأزرق ببعض المدن المغربية، وبفاس على الخصوص، فإن هـذه الأسر، أو بعضها على الأقل، وردت للمدينة من الجبال، وقد كان جدي الأم السيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأزرق يذكر أنهم من صنهاجة السراير بإقليم الحُسَيمة من بطن هناك يعرف ببني زرقت، لقبوا بذلك لأنّ عيون أغلبيتهم زرقاء.

وكما أنه ليس ببعيد إطلاقاً أن يكون أصل بعض أسر الأزرق منحدراً من الديار الأندلسية عبر الجبل، فإن التلقيب بالألوان معروف بالمغرب كما بغيره من سائر الجهات، كالأخضر، والأحمر، والأبيض، والأشقر، والأكحل، على نحو ما عهد من التلقيب بمختلف المِهَن والحِرَف كالقاضي والمفتي، والفقيه، والمؤذن، والخطيب، والإمام، والنجار، والحداد، والصباغ، والعطار.

ويعتبر القاضي ابن الأزرق من عيون رجال الفقه والأدب والعلم، الذين عرفهم القرن التاسع الهجري، وقد أفاد السّخاوي أنّ ابن الأزرق كان من الملازمين للأستاذ أبي إسـحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة: في النحو، والأصلين والمنطق (١) كما كان من الذين يحضرون

(١) اشتهر الشيخ ابن فتوح هذا بسلوك منهاج تربوي خاص مع طلبته، حيث يفسح لهم المجال كاملاً للبحث والتعقيب والتعليق، بل إنه لا يرضى منهم بالتسليم المطلق والمتابعة العمياء .. ويأتي هذا المنهج وسطاً بين مذهب العبدوسي =

مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السّرقسطي عمدة غرناطة في العلوم الفقهية ، ومجالس الخطيب أبي الفرج ، عبد الله بن أحمد البقني ، ومجالس قاضي الجماعة بها أبي العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني . . . كما أنه كان من أقرب الناس إلى بلاط بني نصر ، فهو لذلك من أقطاب السياسة في ذلك العهد . وإذا ما تتبعنا آثاره سواء منها النثرية والشعرية ، فسنجد أنه ليس رجل وظيف شرعي ، ولكنه رجل دولة ، وكاتب ملك ، وأن سلطان بني نصر كان يؤثره بأسرار لا يبثها إلى قاضي الجماعة ، الأمر الذي يدل عليه قوله يخاطب شيخه الحافظ القاضي أبا القاسم بن سراج وقد طلب إليه هذا الأخير أن يجتمع به في ظروف اضطراب ، مؤملاً أن يحصل منه على سر من أسرار السلطان . . . لقد باعده الوزير ابن الأزرق معتذراً بهذه الأبيات البديعة الرائعة لفظاً ومعنى :

فديتك لاتسأل عن السرّ كاتبا ... فتلقاه في حال من الرّشد عاطل
وتضطره إما الحالة خائن ... أمانته أو خائض في الأباطل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب ... وَثَنَى ذا بحق أو قضى ذا بباطل

وقد كان من أبرز الذين سجّلوا لهم مواقف حاسمة عندما اضطربت الأحوال في غرناطة واختلط الأمر على الناس ، فنكثوا بيعة السلطان أبي الحسن النصري ، وبايعوا عوضه ابنه محمداً ، فقد كان من رأي القاضي ابن الأزرق ، والمفتي أبي عبد الله المواق ، وكذا سائر فقهاء غرناطة أن مثل هذه المبادرة في مثل تلك الظروف إنما تخدم مصلحة العدوّ ولا تنقذ الموقف في شيء ، وأنها شبيهة بتبديل الفرس أثناء عبور النهر الهائج المائج . . .

= (ت ٨٤٧) ومذهب المشدالي (ت ٨٦٤) ن المقري : الرياض تحقيق السقا ، الأبياري ، شلبي . طبع المعهد الخليفي تطوان ١٩٣٩ ن ٣/٣٠٤ — ٣١٧ ن نفح الطيب تحقيق إحسان عباس طبع دار صادر ١٩٦٨ — ٢ / ٧٠٠ ن التازي : جامع القرويين بفاس طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ٢/٤٢٨ .

وهكذا وقّع فتوى شجب فيها فعل الناكثين أواسط شهر رمضان من عام ٨٨٩ بالرغم من المخاطر التي كانت تحتف به وهو يقدم على هذا الموقف الجريء .

وقد اقتضت منه غيرته على تداعي الديار الأندلسية وتوالي انكسارها أن يفكر — إثر هذه الفتوى — في السفارة لدي ملوك المغرب والمشرق آملاً في إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وترقباً في الحصول على نجدة من شأنها أن تردع الأعداء المتربصين ، وتبقي على الوجود الإسلامي ببعض تلك الديار .

ولما كانت ظروف المغرب الأقصى آنذاك قد بلغت من الاضطراب والقلق درجة لا تمكنه من الالتفات لما يجري في العدوة الأخرى فقد وفد القاضي إلى تلمسان بعيد التسعين وثمانمائة (١) وكان يحكمها آنذاك العاهل أبو ثابت الثالث ، ولكن السفير ابن الأزرق ، وقد شعر بانشغال الناس عنه بالتصدي للمناورات والمضايقات التي كانت تحاك ضدّ الجزائر من طرف الأجنبي ، اتجه نحو مصر لدى الملك الأشرف قايتباي محمد بن علي . . .

وهناك لقي كل ترحيب وتكريم ، لكنه فهم من المسؤولين هناك أنهم يدركون أن أمر الأندلس قد انتهى ، وأنه لافائدة ترجى من تدارك المحتضر الذي يسلم نفسه الأخير « فكان كمن يطلب الأنوق أو الأبيض العقوق » (٢) . وهكذا فقد اقترحوا عليه أن يغدو أولاً للقيام بمناسك الحج قبل أن يعطوا له الجواب النهائي ، وكانوا في واقع الأمر يتوقعون وصول المزيد من الأخبار عن الأندلس ، هذا أيضاً إلى انشغال الملك بمنازلة السلطان العثماني بايزيد الثاني (٣) .

---

(١) أزهار الرياض ٣/٣١٨

(٢) نفح الطيب ٢/٧٠٢

(٣) السلطان بايزيد الثاني من أعظم سلاطين آل عثمان ، فتح عدداً من القلاع والحصون ، وبنى طائفة من المدارس والجوامع والمستشفيات ، وما يزال حيّ بكامله يحمل باسطانبول اليوم اسم بايزيد ، كان يحاول احتلال بعض الجهات =

وقد قصد القاضي ابن الأزرق الحرمين الشريفين حيث قام بأداء الفريضة ، وعاد أول سنة ٨٩٦ للقاهرة لمتابعة القيام بساعيـه التي من أجلها رحل ، ولكنه وجد أن الأخبار التي يتوفر عليها السلطان قايتباى كانت تنذر بأن كل شيء بالديار الأندلسية في طريقه نحو النهاية .

لقد بلغت الأخبار الحزينة فعلاً عن سقوط العاصمة غرناطة وأخذها من يد الأمير محمد بن أبي الحسن منذ ربيع الأول من عام ٨٩٥ .

وكانت للسلطات مع السفير جلسات مهمة أفهمه السلطان فيها أن قضاء الله قد نفذ ، وعرض عليه بهذه المناسبة خطة قضاء القضاة في بيت المقدس تسلية له وتلهية ، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد بن مازن الغزي . ووصل الإمام ابن الأزرق إلى القدس يوم الاثنين ١٦ شوال ٨٩٦ حيث قضى هناك ردحاً من الزمان محاطاً برعاية تلاميذه من مريدي الفقه المالكي ، واحترام معارفه ممن كان (حي المغاربة) بالقدس[١] يزخر بهم ، لا سيما وقد كان يضيف إلى علمه واطلاعه جمال الشكل ، وإنارة الشيبة ، وسيمة الأبهة والوقار ، والنزاهة والصيانة والطهارة .

التابعة لـ : قايتباي ، فكان هذا منصرفاً بكليته لصد الهجوم ، وقد أنفق أموالاً طائلة في هذا القتال الذي حـال دون تلبية عدد من نداءات ملك غرناطة ، ولكنه مع ذلك كان يحاول بالطرق الدبلوماسية أن يبلغ قلقه للإسبان ، وربما تهديداته كذلك بواسطة القسيسين والرهبان المتواجدين في القدس الشريف .

مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الطبعة الوهبية مصر ١٢٨٣ م ٢/٥٩١ . الزركلي : الأعلام مادة قايتباي .

(١) عبد الهادي التازي : (حي المغاربة بالقدس) نشر في مجموعة موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي دار التعاون ، بغداد ، المجلد الأول ٩٥ — كما نشر بمجلة مركز الدراسات الفلسطينية المجلد الأول العدد الثالث غشت ١٩٧٢ ٥/٧ وبملحق العلم الأسبوعي الثقافي ١٤ يناير ١٩٧٢ .

لكنه كان يغص من هول الأنباء المتلاحقـــة من الأندلس . . . فتناوشته الهموم ولم يَقْوَ على تحمّل الصدمـة والغربة في آن واحد ، لم يبق عنده بستان ولا مركب ولا مسكن على ما يقول في نونيته المعروفة ، وهكذا توعّك ولم تلبث أنفاسه أن فاضت بعد نحو من شهرين من توليه القضاء حيث توفي يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة الحرام ٨٩٦ بعد الفراغ من الصلاة ، وصلي عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الأقصى ، وحشر إلى جانب حوش البسطامي من جهة الغرب .

* *

لقد خلف القاضي ابن الأزرق تراثاً أدبياً فاخراً تجلى في هذه المقطعات الشعرية الجيدة التي نقلتها عنه الموسوعات الأندلسية الأدبية ، فمن تلك القطع هـذه الأبيات التي نظمها عند نزول طاغية النصارى بمروج غرناطة ، والتي تعبر عما كان يحس به من الآلام ، وهو يعيش الأيام الأخيرة بالأندلس(١) :

مشوق بخيمات الأحبة مولع ... تذكره نجـــد وتغريه لعلع
مواضعكم يالائمين على الهوى ... فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومَن لي بقلب تلتظي فيه زفرة ... ومن لي بجفن تنهمي فيه أدمع
رويدك فارقب للّطائف موضعا ... وخل الذي مَن شرّه يتوقع
وصبراً فإن الصبر خير غنيمة ... ويا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبتْ واثقا باللطف من خير راحم ... فألطافه من لمحة العين أسرع
وإن جاء خطبٌ فانتظر فرجاً له ... فسوف تراه في غد عنك يرفع
وكن راجياً لله في كل حالة ... فليس لنا إلا إلى الله مرجع

ومن نونية خفيفة تنسب إليه بلغَتْ زهاء المائة بيت ، هذه الأبيات

(١) النفح ٢/٧٠٤

التي تعكس مشاعره وروحه المرحة وهي على ما يظهر من نظمه في المهجر :

لا أم لي لا أم لي إن لم أبرد شجني
وأخلمنّ في الجـو ن والتصابي رسني
يا عاذلي في مذهبي أرداك شربُ اللبن !
أعطيت في البطن منا نا إن تخالف سنني
وإن نُسفّه نظري ومـذهبي وتنهني
فالصفع تستوجبـه نعم ، ونتف الذقن
والنفي تستوجبـه لواسط أو عدن !

* * *

أفدي صديقاً كان لي بنفسه يسعدني
فتـارة أنصحـه وتارة ينصحني
وتـارة ألعنُـه وتـارة يلعنُني
وربمـا أصفعـه وربمـا يصفعني

* * *

دهر تولـّى وانقضى عني كطيف الوسن
يا ليتني لم أره وليته لم يرني
دنّست فيه جانبي وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي لكن ببخس الثمن !
كأنني ولست أدْ ري الآن ما كأنني !!

* * *

لو أنصف الدهر لما أخرجني من وطني !
وليس لي من جنة وليس لي من مسكن

أسرّح الطرف وما ... لي دمنة في الدِّمَن
وليس لي من فرس ... وليس لي من سكن !
ياليت شعري وعسى ... ياليت أن تنفعنـــي

* * *

هل للثريـــد عودة ... إلـيّ ؟ قـد شوقني
ولي إلى الاسفنج شو ... قٌ دائـــم يطربني
والأرز الفضـــل إذ ... تطبخـــه باللبـــن
وهات ذكر الكسكسو ... فهو شريف وسنـــّي
لا سيما إن كان مصْ ... نوعاً بفتْل حســـن
أرفع منـــه كورّاً ... بهن تدوي أذُنـــي
وإن ذكرت غير ذا ... أطعمـــة في الوطن
فابـدأ من المثومـــا ... ت بالجـــبن" الممكن
من فوقها الفروج قد ... أنهـي في التسمُّـــن
وثنّ بالعصيـــدة الـ ... ـتي بهـــا تطـربني
والزبزبنّ في الصحـ ... ـاف حسبُ أهل البطن(١)

ومن شعره في مدينة بسطة :

في بسطة حيث الأباطح مشرقهْ ... أضحت جفوني بالمحاسن مغلقهْ

وله أيضاً فيها :

قل لمن رام النوى عن وطن ... قولةً ليس بهـا من حـرجٍ
فـرّج الهم بسـكنى بسطـة ... إن في بسطة بابَ الفرج(٢)

(١) النفح ٣/٢٩٨
(٢) النفح ٦/٤٤٧

ومن نظمه سينية بديعة من نحو أربعين بيتاً في مدح شيخه العلاّمة أبي يحيى ابن عاصم هذا مطلعها :

خضعتْ لمعطفه الغصون الميَّسُ ... ورنا فهام بمقلتيه النرْجسُ
بك مجلس الأنس اطمأنّ وبابن عا ... صمٍ اطمأن من الرياسة مجلس
بدر بأنوار الهدى متطلع ... غيث بأشتات الندى متبجس(١)

ومن نظمه قوله في المجبّنات :

ورب محبوبـــة تبـدت ... كأنها الشمس في حلاها
فاعجب لحال الأنام من قد ... أحبها منهـم قلاهـــا !

ومن شعره في جمال الربيع قوله :

تأملت من حسن الربيع نضارة ... وقد غرّدت فوق الغصون البلابل
حكت في غصون الدوح قساً فصاحة ... لتعلم أن النبت في الروض باقل

ومن شعره في الرثاء قوله في والدته :

تقول لي ودموع العين واكفة ... ما أفظع البينَ والترحال ياولدي
فقلت أين السرى؟ قالت: لرحمة من ... قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

غير أن ما تركه الإمام ابن الأزرق من مؤلفات قيمة طغى على سائر مناحي نشاطه الفكري فقد تحلى فيما دبجته يراعته في مختلف العلوم والفنون ماجعله مثار إعجاب الذين كتبوا عنـه أو قرأوا أو سمعوا . . وقد كان منها كتاب (الإبريز المسبوك في آداب الملوك) و (روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم

(١) أزهار الرياض ٣/٣٢٢ ، وقد تشكك في النفح في نسبة هذه السينية لابن الأزرق ، هذا كما نسب الأبيات الثلاثة الماضية (فديتك لا تسأل عن السر) لابن عاصم . النفح ٦/١٥٢

الإسلام) و (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل)[١] هذا إلى مآثر عنه من فتاوى نقلها عنه صاحب المعيار في جامعه[٢] . وقد رأيت أن أقدم بين يدي الباحثين اليوم عرضاً عن مخطوطته الفريدة « بدائع السلك في طبائع الملك » التي لخص فيها كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وكلام غيره ولكن مع زوائد كثيرة[٣] . . .

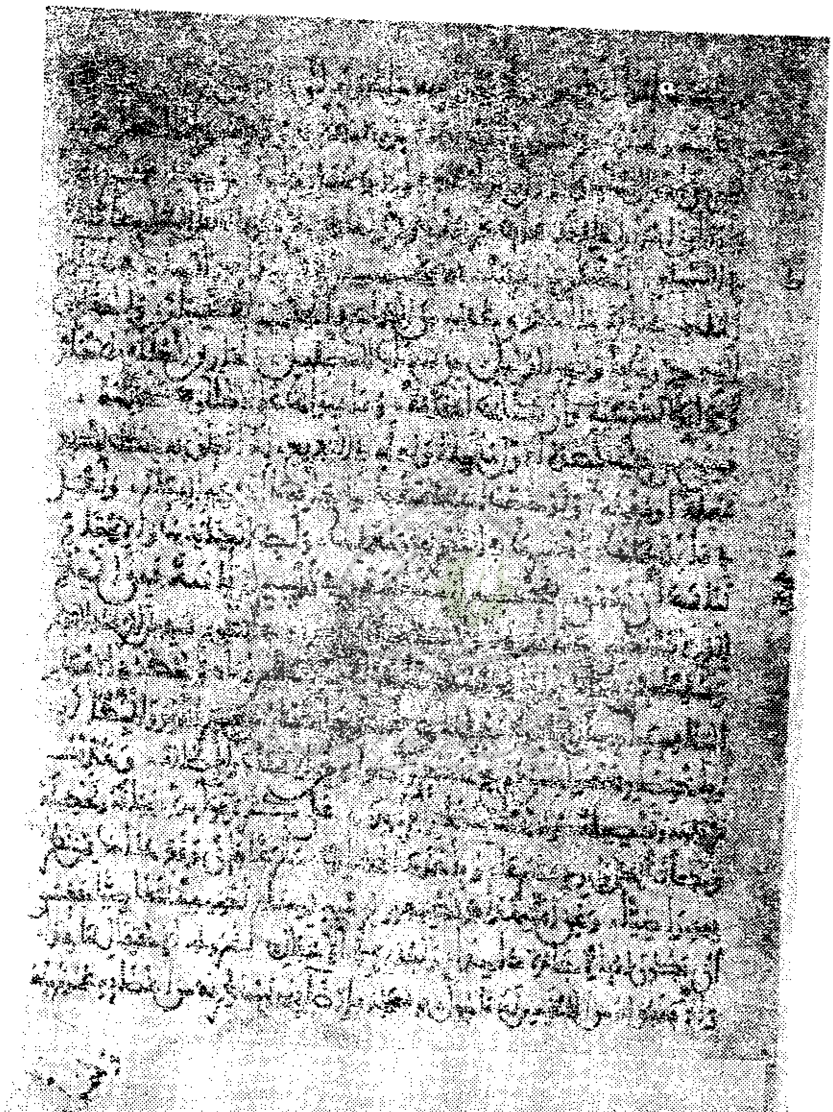
(١) وقف الإمام المقري على جملة من هذا الشرح بتلمسان تتألف من ثلاث مجلدات ويقدر صاحب النفح أن يصل الكتاب إلى عشرين مجلداً حيث أن المجلد الأول لم يكمل مسائل الصلاة . قال المقري : « لم أر في شروح الخليل — مع كثرتها — مثله » .

(٢) كان منها فتواه باستنكار نكث بيعة أبي الحسن النصري .

(٣) وقفت في المكتبة العامة بالرباط على أربع نسخ من المخطوط المتحدث عنه علاوة على ما يوجد منه في خزانة جامعة القرويين والخزانة الملكية الأولى رقم ج /٦٤ كمل نسخها في أوائل صفر عام ٩٩٨ ، عدد صفحاتها ٥٢٩ تحتوي الورقة على واحد وعشرين سطراً من قياس ٢٥،٥ س على ١٨،٥ بينما النسخة الثانية رقم ج / ٩٣ عدد صفحاتها ٣٩٧ تحتوي الصفحة على خمسة وعشرين سطراً قياس ٢٢،٥/١٧،٥ والثالثة رقم د ٥٨٢ عدد صفحاتها ٥١٢ قياس الصفحة ٣٠/٢١،٥ وقد نسخت في جمادى الأولى عام ١٢٦٣ – أما النسخة الرابعة فتحمل رقم د/١٣٤٠ عدد صفحاتها ٦٤٨ تحتوي كل صفحة على واحد وعشرين سطراً قياس الصفحة ٢٢،٥/١٧،٥

ويبتديء الكتاب هكذا : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . قال الشيخ الفقيه الخطيب البليغ البارع العالم المتفنن المتبحر الصدر الإمام الأوحد فخر علماء الأندلس في عصره في العلوم وسيد وقته في العلوم قاضي الجماعة السيد أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي وصل الله عزته وحفظ في الأعلام العلماء رقبته : الحمد لله مالك الملك إيجاداً وتدبيراً ومبدعه من فيض جوده عليا بأسرار وجوده خبيراً . . .

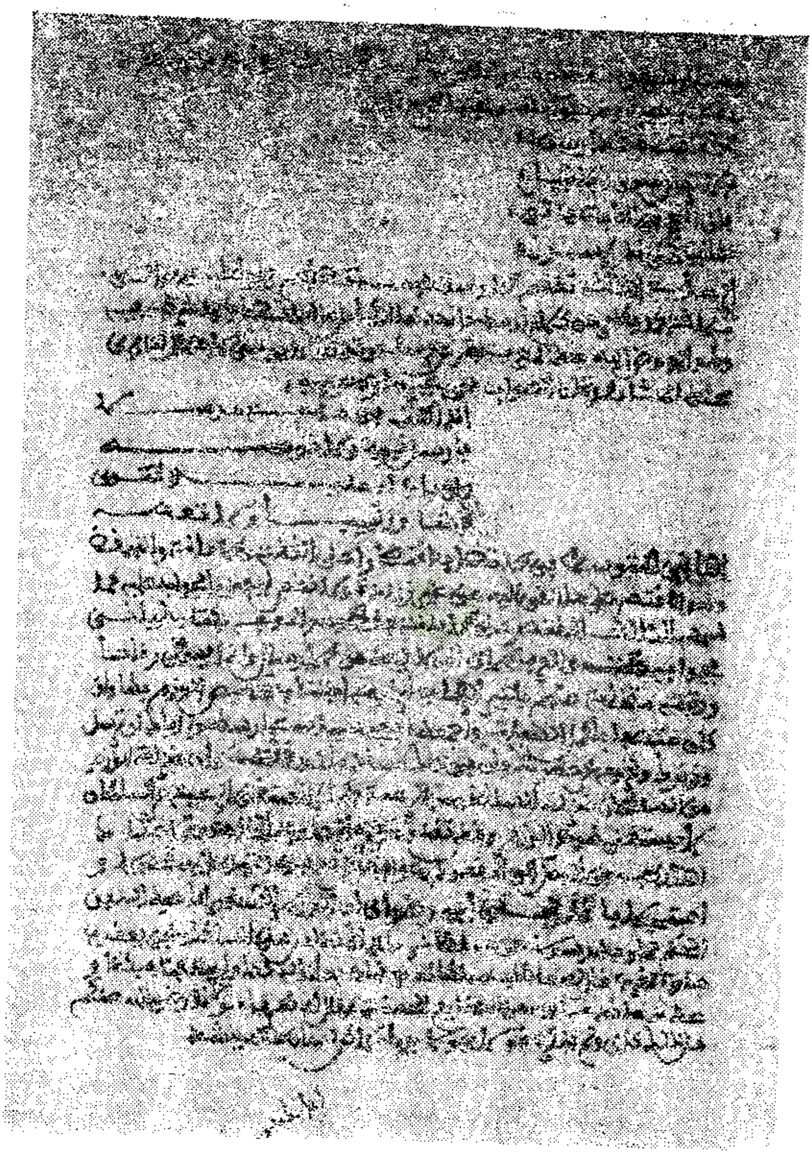
وينتهي بالصلاة على النبي الكريم « وعلى آله والأبرار الصحابة الناصحين في الإعلان والإسرار ماتعاقب الزمان يوماً وغدا ، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا . . .



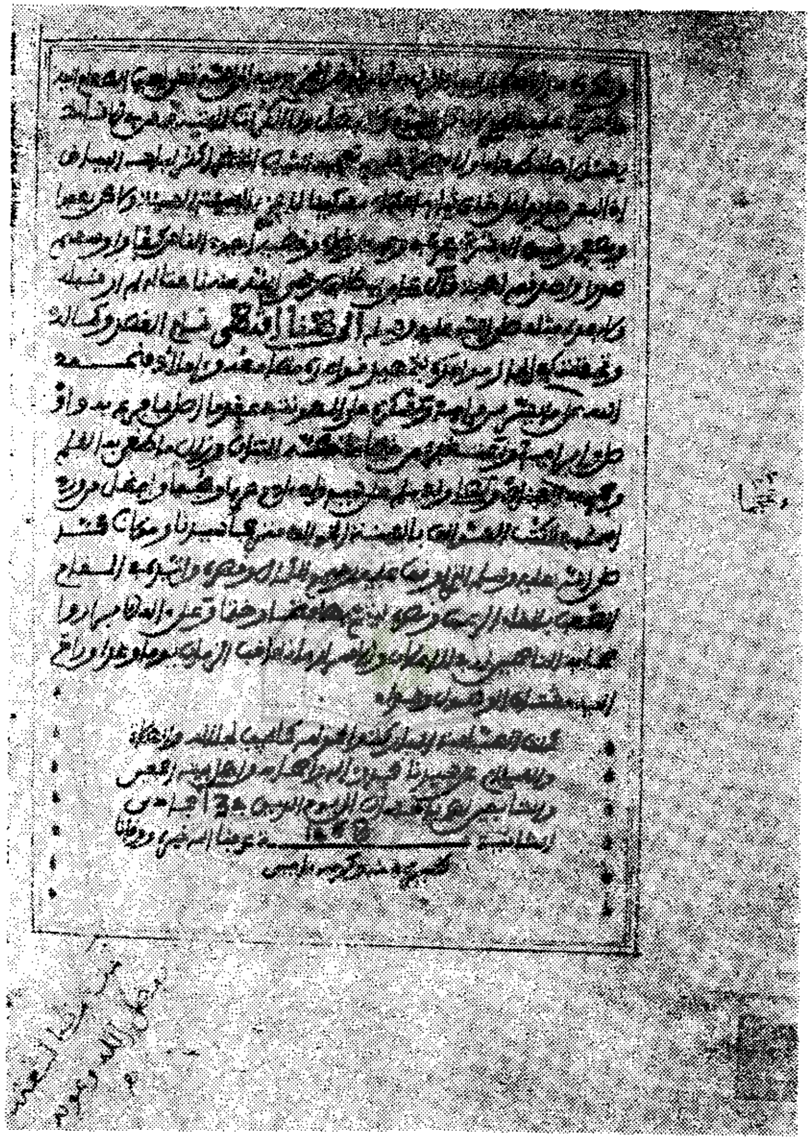
(النسخة ج/٦٤) الصفحة الثالثة « سميته ببدائع السلك في طبائع الملك » وفي النسخة د/٣٢ كتابة العنوان هكذا: «بدائع السلوك في طبائع الملوك » يقول: لو خُصت السياسة بلحظ جانبها المرعي الذمام ، وأعمل في فائدة عملها ، بعتبرها في التصريف ومعملها ، واجب العناية بها والاهتمام لناسب أن يسمى بتحبير السياسة في تدبير السياسة ، فهي العلم الذي لا يستغني عنه سوقة ولا ملك ، ولا من نهج به في التقويم سبيل الرشد القويم وسلك ، فمن سماه بذلك فوجه وضاح الأسرّة مشرقها ، ولحظه في الاعتبار المناسب أصيل المناسب معرقها .



النسخة ج/٩٣ . اشتهر عن القاضي ابن الأزرق أنه كان في كتابه « بدائع السلوك » متأثراً جداً بابن خلدون ، بل إنه يكتفي أحياناً بنقل كلامه حرفياً ... وهذه الصفحة من المخطوطة ، حول أن للدول أعماراً محدودة كالأشخاص ، تعطي فكرة عن مدى صحة هذا القول الذي يظهر أن له نصيباً ، من النظر ولو أن ابن الأزرق حرص كثيراً على أن يدلي برأيه فيما يلخصه ، الأمر الذي يدل على أنه ليس مجرد ناقل .. لاحظه هنا يعقب : قلت : تقدم له قبل هذا أن طول أمد الدول على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة ، واستظهر على ذلك بشهادة الواقع من طول أمد كثير من الدول ، ثم هو هنا يقدر عمرها بما ذكر ويجعله طبيعياً ، فانظر فيه متأملاً .



النسخة د/٥٨٢ . كما يحكي ابن رضوان أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكم (صوابه : الحكيم) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب ، قال له : ما طلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكذا .. وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة ، فقال له : نعم يا مولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولا جهله ، لكن لسان حاله ينشد : أيا ملبسي .. « البيت » .



النسخة د/١٣٤٠ آخر ورقة من المخطوط التي تعالج، كمسكة الختام، بيان ما يدل من الأخبار على فضل النبي صلى الله عليه وسلم: « إذا نزل به الأمر فوّض المخرج فيه إلى الله تعالى. أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي .. أكثر لباسه البياض .. لايجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ... أجود الناس كفّاً، وأوسعهم صدراً، وأصدقهم لهجة ... صلى الله عليه وسلم ... وعلى آله الأبرار وأصحابه الناصحين له، في الإعلان والإسرار، ماتعاقب الزمان يوماً وغدا، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا ». ويلاحظ أن هذه النسخة كملت يوم ١٣ جمادي الثانية ١٢٦٨ هـ.

وبخاصة أريـد سوق كلامه عن (الرسالة والوفود) وما أثار انتباهه مما قيل عن الموضوعين في المؤلفات التى سبقته ، وذلك تنوبها بالكتاب وإشادة ، وتدليلاً عليه ، تكميلاً للفائدة التي قدمها إلينا ، لحد الآن ، سائر الذين عنوا بابن الأزرق .

رتب الكاتب ابن الأزرق مؤلفـه ترتيباً دقيقاً ، وتفصيلاً متقناً ، أمكن معه أن نستخلص للمخطوط فهرساً تقريبياً يستوعب سائر مادته ويعطي فكرة عن محتوياته ، سواء منها رؤوس الأقلام أو ماينحدر أو يتفرع عن تلك الرؤوس.

ولعل من المفيد أن نتحمل استعراض هـذا الفهرس أمامنا لنشوق الباحثين لمراجعـة المخطوط واستشارته ، وذلك قبل أن نقدّم الفصـل الذي وقع عليه اختيارنا . . .

يستهلّ الكتاب بمقدّمتين ، الأولى في تقرير ما يوطن للنظر في الملك عقلاً وفيـه عشرون سابقة . . . بينما تعالج المقدّمة الثانية تمهيد أصول من الكلام في الملك شرعاً وفي هذه عشرون فاتحة .

وبعدها يجزىء المخطوط إلى كتبٍ أربعة وخاتمة .

الكتاب الأول : في حقيقـــة الملك والخلافة وسائر أنواع الرياسات وفيه بابان : الأول في حقيقة ذلك وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في حقيقة الملك وفيه خمس مسائل . . . النظر الثاني في حقيقة الخلافة وفيه خمس مسائل ... النظر الثالث في سائر أنواع الرياسات . . . أما الباب الثاني فهو في سبب وجود الملك وشرطه ، والنظر في طرف سببه ومابه قضى الله ذلك الشرط وهو الحرب والقتال وفيه ثلاثة أطراف : الطرف الأول في سبب وجود الملك ، الثاني في شرط وجود الملك وهو العصبيـة أو مايقوم مقامها ، الثالث في الحروب التي تفضي إليها العصبية في طلب الملك أو الدفاع عنه أو غير ذلك، وفيه ذكر الأمم في ترتيبها ومايلزم في تدريبها من الأدب والمكائد ،

الكتاب الثاني : في أركان الملك وقواعد مبناه ضرورةً وكمالاً وفيه بابان : الأول في الأفعال التي تقام بها صورة الملك ووجوده وهي عشرون ركناً : الركن الأول نصب الوزير وفيه مقدمتان وثلاثة مطالب - الثاني إقامة الشريعة - الثالث إعداد الجند - الرابع حفظ المال - الخامس تكثير العمارة فيه مقدمتان وثلاثة مقاصد - السادس إقامة العدل - السابع تولية الخطط الدينية - الثامن ترتيب المراتب السلطانية - التاسع رعاية السياسة - العاشر مشورة ذوي الرأي وفيه مقدمات ومقامات - الحادي عشر بذل النصيحة - الثاني عشر في أحكام التدبير - الثالث عشر تقويم الولاة والعمال - الرابع عشر كثرة اتخاذ البطانة وأهل البساط - الخامس عشر تنظيم المجلس - السادس عشر تقدير الظهور والاحتجاب - السابع عشر رعاية الخاصة والبطانة - الثامن عشر ظهور العناية لمن له الحق - التاسع عشر مكافأة ذوي السوابق - العشرون تخليد مفاخر الملك ومآثره . أما الباب الثاني ففي الصفات التي تصدر منها تلك الأفعال على أفضل نظام ، والمقرر منها عشرون قاعدة ومقدمات . القاعدة الأولى العقل وفيها مسائل - الثانية العلم وفيها مسائل - الثالثة الشجاعة وفيها نظران - الرابعة العفة وفيها مسائل - الخامسة السخاء والجود وللنظر فيها منهاجان - السادسة الحلم وفيها مسائل - السابعة كظم الغيظ والغضب ، وفيها طرفان - الثامنة العفو وفيها مسائل - التاسعة الرفق وفيها مسائل - العاشرة اللين - الحادية عشرة التثبت وفيها مسائل - الثانية عشرة الوفاء بالعهد وبالوعد وفيه طرفان - الثالثة عشرة الصدق والكذب وفيها مسائل - الرابعة عشرة كتم السر وفيها مسائل - الخامسة عشرة الحزم ، وفيها مسائل - السادسة عشرة الدهاء والتغافل وفيها نظرات - السابعة عشرة التواضع وفيها ثلاثة مطالب - الثامنة عشرة سلامة الصدر من الحقد والحسد وفيه طرفان - التاسعة عشرة الصبر وفيه مسائل - العشرون الشكر وفيه مسائل...

الكتاب الثالث : فيما يطالب به السلطان تشييداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعده وفيه مقدّمة وبابان - المقدمة في التحذير من محظورات تخلّ بذلك شرعاً وسياسة . الباب الأول : في جوامع ما به السياسة المطلوبة من السلطان ومن يليه وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول ، في سياسة السلطان ويندرج تحته سياسات ، الأولى سياسة الرعية . الثانية سياسة الأمور العارضة التي هي الجهاد والسفر والشدائد النازلة والرسالة والوفود - الفصل الثاني في سياسة الوزير وفيه ثلاث سياسات ... انفصل الثالث في سياسة سائر الخواص والبطانة في صحبة السلطان وخدمته - أما الباب الثاني ففي واجبات يلزم السلطان سياسةً القيام بها وفاء بعهدة ماتحمله وطلب منه .

والواجب الأول حفظ الدين ، والواجب الثاني تنفيذ الأحكام بين المستشارين وقطع الخصام بين المتنازعين ، والواجب الثالث إقامة الحدود وفيه مسائل ، والواجب الرابع في عقوبة المستحق وتعزيره - الواجب الخامس رعاية أهل الذمّة وفيه مسائل .

الكتاب الرابع : في عوائق الملك وعوارضه وفيه بابان : الأول في عوائق الملك المانعة من دوامه ، وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في التعريف بالعوائق . العائق الأول حصول الترف والتّعيم للقبيلة - الثاني لحاق المذلة للقبيل - الثالث استحكام طبيعة الملك - الرابع إرهاف الحد - الخامس الحجاب الواقع دليلاً على الهرم - السادس حجر السلطان والاستبداد عليه - السابع استظهار السلطان على قومه - الثامن انقسام الدولة الواحدة بدولتين . النظر الثاني في التعريف بكيفية طروء الخلل إلى الدول . النظر الثالث في التعريف بأن مقتضى الإنذار يمنع دوام الملك .

أما الباب الثاني ففي عوارض الملك اللاحقة لطبيعة وجوده ، وفيه أربعةُ فصول :

الفصل الأول في عوارض الملك من حيث هو وفيه مسائل ـ الثاني في اختيار المنازل الحضرية وفيه مسائل ـ الثالث في اكتساب المعاش بالكسب والصنائع وفيه مسائل ـ الرابع في اكتساب العلوم وفيه مسائل . . .

الخاتمة في سياستي المعيشة والناس وفيها مقدّمتان وسياستان ، المقدمة الأولى في التقوى ، والثانية في حسن الخلق وفيها مسائل ـ السياسة الأولى : سياسة المعيشة ، وفيها ثلاثة مطالع : المطلع الأول في كليات مما تدبر به المعيشة من جانب الوجود وفيه إنارات . . . المطلع الثاني في أمهات مما تحفظ به من جانب العدم وفيه إضاءات ، المطلع الثالث : في مهمات دينية يعتبر بها حفظ المعاش من جانبي الوجود والعدم وفيه لوامع . . . السياسة الثانية : سياسة الخلق وفيه مقدمات وست مسائل : الأولى في ملك اللسان ـ الثانية ملك الحواس ـ الثالثة في صورة الإنسان ظاهراً وباطناً ـ الرابعة في أحوال الإنسان الخارجة عنه ـ الخامسة في الإخوان والصديق ـ السادسة في المعارف...

وضمْن الكتاب الثالث حول ما يطالب به السلطان تشييداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعده يوجد الباب الأول في جوامع السياسة المطلوبة من السلطان . . . وهذا الباب يتفرع إلى ثلاثة فصول : الأول في سياسة السلطان وتحت هذا سياسات كما أسلفنا . . . وفي مبحث السياسة الثانية نجد تفصيلاً عن الأمور العارضة كما تقدم . وقد عالج العارض الرابع موضوع الرسالة ، كما عالج العارض الخامس موضوع الوفود ، وكلا العارضين الرابع والخامس نقترح على القراء مطالعتها معنا تأكداً من أسلوب الكتاب وعلو نفس مؤلفه وبعض المصادر التي يعتمدها أو يتأثر بها . . . مؤملين من ذلك مزيد إلفات نظر لهذا المؤلف الجميل :

قال ابن الأزرق تحت عنوان العارض الرابع :

« . . . ولموقعها ـ أي الرسالة ـ من الملوك عند مسّ الحاجة إليها تخصّها رعايات من السياسة سابقة ولاحقة » .

● الرعاية الأولى : تحقق أن موقع الرسول من السلطان موقع الدليل من المدلول ، والبعض من الكل ، ففي سياسة أرسطو(١) : اعلم أن الرسول يدلّ على عقل من أرسله ، إذْ هو عينه فيما لا يرى ، وأذنه فيما لا يسمع ، ولسانه فيما غاب عنه . وقالوا : الرسول قطعة من المرسل . قلت : ومن المشهور قولهم ثلاثة دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهديّة على المهدي ، والكتابة على الكاتب .

● الرعاية الثانية : اختيار من يرضى لها لأجل هذا الموقع ففي بقية كلام أرسطو المتقدم مقرراً لما يترتب عليه : « فيجب أن تختاره أرفع من في حضرتك عقلاً وبصيرة وهيبة وأمانة تجنّباً لجميع الريب » .

إذا ما كنتَ متخذاً رسولاً فلا ترسل سوى رجل نبيل
فإن النجح في الحاجات يأتي لطالبها على قدر الرسول

● الرعاية الثالثة : تقسيم الأرسال بحسب اتصالهم بمايطلب فيهم إلى ثلاثة كما يظهر من كلام أرسطو : أولهم الكامل الاتصاف بما شرط فيه وهو المفوض إليه بعد المعرفة بغرض مرسله ، ولذلك لا يوصّى لاحتمال أن يرى عند المشاهدة أن الصواب في غير ماوصّى به ، قال :

إذا كنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصـــهِ
وإن باب أمرٍ عليك التوى فشاور لبيباً ولا تعصـــه (٢)

---

(١) ألف أرسطاطاليس كتابه السياسة في تدبير الرياسة لتلميذه الملك الاسكندر ابن فيليبس اليوناني ، وفي مكتبة برلين نسختان منه ، وقد نقله إلى العربية يوحنا البطريق.

(٢) البيت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب . راجع كتاب رسل الملوك تأليف ابن الفراء تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ٨ ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٠

الثاني المتوسط الاتصاف اقتصاراً على الثقة والأمانة والتيقظ ، وهو المقصور على ماألقي إليه من غير زيادة ولا نقص ليؤدي الجواب عليه كما سمعه .

الثالث المقتصر على الأمانة فقط ، وهو الموجه بكتاب ليأتي بجوابه. قلت : والعرف الآن أنه لايعد من الأرسال وإنما يُسمى رقاصاً ورتبته مختلفة عنهم بكثير .

● الرعاية الرابعة : اجتناب تخصيص الوزير بها وإن كان المتصف بأكمل الصفات وأجمعها ، ففي سياسة أرسطو : « إياك أن ترسل وزيرك ولا تخرجه من حضرتك ، فإن في ذلك فساد ملكك » قلت : لأن منزلة الوزير من السلطان منزلة السلطان من الرعية فكما لاتستغني الرعية عن السلطان لا يستغني هو عن الوزير . وقد تقدم تقريره . .

● الرعاية الخامسة : اعتماد التلطف في الوصول إلى المقصود بها والتيقظ لوجوه التصدي إليه تحصيلاً واستجلاباً كما حكى ابن رضوان (١) أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكيم (٢) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس

(١) هو رئيس الكتاب الصدر البليغ أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري من أهل مالقة كان من أعيان كتاب السلطان المستعين بالله سالم المريني. النفح ١٠٧/٦

(٢) أجمعت النسخ المخطوطة التي أشرنا إليها على تسميته هكذا : ابن الحكم والصواب ابن الحكيم . وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي الرندي وأصل سلفه من أعيان إشبيلية ثم انتقلوا إلى رندة في دولة بني عباد . ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه ، وقد قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر إثر عودته من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهري فألحقه السلطان بكتابه إلى أن توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة =

على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب قال له : مامطلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكذا ، وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة فقال له : نعم يامولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولاجهله لكن لسان حاله ينشد :

أيا ملبسي النعما التى جل قدرها　　　لقد خلقت تلك الثياب فجددا

قال فأكمله مطالبه ، ووفى بحسن تلطفه مآربه .

● الرعاية السادسة : اتقاء التساهل في اختيار الرسول لمايؤدي إليه من عظيم الضرر مع الموالي والمعادي ، فمن بعض الحكماء : « اختر رسولك في الحرب والمسالمة فإن الرسول يلين القلوب ويخشنها ، ويبعد الأمور ويقربها ويصلح الود ويفسده » . وكان أردشير يقول : كم من دم سفكه الرسول بغير حق ، وكم من جيوش قد قتلت ، وعساكر قد انتهكت ، ومال قد نهب ، وعهد قد نقض ، بخيانة الرسول وكذبه (١) .

= ثم لقبه بذي الوزارتين ولكن السياسة لم تشغله عن المطالعة والدرس ... إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً غدوة يوم الفطر شوال سنة ثمان وتسعمائة يوم خلع سلطانه ، ومن شعره :

فقدت حياتي بالفراق ومن غدا　　　بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها　　　جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد !

وقد ورد ابن الحكيم سفيراً على السلطان أبي يعقوب يوسف عام ٧٠١ صحبة الوزير عبد العزيز الداني لإحكام عقد الموالاة بين الأندلس والمغرب وقد تم اللقاء بضواحي تلمسان ، مما قيل في رثائه :

قتلوك ظلماً واعتدوا　　　في فعلهم حد الوجوب
ورموك أشلاء ، وذا　　　أمر قضته لك الغيوب
إن لم يكن لك سيدي　　　قبر فقبرك في القلوب

الإحاطة ١٨٠/٢ ، النفح ٦١٨/٢ ، ٥٩٨/٥ ، الاستقصاء ٨٢/٣

(١) التازي : تاريخ المغرب الدبلوماسي ، طبعة فضالة ، ص ٨ — ٩

● الرعـاية السابعة : امتحان الرسول عند ترشيحه للرسالة ، قال الجاحظ : « من الحق على الملك أن يمتحن رسوله محنة طويلة قبل أن يجعله رسولاً » ثم حكي عن ملوك الأعاجم أنها كانت تمتحن من تختاره للرسالة بجعله رســـولاً إلى بعض خاصتـه مع جعـل عينٍ عليـه ، فإذا طـابق ماأحصاه العين عليه وعلم صدق لهجته جعله رسولاً إلى عدوٌ له مع بعث العين عليه ، فإن اتفقا فيما رجعا به وعلم أن قد صدقه صيّره رسولاً إلى ملوك الأمم ووثق به وأقام بعد ذلك خبره مقام الحجة . انتهى ملخصاً .

● الرعاية الثامنة : إرداف الرسول بثان أوثالث أو رابع ، وإن كانا اثنين فذلك مما أخذ به بعض حكماء الملوك مبالغة في التحفظ من خيانـة الرسول أوتقصيره . فمن أردشير أنه كان يقول : « يجب على الملك إذا وجّه رسولاً إلى ملك آخر أن يردفه بآخر . وإن وجه رسولين أن يتبعهما باثنين فإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقاة ولا يترافقا فيتوافقا فتعَل »[1]. قلت : وهذه مبالغة يعسر العمل بها والميسور منها لايترك .

● الرعاية التاسعة : تربّص العمل بمقتضى ما ورد بـــه الرسول حتى يوقف على حقيقته من جهـة أخرى ، ذكر الجاحظ قائلًا [2] : على السلطان إذا عاد إليه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك ، في خير أو شر ، أن أن لا يحدث في ذلك أمراً حتى يكتب إليه مع رسول آخر بحكاية كتابه الأول حرفاً ، فإن الرسول ربما أحرم بعض ما أمّل فافتعل الكتاب وحرّض المرسل على المرسل إليه وأغرى به كذبا عليه . ثم حكى ما اتفق لرسول عن الإسكندر لما أمر بخلع لسانه من قفاه حين وقف على زيادة منه تعرفها بإعادة الرسول إلى من كذب عليه ذلك الرسول . قلت : « الوقوع في

(١) رسل الملوك ص ٢٥ (٢) التاج في أخلاق الملوك .

ذلك نادر ، والتحفظ منه بهذه المبالغة ربما يتعذر فلا توقف لما ذكر ، والصواب ما يقتضيه الحال والله تعالى المرشد إليه ، والمعين لمن شاء عليه » .

● الرعاية العاشرة : تعلم الرسول ما يجب عليه شرعا وسياسة ، فقد قال النَّووي في فضل معرفة ما يحتاج إليه المسافر حسبما تقدم عنه : « إن كان رسولا عن سلطان أو نحوه اهتم بتعلم ما يحتاج إليه من آداب المخاطبات وأجوبة المحاورات ، وما يحلّ من الضيافات والهدايا ، وما يجب عليه من رعاية النصيحة وتوقي الغش والخداع والنفاق والحذر ، ومن التسبب في مقدمات العذر ، إلى غير ذلك مما يتعين عليه » انتهى . من مستحسن ما وفت به الأرسال من حقوق مرسلها في الثناء عليه بحسن السيرة على أبلغ بيان ما حدث به الجاحظ عن الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا للمأمون يجعل اختلافهم إليّ ، فكنت أسأل رجلاً منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الرّوم عن سيرة ملكهم فقال : يبذل عرفه ، ويجرِّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا يبطر جنده ، ولا يحوج رعيته ، سهل النوال ، حزْن النكال ، الرجاء والخوف معقودان في يده ، فقلت : وكيف حكمه ؟ قال : يردّ الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه ، فالرعية اثنان : راض ومغتبط ، قلت : وكيف هيبتهم له ؟ قال : يُتصوَّر في القلوب فتغضي له العيون . قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي له وإقبالي عليه ، فسأل ترجمانه : ما الذي يقول الرومي ؟ قال له : يذكر ملكهم ويصف سيرته . فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان : إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، وقد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوّفهم عنيف عقوبته ، فهم يتراءَوْنه ترائي الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسعهم عدله

وردعتهم سطوته ، فلا تمتهنه مزحة ولا توهنه غفلة ، إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجي خائف الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لا ترفع العيون إليه أجفانها ، ولا تتبعه الأبصار إنسانها ، كأن رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد[1] . فحدث المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتها عندك ؟ قلت : ألفا درهم . قال : يافضل إن قيمتها عندي أكثر من الخلافة ، أما علمت قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كل امرىء ما يحسن فتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة ، فقد أمرت لها بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينها في الجائزة ، فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما ما في بيت مال العامة والخاصة دون ما يستحقانه .

وبعد هذا مباشرة ينتقل ابن الأزرق للفصل التالي تحت عنوان (العارض الخامس الوفود) . وللسياسة الفاضلة بهم عنايات :

● العناية الأولى : احتفال السلطان للقائهم بإظهار زينة الملك وجماله ، فقد كان للنبي ﷺ حلة يتجمل بها للوفود والعظماء ، قال القرافي : وذلك أهيب وأوقع في النفوس وأجدر لحصول التعظيم في الصدر ، قال ابن رضوان : فهو أمر عادي شرعي .

● العناية الثانية : إكرام من يرد منهم من ذوي النباهات في قومه ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما وفد عليه زيد الخيل بسط له رداءه وأجلسه عليه وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

● العناية الثالثة : حسن الإقبال عليهم بالتلطف لهم في الخطاب

(١) رسل الملوك ص ٣١

تأنيساً لهم وإدلالاً ، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان رفيقاً بالوفود ، قلت : كقوله ﷺ لوفد عبد القيس : مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى .

● العناية الرابعة : الإذن في الكلام لمن هو أهل في المقام السلطاني لئلا يتجاسر عليه من لا يستحقه ، ففي وفادة قريش على سيف بن ذي يزن قوله لعبد المطلب جدّ النبي ﷺ إذ كان لا يعرفه وأراد أن يتكلم : « إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك » ، وفي وفادة الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله للغلام الذي تصدر للكلام : (ليتكلم من هو أسنّ منك) .

● العناية الخامسة : إفاضة الإحسان على وفد التهنئة مبالغة في البرّ بهم وإدخال السرور عليهم ، قال ابن رضوان : وهي من سنن الملوك الحسنة وكأنها في معرض شكر الله تعالى بإدخال المسرة على خلقه على النعمة المهنأ بها .. انتهى .

شرح إشارة تقدمت بحكايتين فيها جمل من آداب هذا المقام .

الحكاية الأولى : قضية وفادة قريش على سيف بن ذي يزن : يروى عن ابن عباس رضى الله عنه أتاه وفد العرب وأشرافهم وشعراؤهم لتهنئته وتمدحه ، وأتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، في عدّة من وجوه قريش ، وأهل مكة ، وأتوه بصنعاء وهو في قصره الذي يقال له غمدان ، فاستأذنوا عليه وهو متضمخ بالعنبر يبضّ المسك من مفارقه ، وعن يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، فاستأذن عبد المطلب في الكلام وكان أجل القوم قدراً ، وأعظمهم فخراً ، وأعلاهم نسباً ، وأكرمهم حسباً . ولم يكن سيف يعرفه فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب : أيها الملك إن الله عز وجل قد أحلّك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك

نباتاً طابت أرومته ، وأعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن . وأنت رأس العرب وربيعها الذي به تخصب ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت فيهم خير خلف ، ولن يخمل ذكر من أنت خلفه . أيها الملك نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بك ، فنحن وفد التهنئة لا وفد التعزية . قال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال : ابن أختنا؟ قال : نعم ، قال : أدن . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، وأمناً ومناخاً سهلاً ، وملكاً فحلاً ، يعطي عطاء جزلاً ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، لكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم ، فأخبره ببعثة النبي ﷺ من قومه ، وأمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل ، وعشرة أعبد وعشر إماء ، وعشرة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش عنبر .. وأمر لعبد المطلب بعشرة أمثال ما أمر لهم .

الحكاية الثانية : خبر وفد الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : يُروى أنه لما ولي الخلافة وفد عليه الوفد من كل بلد ، فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر : ليتكلم من هو أسن منك ، فقال له : أصلح الله أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه من الأنام . ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسِّن لكان في مجلسك هذا من الأمة من هو أحق منك . فقال : نعم صدقت ، قل ما بدا لك ، فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد تعزية ، وقد أتيناك لحق الله الذي منَّ علينا بك ، لم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتتنا منك ، وأما الرهبة فقد أمنَّا جورك بعدلك ، فقال له عمر : عظني

ياغلام فقال : أصلح الله أمير المؤمنين إن ناساً من الناس غرَّهم حلم الله تعالى وطول آمالهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت أقدامهم فهوَوا في النار، فلا يغرنك حلم الله تعالى، وطول أملك، وكثرة ثناء الناس عليك، فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم، فلا جعلك الله منهم، وألحقك بصالح هذه الأمة، ثم سكت . فسأل عمر عن سنّ الغلام فإذا هو من ثماني عشرة سنةً ثم سأله عن نسبه فإذا هو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتمثل بقوله .

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
فإن كبير القوم، لا علم عنده، صغيرٌ إذا التفت عليه المحافل
وإن صغير القوم ـ والعلم عنده ـ كثيرٌ إذا ردت إليه المسائل

لعلّ جولة القارىء في كل تلك الرعايات والعنايات والسياسات تعطيه نظرة عن مخطوطة ابن الأزرق التي كانت محلّ اهتمام وتتبع من سائر الملوك والقادة الذين وجدوا فيها سلوى لهم عند الأذكار، ومرشداً لهم وقت الاختيار، وإذا كانت الاستطرادات في بعض الأحيان مما لا يستسيغه التسلسل، فإنّ استطرادات ابن الأزرق على العكس من ذلك، تشعرك وأنت تتنقل في ثناياها وبين رحابها بأنك فعلاً في بستان مبهج بزهوره المتنوعة، وثماره اللذة ومناخه المنعش، وإنّ الذي زاد في قيمة الكتاب ووزنه أن مؤلفه معدود من الخبراء بالسياسة، العارفين بأحوالها، عرف الوزارة والسفارة، كما زاول مهنة الخطباء والقضاء، فهو لذلك خير من يقدم لنا مثل هذا العطاء، وأصدق من يحدثنا عن السياسة والرياسة .

الرباط

عبد الهادي التازي
مدير مركز البحث العلمي

التغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية

الدكتور رمضان عبد التواب

أصبح من المسلم به عند العلماء ، أن اللغـة ليست من صنع فرد أو أفراد ، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع ، يجد أفراده أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة ، للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس ، وتبادل الأفكار . تلك الوسيلة هي اللغة .

ومن المسلم به كذلك عنـدهم أن هذه الوسيلة عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وصيغها ودلالاتها ونظام جملها ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى .

ويهمنا في هذه المقالة تلك التغييرات التي تعتور أصوات اللغـــة . وتنقسم هذه التغييرات عموماً إلى قسمين كبيرين ، أولهما : التغييرات التاريخية ، والثاني : التغييرات التركيبية . ونعني بالتغييرات التاريخية تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة ، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته ، صوتاً آخر . أما التغييرات التركيبية فهي التي تصيب الأصوات ، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة .

● ومن أمثلة التغييرات التاريخية في الأصوات : تطور البـاء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم إلى « فاء » في اللغات السامية الجنوبية ، وهي العربية والحبشية ، وقد بقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية ، وهي العبرية والآرامية والأكادية ؛ مثال ذلك كلمة : pōl (פּוֹל)

في العبرية [١]، التي صارت في العربية : « فول »، وفي الحبشية : fāl (ፋል) .

ومثال ذلك أيضاً: pē (פֶּה) في العبرية = pūmā (ܦܘܡܐ) في الآرامية = pū في الأكادية = « فو » في العربية [إلى جوار : فَمْ ، بالتميم الذي نُسي أصله، فعدّ أصلاً من أصول الكلمة، وأضيف إليها التنوين الذي يقابل التميم ، وفتحت الفاء قياساً على بعض أسماء الأعضاء في الجسم ؛ مثل : يد، عين، رأس .. الخ] = af (አፍ) في الحبشية .

ومثال ذلك أيضاً : pālag (פָּלַג) في العبرية = plag (ܦܠܓ) في الآرامية بمعنى : « شق » فيها = palgu في الأكادية بمعنى : « قناة » = Falag (ፈለግ) في الحبشية بمعنى : « جدول » = « فَلْجٌ » و « فَلَجَ » في العربية بمعنى : « شَقّ » .

وتطور هذه الباء (p) المهموسة في العبرية والآرامية إلى « فاء » مسألة خاصة بالسياق الصوتي فيها ؛ فإن هذا الصوت مع خمسة أخرى، يطلق عليها أصوات : (بجد كبت)، الأصل فيها أن تكون انفجارية، إلا إذا جاءت بعد حركة ، فإنها في هذه الحالة تتحول إلى أصوات احتكاكية دون أن يتأثر المعنى بذلك ؛ فمثلاً : كلمة « فتح » في العربية، تقابل في العبرية : pātaḥ (פָּתַח) كما تقابل في

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني ١٧/٢٨ وسفر عزرا ٤/٩

الآراميـة : ptah (ܦܬܰܚ) ، غير أن المضارع من هذا الفعل في العبرية هو : yiftah (יִפְתַּח) وفي الآرامية : neftah (ܢܶܦܬܰܚ) ، فلم تنطق « البـاء » فيها : « فـاء » إلا لوقوعها هنا بعد حركة .

● ويعد صوت الجيم في العربية مثالاً طيباً للتغييرات التاريخية في الأصوات ؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها ، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش ، كالجـيم القاهرية تماماً ؛ فكلمة : « جمل » مثلاً ، هي في العبرية : gāmál (גָּמָל) وفي الآرامية : gamlā (ܓܰܡܠܳܐ) وفي الحبشية : Gamal (ገመል) . أمـا العربيـة الفصحى فقد تحوّل فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهي بشين مجهورة .

ومن التغييرات التـاريخية لهذا الصوت انحلاله إلى أحـد عنصريه المكوّنين له ، في اللهجات العربية الحديثة ؛ إذ ينطق كالدال في صعيد مصر ، فترى أهالي مدينة « جرجا » مثلاً ، يسمون مدينتهم : « دِردا » ، كما يقولون : « دمَل » و « داموسة » في : « جمل » و « جاموسة » وغير ذلك . والمكوّن الثاني للجيم ، وهو الشين المجهورة ، نسمعها جيداً في نطق الشاميين لهذا الصوت ، وهو مانسميه : « بالجيم الشامية » .

ويبـدو أن انحلال الجيم العربية الفصيحـة إلى العنصر الأول من عنصريها ، قد حدث منذ وقت مبكر في اللهجات العربية ؛ فقد ذكر

ابن مكي الصقلي (المتوفّى سنة ٥٠١ هـ) في كتابه : « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » أن الناس في عصره كانوا يقولون : « دشيش » في : « جشيش »[١] ، ومثل ذلك رواه أبو بكر الزبيدي (المتوفّى سنة ٣٧٩ هـ) عن عوام الأندلس في كتابه : « لحن العوام »[٢] ، كما ذكر ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) إلى جانب هذه الكلمة كذلك : « تدشّيت » في : « تجشّأت »[٣] .

وأقدم من هذا انحلالها إلى العنصر الثاني وهو الشين المجهورة ، وقد ضاع منها الجهر ، فصارت شيناً مهموسة ، كالشين الأصلية في العربية ؛ فقد روي عن قبيلة تميم أنهم كانوا يقولون في المثل : « شرٌّ ما أشاءك إلى مُخّة عرقوب » بدلاً من : « أجاءك » أي : « ألجأك »[٤] .

وقال زهير بن ذؤيب العدوي[٥] :

فيا ل تميم صابروا قد أُشئتم إليه وكونوا كالمحرِّبة البُسلِ

كما قال الراجز[٦] :

إذ ذاك إذ حبل الوصال مُدْمَشُ

أي : « قد أجئتم » بمعنى : « ألجئتم » و « مدمج » .

ويروي لنا أصحاب كتب لحن العامة بعض أمثلة هذه الظاهرة عبر

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦

(٢) لحن العوام للزبيدي ٢٠

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٤١

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ١٦٤/٢ ، والصحاح (شيأ) ٥٩/١

(٥) الصحاح للجوهري (شيأ) ٥٩/١

(٦) سر صناعة الإعراب ٢١٥/١ وألف باء للبلوي ٤٣٢/٢

عصور العربية ، وفي أصقاعها المختلفة ؛ فقد رووا لنا مثلاً : « اشترّت الدابة » في : « اجترّت » و « فلان مشّهد » في : « مجتهـــد » و « اشترأ على فلان » في : « اجترأ عليه » و « شخّ الصبي » في : « جـخّ » و « فَشَـر » في : « فَجَـر » و « وِش » [1] في : « وجه » ، وغير ذلك .

وهناك تغيير تاريخي ثالث للجيم في اللهجات العربية ، وهو تحولها إلى « ياء » . وقد حدث في لهجة تميم كذلك ؛ فقد روي أن بني تميم يقولون في : « الصهريج » ، وفي جمعه : « الصهاريج » وهو الذي يجتمع فيه الماء : « الصهريّ والصهاريّ » ، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال : « شيرة » للشجرة . وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكنّ ظل ولاجنى   فأبعدكنّ الله من شــيرات

تريد : « شجرات » .

وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوبي العراق ، وبعض بلدان الخليج العربي ؛ إذ يقولون في « مسجد » مثلاً : « مسيد » ، وفي « دجاج » : « ديأي » وغير ذلك [2] .

● وصوت القاف كذلك من الأصوات التي عانت كثيراً من التغييرات التاريخية في العربية ؛ فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان والتصاقها باللهاة ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلاً :

Kōl (קוֹל) بمعنى: «صوت» وفي الآرامية: Kdām (ܩܕܡ)

---

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٣١٥ ، ٣٣٥

(٢) انظر في كل ذلك : فصول في فقه العربية ١١٣

بمعنى : « قدّام » ، وفي الحبشية : (ቆመ) Kōma بمعنى : « قام » ، وفي الأكادية : pakad بمعنى : « بحث » . وهذا النطق المهموس هو الذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر .

وقد عدّ قدماء اللغويين العرب « القاف » من الأصوات المجهورة ، فإن صدق وصفهم هذا ، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة ، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر .

غير أن هناك تغييرات تاريخية أخرى كثيرة ، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية ، فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام : « همزة » ، وقد روي لنا في القديم مثل هذا النطق في كلمة : « القفز » و « الأفز » (١) ، كما ينطق في السودان وجنوبي العراق « غيناً » ، فنسمعهم يتحدثون عن « الاستغلال » وهم يقصدون بذلك : « الاستقلال » . وفي لهجة مصر كلمتان من هذه الظاهرة ، هما : « يغدر » ومشتقاتها بدلاً من : « يقدر » ، وكلمة : « زغزغ » بمعنى حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه ، ولها صلة « بالزقزقة » المروية لنا عن العرب ، بمعنى ترقيص الطفل (٢) . كما ينطق صوت القاف صوتاً مزدوجاً ، كالجيم الفصيحة ، في بعض بلدان الخليج كالبحرين ؛ إذ يقولون مثلاً : « الجِبْلة » ، بدلاً من : « القبلة » . كما نسمعها في مدينة « الرياض » وما حولها بالسعودية ، صوتاً مزدوجاً كذلك ، غير أنه مكوّن من دال وزاي

(١) انظر الإبدال لأبي الطيب ٢/٥٦٢

(٢) انظر اللهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر ١١٥

(dz) في مثل : « زبلة » في : « قبلة » ، و « المزبرة » في : « المقبرة » وغير ذلك . وهناك أخيراً تطور للقاف لدى كثير من الفلسطينيين ، بنطقها كالكاف ، فهم يقولون مثلاً : « كال » في : « قال » و « كتله » في : « قتله » ، وغير ذلك .

* * *

هذه هي بعض أمثلة التغييرات التاريخية للأصوات في اللغات السامية ، والعربية ولهجاتها . أما التغييرات التركيبية فهي مشروطة بتجمع صوتي معين ، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللفظية .

وأهم قوانين التغييرات التركيبية للأصوات قانونان هما : قانون المماثلة Assimilation وقانون المخالفة Dissimilation . أما الأول فيدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب ، في حين يدعو الثاني صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد . ونفصل فيما يلي القول في هذين القانونين :

١ – قانون المماثلة :

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل ، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة ، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ؛ ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها – كما نعرف – في المخارج ، والشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، وما إلى ذلك ، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً ، حدث بينهما شدٌّ

وجذب ، كل واحد منها يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها .

وهذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة يحدث كذلك بين الحركات ، كما يحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة والحركات .

وهناك اصطلاحات لعلماء الأصوات ، في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة ، فإن أثّر الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مقبل) ، وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كلي) ، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر (جزئي) . وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع ، قد يكون الصوتان متصلين تماماً ، بحيث لايفصل بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات ، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض ، بفاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات .

ويمكن تلخيص بيان أشكال التأثر الصوتي ، على النحو المبين في الصفحة المقابلة .

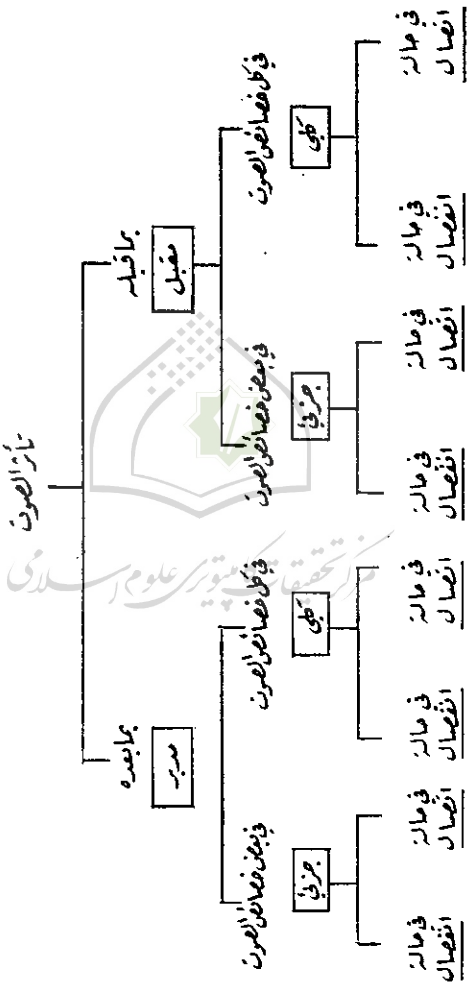
وقبل أن نضرب الأمثلة المختلفة على ذلك ، نحب أن نشير هنا إلى أن الصوت لايمكن أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جداً ، فلاينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلاً ، إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس .

وقد فطن إلى هذه الحقيقة العلامة ابن جني فقال [1] : « فأما قول من قال في قول تأبط شراً :

كأنما حثحثوا حُصّاً قوادمُه أوأمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاق

إنه أراد : حثثوا ، فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا

(١) سر صناعة الإعراب ١/١٩٧


تأثر الصوت
بما قبله
مقبل
في كل خصائص الصوت
كلي
في حالة اتصال
في حالة انفصال
في بعض خصائص الصوت
جزئي
في حالة اتصال
في حالة انفصال
بما بعده
مدبر
في كل خصائص الصوت
كلي
في حالة اتصال
في حالة انفصال
في بعض خصائص الصوت
جزئي
في حالة اتصال
في حالة انفصال

وإنما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر [بن السراج] معهم ، وسألت أبا علي عن فساده ، فقال : العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها . قال : وإنما (حثحث) أصل رباعي ، و (حثّث) أصل ثلاثي وليس واحد منهما من لفظ صاحبه ، إلا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة ، و (حثّث) من مضاعف الثلاثة » .

كما يقول ابن سيدة : « ما لم يتقارب مخرجاه ألبتة ، فقيل على حرفين غير متقاربين ، فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق (١) » .

وفيما يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثير السابقة :

(١) التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال : من أمثلته ما يلي :

ا ـ تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو بالطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء ؛ وذلك مثل :

ادترك > ادّرك ؛ ادتهن > ادّهن ؛ اطتلب > اطّلب ؛ اطتلع > اطّلع ؛ اطترد > اطّرد .

ب ـ تتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها ، فتقلب ذالاً أو صاداً أو ضاداً ؛ مثل : اذتكر > اذّكر ؛ اضتجع > اضّجع ؛ اصتبر > اصّبر .

جـ ـ تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل ، إذا كانت طاء ، فتقلب طاء في بعض

---

(١) المخصص ١٣/٢٧٤

اللهجات القديمة . وعلى هذه اللغة أنشد قول علقمة بن عبدة التميمي :

وفي كل حيٍّ قد خبطتَ بنعمة فحقّ لشأس من نداك ذَنُوب

ويقول سيبويه : « وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء ؛ لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجيء لمعنى ، وليست تلزم هذه التاء الفعل ، ألا ترى أنك إذا أضمرت غائباً قلت : (فَعَلَ) فلم تكن فيه تاء » [١] .

(٢) التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال : من أمثلته ما يلي :

ا – تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (ـهُ) والجمع المذكر (ـهُم) والجمع المؤنث (ـهُنّ) والمثنى (ـهما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة ؛ مثل : برجلِهُ 〉 برجلِهِ ؛ فيهُ 〉 فيهِ ؛ عليهُ 〉 عليهِ ؛ ضربتِهُ 〉 ضربتِهِ ؛ بصاحبِهُم 〉 بصاحبِهِم ؛ قاضيهُم 〉 قاضيهِم ؛ بهُنّ 〉 بهِنّ ؛ بِهُما 〉 بِهِما ، وغير ذلك . وأصل حركة هذا الضمير موجود في القراءة القرآنية المروية عن حفص في قوله تعالى : « وما أنسانيهُ إلا الشيطان أن أذكره » وقوله تعالى : « ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله [٢] » ، وهذا الأصل هو لغة أهل الحجاز ، وقد روي عنهم أنهم كانوا يقرأون : « فخسفنا بهو وبدارهو الأرض » [٣] .

ب – روى أبو بكر الزبيدي أن عامة الأندلس في القرن الرابع الهجري كانت تقول : خَيْزَران وسَيْكَران ، وهو نبت تدوم خضرته في القيظ [٤] ، بدلاً من خَيْزُران وسَيْكُران .

(١) كتاب سيبويه ٢/٤٢٣ (٢) التيسير للداني ١٤٤

(٣) المقتضب للمبرد ١/٣٧ (٤) لحن العوام للزبيدي ٥٤ ، ١٢٤

(٣) التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال : من أمثلته مايلي :

ا ـ تتأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها ، فتقلب طاء في الحالتين الأوليين ، ودالاً في الحالة الثالثة ؛ مثل : اصتبغ > اصطبغ ؛ اضتجع > اضطجع ؛ ازتجر > ازدجر .

ب ـ تتأثر تاء الافتعال بالجيم إذا كانت فاء للفعل ، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : اجتمع > اجدمع ؛ اجتزّ > اجدزّ .

ويقول ابن جني(١) : « وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات ؛ قالوا : اجدمعوا في اجتمعوا ، واجدزّ في اجتزّ ، وأنشدوا :

فقلت لصاحبيّ لا تحبساني ... بنزع أصوله واجدزّ شيحا

ولايقاس ذلك إلا أن يسمع ، لاتقول في اجترأ : اجدرأ ، ولا في اجترح : اجدرح »!

جـ ـ تتأثر التاء بالأصوات المجهورة قبلها ، فتقلب ذالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : يجثو > يجذو ؛ تلعثم > تلعذم .

وإن كان ابن جني ينكر أن يكون ذلك قلباً ويدعي أنهما لغتان ؛ فيقول(٢) : « وأما قولهم : جذوت وجثوت ، إذا قمت على أطراف أصابعك . وقرأت على أبي علي :

إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصنّاجة تجذو على كل منسَمِ

فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، بل هما لغتان ، وكذلك قولهم أيضاً : قرأ فما تلعثم ، وما تلعذم » .

(١-٢) سر صناعة الإعراب ١/٢٠١

د — تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل إذا كانت صوتاً مفخماً ، فتقلب التاء طاء في بعض اللهجات القديمة ، وهي تلك التي يقول أصحابها : فَحَصْطُ برجلي ، بدلاً من : فحصت [١] .

هـ — روى أبو الطيب اللغوي [٢] أنه يقال في « نَشْز » : « نَشْس » ، كما يقال في « رجل جِبْس » للرجل الدنيء : « رجل جِبْز » ؛ ففي المثال الأول تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها ، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو السين ، وفي المثال الثاني تأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي .

(٤) **التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال** : من أمثلته مايلي :

أ — تتأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي في كلمة : مِهْراس ، التي صارت : مِهْراز في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجري ، كما روى لنا ذلك ابن هشام اللخمي [٣] .

ب — تتأثر الذال بالقاف قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم وهو الظاء ، في بعض اللهجات القديمة ؛ يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت : وقيذ ووقيظ . ويقول ابن جني [٤] : « يقال : تركته وقيذاً ووقيظاً . والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال ؛ لقوله عز اسمه : (والموقوذة) بالذال ، ولقولهم : وقذه يقذه ، ولم أسمع : وقظه ، ولا موقوظة ؛ فالذال أعم تصرفاً ، فلذلك قضينا بأنها الأصل » .

(١) انظر كتاب سيبويه ٢/٤٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ٢/٢٢٥

(٢) الإبدال لأبي الطيب ٢/١١٨ (٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٣٣

جـ — تتأثر الدال بالراء قبلها في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم ، وهو الضـــاد ؛ لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية ؛ مثل : معربد ＞ معربض[١] .

(٥) **التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال** ؛ من أمثلته ما يلي :

ا — في مضارع صيغتي : تفعّل وتفاعل ، تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفـاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي ؛ مثل :

يَتَذَكَّر ＞ يَتْذَكَّر ＞ يَذّكّر ← اذّكّر (في الماضي)

يَتَطَهَّر ＞ يَتْطَهَّر ＞ يَطّهّر ← اطّهّر (في الماضي)

يَتَدارأ ＞ يَتْدارأ ＞ يَدّارأ ← ادّارأ (في الماضي)

يَتَثَاقل ＞ يَتْثَاقل ＞ يَثّاقل ← اثّاقل (في الماضي)

وقد حدث ذلك في اللغة العربية القديمة ، وجاء ذلك في القرآن الكريم ، جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى ، التي لم يحدث فيها تطور ؛ كقوله تعالى : « اثّـاقلتم إلى الأرض » (التوبة ٩/٣٨) « وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها » (البقرة ٢/٧٢) « بل ادّارك علمهم في الآخرة » (النمل ٢٧/٦٦) « وما يذكّر إلا أولو الألباب » (البقرة ٢/٢٦٩) « وما يدريك لعله يزّكّى أو يذّكّر فتنفعه الذكرى » (عبس ٨٠/٣-٤) « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيَّنَتْ » (يونس ١٠/٢٤) .

ولعل هذه الظـاهرة كانت في سبيل التطور في العربية الفصحى ، عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم — كما قلنا — جنباً إلى جنب مع الصيغ القديمة ، التي لم يحدث فيهـا تغير للأصوات ،

(١) لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

كقوله تعالى : « لولا أن تداركه نعمة من ربك » (القلم ٦٨/٤٩) « وما يتذكر إلا من ينيب » (غافر ٤٠/١٣) « قالوا إنا تطيرنا بكم » (يس ٣٦/١٨) ، وهو يقول في آية أخرى : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك » (النمل ٢٧/٤٧) . بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معاً ، كقوله تعالى : « ليدّبروا آياته وليتذكّر أولو الألباب » (ص ٣٨/٢٩) .

وقد ظل هذا التطور سائراً في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده ، وقضى على الظاهرة القديمة ؛ ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلاً : فلان اصّدعت دماغه ، واسّرّع في كلامه ، واشّهّى الأكل ، واصّوّر ، واطّوّع في الجيش . ولا أثر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب ؛ إذ لا يقال فيها مثلاً : فلان تصدّعت دماغه ، وتسرّع في كلامه ، وتشهى الأكل ، وتصوّر ، وتطوّع في الجيش .

وكذلك الحال في صيغة (تفاعل) ؛ إذ ماتت هي الأخرى ، وحلت محلها صيغة : (اتفاعل) التي شاهدنا مولدها في عصر نزول القرآن الكريم ؛ إذ نقول الآن في لهجات الخطاب : فلان اطّاول على فلان ، واشّاتم هو وهو ، واسّاهل معاه ، واصّالحوا سوا ؛ بدلاً من : تطاول عليه ، وتشاتم ، وتساهل ، وتصالح .

بل لقد سادت صيغتا (انفعّل واتفاعل) في اللهجة العامية المصرية ، حتى ولو لم يكن في الأصل صوت من أصوات الصفير أو الأصوات الأسنانية ، كقولنا مثلاً « انفرّج » و « اتبهدل » و « اترازل عليه » ، وغير ذلك .

ب — تتأثر النون في : إنْ وأنْ ومنْ وعَنْ ، بالميم واللام التي تليها ،

فتقلب ميماً أو لاماً ؛ مثل : إمّا وأمّا وإلا وألا وممّا وعمّا ، وما إلى ذلك .

جـ — في العربية القديمة ، تتأثر لام التعريف بما بعدها ، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة (الراء واللام والنون) ، وهي ماتسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمسية ، فتدغم فيها . وقد جمعها بعض الشعراء في أوائل كلمات البيت التالي :

طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

د — روى لنا اللغويون في « وَتِد » : « وَدّ » ، وقالوا : « الأصل : وَتِد ، وهي اللغة الحجازية الجيدة ، ولكنّ بني تميم يسكنون التاء ويدغمونها في الدال »[١] .

هـ — تتأثر اللام في كلمة : (بل) بالراء في أول الكلمة التي تأتي بعدها ؛ فتقلب راء ؛ كقول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

فإنها تنطق : « بردّيه » . وكان ذلك هو السبب الذي أوقع قطرباً النحوي المشهور في الخطأ ، حين زعم أن « برّد » من كلمات الأضداد ، تأتي بمعنى : بَرّد وسخّن ، اعتماداً على هذا البيت ، ولم يدر أن الراء منقلبة عن اللام في « بل » . وقد عابه بذلك أبو الطيب اللغوي ، في كتابه الأضداد (١/٨٦) . ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم » (المطفّفين ٨٣/ ١٤) . وهذا هو السر في أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة ، حتى يوجد فاصلاً بين اللام والراء بعدها ، فلا تتأثر بها .

(١) الجمل للزجاجي ٢٨٠

و – تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن باللام بعدهـا ، في مثل قوله تعالى : « يغفر لـكم » فتقلب لاماً ، وإن كان ابن جني ينكر ذلك ويقول : « واعلم أن الراء لما فيها من التكرير ، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير . فأما قراءة أبي عمرو : « يغفر لـكم » ، بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا ، وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس » (١) .

ز – أورد سيبويه شواهد على تأثر لام (بل) بالشين والثاء والتاء بعدها ؛ مثل قول طريف العنبري :

تقول إذا استهلكتُ مالاً بلذّة ... فكيهةُ هشّيءٌ بكفّيْكَ لائقُ

يريد : هل شيء ... وقرأ أبو عمرو : هَثّوّب الكفارُ ، يريد : « هل ثُوّب الكفار ... » وقد قرئ : بتّؤثرون الحياة الدنيا ، يريد : « بل تؤثرون » . وقال مزاحم العقيلي :

فدع ذا ولكن هتّعينُ متيّماً ... على ضوء برق آخر الليل ناصبُ

يريد : هل تعين » (٢) .

(٦) **التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :**

ا – كلمة : (እምዘ) ʾemza في الحبشية تقابل كلمة : « مُنْذُ » العربية ، وهي في الحبشية مركبة من : (እም) ʾem بمعنى « مِنْ » و (H)za بمعنى اسم الموصول (ذو) الطائية . وهذا كله يدل على أن أصل (مُنْذُ) العربية : (مِنْ + ذو) ،

(١) سر صناعة الإعراب ٢٠٦/١

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٤١٧/٢

فقلبت كسرة الميم ضمة تأثراً بضمة الذال بعدها . وقد بقي هذا الأصل عند بني سليم ، فقد حكي عنهم أنهم يقولون : « مِنْذُ » بكسر الميم [١] . ويخطىء السيوطي حين يرى أن الذال في مُنْذُ « ضمت إتباعاً لحركة الميم ، ولم يعتدّ بالنون حاجزاً » [٢] .

ب ـ تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة : مِفْعَل ومِفْعَلَة ، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري [٣] ؛ إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين ، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ مثل : مَقْود ، ومَسَنّ ، ومَقْنَع للثوب الذي يغطى به الرأس ، ومَطْرد للرمح الصغير ، ومَخَدّة ، ومَزْدَعَة للوسادة . وقد استمر ذلك في لهجة الأندلس في القرون التالية ، فقد روى لنا ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون : مَصيدة ، ومَطرقة ، ومَغرفة ، ومَرْوَد ، ومَشْرَط ، ومَنْجَل ، ومَنْبَر ، ومَكنسة ، ومَروحة ، ومَلعقة [٤] .

وهذا هو الاتجاه العام في تطور هاتين الصيغتين في اللهجات العربية الحديثة ؛ ففيها يسود التأثر المُدْبِر ، كما في الأمثلة السابقة . أما التأثر المُقْبِل فيها ، فلم أعثر له على مثال إلا فيما رواه ابن الجوزي (المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ) من قول العامة في عصره : (مِكِنْسِة) بدلاً من « مِكْنَسة » [٥] .

---

(١) انظر : لسان العرب (منذ) ٥/٤٧

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٧

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ١٩٠ ـ ١٩١

(٤) المصدر نفسه ٢٣٧ ـ ٢٣٨

(٥) تقويم اللسان لابن الجوزي ٤٤

(٧) التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال، من أمثلته ما يلي :

ا — في العربية القديمة تتحول الصاد قبل الدال إلى زاي ؛ مثل : «يَزْدُق» في «يَصْدُق»، واتصال الصاد بالدال هنا شرط لتحقق التأثر السابق ؛ قال ابن السكيت : «والعرب تقول : أزْدُق بمعنى : أصْدُق ، ولا يقولون : زَدَق»[1] . ولم يعين اللغويون القبيلة التي ينتمي إليها هذا الإبدال ، وأغلب الظن أن الزاي هنا كانت مفخمة ، غير أنهم كتبوها بالزاي المرققة ، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية . وقد روي لنا هذا الإبدال كذلك في المثل العربي : «لم يُحرم من فُزْدَله»[2].

وقد زعم أبو الطيب اللغوي أن طيئاً تقلب كل صاد ساكنة زاياً ، ولم يقيدها بوقوعها قبل الدال ، فقال : «ويقال : هي المِزدغة والمِصدغة ، للمِخدّة . وطيىء تقلب كل صاد ساكنة زاياً . قال الأصمعي : كان حاتم الطائي أسيراً في عنزة ، فجاءته النساء بناقة ومِفْصَد ، وقلن له : افصد هذه الناقة ، فأخذ المفصد فلَتَم في سَبَلتها ، أي نحرها ، وقال : هكذا فزدي أَنَهْ ، أي فصدي أنا ثم قال :

لا أفصد الناقة من أنفها لكنني أوجرُها العاليهْ

وقد قرىء : حتى يَصْدُر الرِّعاء ويَزْدُر الرعاء . ويقال : هو كثير القزدلك والقصدلك»[3] .

(١) انظر : القلب والإبدال لابن السكيت ٤٥

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ١٩٤

(٣) الإبدال لأبي الطيب ٢/١٢٦ - ١٢٨

وكل هذه الأمثلة وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة ، وهي السبب في هذه المماثلة ، فلا يقال - كما في هذا النص - : « وطيىء تقلب كلّ صاد ساكنة زاياً » ، بل تزاد عبارة : « قبل دال » ولعلها ساقطة من أصل الكتاب .

ب - تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها ، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء ، وهو صوت الميم ؛ إذ هو شفوي كالباء ، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب في مثل قوله تعالى : « من بعد ما جاءهم » ، وقوله تعالى : « عليم بذات الصدور » ، وقوله : « إذ انبعث أشقاها » . ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم : « مَمْبَر » في مِنْبَر إلى جانب التأثر المدبر الكلي في حركة الميم ، كما سبق أن عرفنا .

جـ - تقول العامة في عصرنا الحاضر : « يِسْحَف » بدلاً من « يَزْحف » (١)؛ فقد تأثرت الزاي في هذا المثال ، وهي صوت مجهور ، بالحاء التالية لها وهي صوت مهموس ، فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين .

(٨) التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :

ا - الصاد قبل الراء تقلب زاياً في بعض قراءات القرآن الكريم ؛ مثل : « زراط » في : « صراط » أو لعلها كانت تنطق مثل الظاء العامية ؛ إذ يقول صاحب « مقدمتان في علوم القرآن » (١٤٧) : « غير أن الذي يُشم بالصاد زاياً يحافظ على بقاء الإطباق في الصاد » . وهذا ما سبق أن ذكرناه من ترجيح أن تكون الزاي مفخمة في مثل هذه الكلمات .

---

(١) انظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٨٥

ب – روى ابن هشام اللخمي أن النـاس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في : « سرداب » : « زِرْداب »(١).

جـ – الناس في مصر وبعض البلاد العربية ، يطلقون على : « السعتر » « زعتر » (٢) .

د – بنو أسد يقولون في « الدّفتر » : « تِفتر »(٣) .

هـ – تميل الراء إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها ، ومن هـذا الأثر قولنا في مصر : « طُور » في : « تُور » المنقلبة عن « ثَور » ، كما نطلق كلمة : « الضرب » على « الدرب » بمعنى الطريق المسدود .

و – السين قبل الطاء تقلب صاداً في بعض قراءات القرآن ؛ فقـد روي « عن ورش عن نافـع : أم هم المصيطرون ، و : فلست عليهم بمصيطر ، بإخلاص الصاد . وروى محمد بن الجهم عن الفراء قال : الكتاب وخط المصحف بالصاد في : مصيطر ، والمصيطرون ، والقراءة بالسين » (٤) .

٢ – قانون المخالفة :

هناك قانون صوتي آخر ، يسير في عكس اتجـاه قانون المماثلة ، وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم : « قانون المخالفة » ؛ فقد عرفنا أن قانون المماثلة ، يحاول التقريب بين أصوات بينها بعضُ المخالفات . أما قانون المخالفة ، فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات ،

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٤٣
(٢) انظر : تهذيب الألفاظ العامية للشيخ الدسوقي ٦٦
(٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٠٩/١
(٤) انظر : مقدمتان في علوم القرآن ١٤٨

فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم : Liquida وهي : اللام والميم والنون والراء .

ويقول فندريس : « ينحصر التخالف ، وهو المسلك المضاد للتشابه ، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة ، وكان من حقها أن تعمل مرتين ؛ فمن الكلمة اللاتينية : Arborem (أرْبُورِم) بمعنى : شجرة ، نشأت الكلمتان : الأسبانية Arbol (أربُل) والبروفنسية Albre (ألبْر) ، فالذي حدث في كلتا الحالتين ، مع اختلاف الترتيب ، هو أن المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات ، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلاً من أن يقوم بحركتين ، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة »(١) .

ومثال المخالفة بين السامية الأم والعربية : كلمة « شمس » ، فهي في السامية الأولى : « شمش » كما في الأكادية والعبرية والآرامية . والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم ، قلبت في العربية « سيناً » ، وهذا من التغييرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل ، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية : « سمس » ، غير أن المخالفة بين السينين ، أدت إلى قلب الأولى شيناً .

وكذلك كلمتا : « سنبلة » و « قنفذ » حدثتا بطريق المخالفة بين الصوتين من كلمتين كانت الباء فيهما مشددة ؛ « فسنبلة يوافقها في العبرية : (שִׁבֹּלֶת) šibbólet وقنفذ يوافقه في العبرية : (קִפּוֹד) Kippōd »(٢) .

---

(١) اللغة لفندريس ٩٤

(٢) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ٤٦

ومثـــال ذلك في العربية : « قيراط » و « دينار » بدلاً من : « قِرّاط » و « دِنّار » بدليل الجمع : « قراريط » و « دنانير » . و « أملل » و « أملى » ، وفي القرآن الكريم : « وليملل الذي عليه الحق » (البقرة ٢/ ٢٨٢) .

وكان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في : « إجّاص » للكمثرى : « إنجاص » ، وفي : « أترجّ » : « أترنج » ، وفي : « إجّانة » : « إنجانة » ؛ فقد ذكر الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩ هـ) أن الناس كانوا في عصره يزيدون النون في هذه الكلمات فقال : « ويقال : أترجّ وإجّانة وإجاص . هذه الأحرف بإسقاط النون » [١] .

كما كان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري يقولون : « كرناسة » في : « كراسة » كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة : « عدنبس » بدلاً من الكلمة القديمة : « عدبّس » ، وكان يقولون : « تقعور » بدلاً من الفعل : « تقعّر » [٢] .

كما روى أبو منصور الجواليقي (المتوفّى سنة ٥٣٩ هـ) عن عامة عصره أنهم كانوا يقولون : « منْطَر » في : « ممطر » ، كما كانوا يقولون : « خرْمَش » في : « خمَّش » [٣] .

والكلمة الأخيرة يستعملها العامة اليوم مع القلب المكاني ، فيقولون : « خرشم » ومثل ذلك في كلامهم لفظة : « لحبط » التي حدث فيها قلب مكاني من : « خلبط » التي نتجت بطريق المخالفة الصوتية من الفعل القديم : « خلّط » .

---

(١) انظر : ما تلحن فيه العوام للكسائي ٣٥ ، وانظر كذلك : إصلاح المنطق ١٧٦

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ٣٥ ؛ ١٦١ ؛ ٢٦٤

(٣) انظر : تكملة ما تلحن فيه العامة للجواليقي ١٣٤ ؛ ١٣٩

كما تقول العامة في عصرنا الحاضر : « قرنبيط » في : « قنّبيط » و « مهردم » في : « مهدّم » [١] و « فرتك » في « فرّك » و « ضرفة الباب » بدلاً من : « دفّة » ، وقد فخمت الدال بتأثير الراء ، كما سبق أن ذكرنا ذلك ، كما يقولون : « كعبل » بدلاً من « كبّل » [٢] . ويقولون كذلك : « سنكر الباب » بدلاً من « سكّر » المستعارة من الآرامية : (ܣܟܰܪ) [٣].

وقد حكى ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسّر بقانون المخالفة ، عن طريق إبدال أحد المتماثلين حرف مدّ ؛ مثل : « عايرت الموازين » في : « عيّرت » و « عوش الطائر » في : « عشّ » و « مصافُهم » في : « مصفّهم » و « ضارة المرأة » في « ضرّة » و « موخ » في : « مخّ » [٤] . ومثل ذلك ما حكاه ابن السكيت عن العرب أنهم يقولون : « الذمّ » و « الذّام » للعيب [٥] .

ولعلنا ، بقانون المخالفة ، نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي : « زُحْلُوفة » و « زُحْلُوقة » في قول الأصمعي : « الزحاليف والزحاليق : آثار تزلّج الصبيان من فوق طين أو رمل أو صفاً ، فأهل العالية يقولون : زحلوفة وزحاليف ، وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون : زحلوقة وزحاليق » [٦] ، فالظاهر أن الكلمة الأولى : «زحلوفة» مأخوذة من الفعل : « زحلف » الناتج بطريق المخالفة الصوتية من « زحّف » كما أن الكلمة الثانية : « زحلوقة » مأخوذة من الفعل : « زحلق » الناتج بطريق

(١) انظر : أصول الكلمات العامية لحسن توفيق العدل ٣٩

(٢) انظر : المحكم في أصول الكلمات العامية ، للدكتور أحمد عيسى ٨٣ ؛ ١٨٨

(٣) انظر : فصول في فقه العربية ٢٩٠

(٤) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣

(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٦

(٦) الإبدال لأبي الطيب ٢/٣٣٧

المخالفة الصوتية كذلك من الفعل : « زلّق » ، فانظر إلى اختلاف الأصول وتشابه الفروع الجديدة !

وليس من اللازم أن يكون الصوتان متجاورين ؛ فكلمة : « عنوان » تنطق في بعض اللهجات عندنا : « علوان » ، وكلمة : « لعل » فيها عشر لغات مشهورة(١) . ومن هذه اللغات : « لعنّ » ، وهي أثر من آثار قانون المخالفة .

وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة ، وكانوا يعبرون عنها أحياناً « بكراهية التضعيف » أو « كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكروه » أو « استثقلوا اجتماع المثلين » وغير ذلك ؛ فقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان : « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء ، لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد »(٢) .

وقال أبو عكرمة الضبي : « أنشدني أبو العالية لبعض بني أسد :

إذا برِحَت فنقعٌ مستكفٌّ وإن تُقْنِي فسلْغَدٌ عذُومٌ

تقني : صارت في قنان من الأرض ، وهي إكام ذات حجارة ، الواحد قُنّة . وكان الأصل : تُقْنِنِ ، فأبدل النون الأخيرة ياء ، كراهةً لاجتماع حرفين من جنس واحد ، كما قالوا : تظنّيت ، والأصل : تظننت ، وكقول العجاج :

تقضّيَ البازي إذا البازي كسر

أراد : تقضض . ولهذا أمثال كثيرة »(٣) .

ومن قواعد الصرفيين في العربية ، أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٧١/١

(٢) كتاب سيبويه ٤٠١/٢

(٣) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ – ٨٥

قبل واو متحركة مطلقاً ، أو ساكنة متأصلة الواوية ، نحو : « أواصل » و « أواق » ؛ فإن الأصل فيها : « وواصل » ، وكذلك : « وواق »؛ لأنها جمعان لكلمتي : « واصلة » و « واقية » ؛ ففاء كل منها واو . ويجري مثل ذلك في أنثى : « الأول » وجمعها ؛ فإن الأصل فيهما أن يكونا : « وُولى » و « وُوَل » ، ولكنها في العربية : « أولى » و « أوَل » ، وليس ذلك كلّه إلا أثراً من آثار قانون المخالفة .

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية ، هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بها في كلمة واحدة ؛ ولتيسير هذا المجهود العضلي ، يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً ، كاللام والميم والنون .

ويرى « برجشتراسر » أن العلة في التخالف « نفسية محضة ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه ، وأكثر ما يكون هـذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ؛ لأن النفس يوجد فيها – قبل النطق بكلمة – تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، بعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة » (١) ، وذلك مثل الكافات في عبارة : « كريم الكركشندي دبح كبش ، وعمل على كرش الكبش كشك ، يا ما أحلى كشك كرش كبش كريم الكركشندي »!

ومن المخالفة الصوتية المؤثرة في العربية كذلك : المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين ، إذا كانت الأولى منها طويلة ؛ إذ تتحول الثانية منها في

---

(١) التطور النحوي ٢١

هذه الحالة إلى كسرة ، فالأصل في نون المثنى هو الفتح ، غير أنها كسرت تبعاً لهذا القانون ؛ بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر، وبدليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم ، وهي ما نسميه نحن « بالركام اللغوي » ؛ مثل : « شتانَ » في مثل قولهم : « شتان أخوك وأبوك » أي هما متفرقان ؛ فهو تثنية شتّ ، والشتّ : المتفرّق (١) .

ومن لم يقنعه هذا المثال ، فلينظر في نون التوكيد المشدّدة ، وهي مفتوحة – كما نعرف – في : « يضربَنّ » و « تضربَنّ » وما إلى ذلك ، غير أنها مكسورة في مثل : « يضربانِّ » بسبب المخالفة المذكورة .

وهذه النون التي تسمّى بنون الرفع في الأفعال الخمسة ، هي مفتوحة في : يفعلونَ وتفعلونَ وتفعلينَ ، ولكنها مكسورة في : يفعلانِ وتفعلانِ ، بسبب هذا القانون نفسه .

بل إن نصب جمع المؤنث بالكسرة ليُفسَّر كذلك بهذا القانون ، أي أن الأصل هو نصب هذا الجمع بالفتحة ، بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قولهم : سمعت لغاتَهم ، وقول الرياشي : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراتَهم (٢) ، غير أن أثر هذا القانون ، هو الذي أدّى إلى تخالف الفتحة إلى كسرة ، فيما نعتقد .

وليست المخالفة هي الطريق الوحيد في اللغات ، للفرار من ثقل اجتماع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في الكلمة ؛ فقد تنشىء اللغة فاصلاً بين الصوتين ، يخفف من ثقل اجتماعها ، كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد اللغة العربية فيه ألف مدٍ بين نون

(١) لسان العرب (شتت) ٢/٣٥٥

(٢) منهج السالك لأبي حيان ص ١١

النسوة ونون التوكيد ، وهذه الألف يسميها الصرفيون « بالألف الفارقة »[١].

ويقول فندريس : « هناك مسلك ثالث ؛ وذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماسان إلى التوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينهما ، تلك المشابهة التي تصل أحياناً إلى التماثل التام ، ولا أن يتحصن كل منهما ضد الآخر ، بوضع نوع من العازل ، يكون عقبة في سبيل التأثير المتبادل بينهما ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلا ما بينهما من فروق فيعمقاها إلى حد ألا يبقى بينهما شيء مشترك ، ثم يزيلا كل نقطة للتشابه ، وتلك هي عملية المفارقة »[٢].

ويقصد فندريس بالتوافق ما سبق أن سميناه : « المماثلة » ، كما يقصد بالمفارقة ما سميناه : « المخالفة » . أما « العازل » الذي يتحدث عنه فهو الذي سبق أن مثلنا له بالألف الفارقة في العربية . وقد مثل (فندريس) لهذه الاتجاهات التطورية الثلاثة ، بمعاملة بعض اللغات للمجموعتين الصوتيتين : Akta و Atna على النحو التالي :

توافق	anna	↙
عازل	atena ⟵	atna
مفارقة	atra	↖

توافق	atta	↙
عازل	aketa ⟵	akta
مفارقة	achta	↖

وتميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال في أبنيتها ، عن طريق آخر ، إلى جانب طريق المخالفة الصوتية ، ووضع العازل بين الأصوات ، ذلك هو طريق الحذف . ومن أمثلة ذلك فيها : صيغ « تفعّل » و « تفاعل » و « تفعلل » مع تاء المضارعة ؛ مثل : « تتقدّم » و « تتقاتل »

(١) انظر في طرق التخلص من توالي الأمثال : الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٨

(٢) اللغة لفندريس ٩١

و « تتبختر » ، فالكثير في العربية الاكتفاء بتاء واحدة . وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ؛ ففيه مثلًا : « تذكّرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل : « تتذكّرون » ٣ مرات بلا حذف ، كما يقابلنا فيه مثلًا : « تكاد تميّز من الغيظ » بدلاً من : « تتميز » و « فأنت عنه تلهّى » بدلاً من : « تتلهّى » و « ناراً تلظّى » بدلاً من : « تتلظّى » وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية ، قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب ، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة ، قبل هاتين الحالتين ، كقول الأعشى :

أبالموت الذي لا بدّ أنّي ملاق لا أباك تخوّفيني (١)

أي « تخوفينني » . وكقول عمرو بن معديكرب :

تراه كالثغام يُعَلّ مسكا يسوء الفاليات إذا فَلَيْني (٢)

أي « فلينني » . وكقول جميل :

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وأنني بادي النحول (٣)

أي « تريننى » .

وليست ضرورة الشعر هي المتسببة في هذا الحذف ، كما قد يُتَوَهّم ، إذ ورد في النثر كذلك ، فقد ورد في سيرة ابن هشام : « ما الذي تهنئونا به » (٤) ، وفيها كذلك : « أفلا تعطوني » (٥) . وفي الأغاني

---

(١) أمالي ابن الشجري ٣٦٢/١ ، والكامل للمبرد ١٤٢/٢ ، والمنصف لابن جني ٣٣٧/٢ (٢) كتاب سيبويه ١٥٤/٢ والمنصف لابن جني ٣٣٧/٢

(٣) الأغاني ١٠٩/٨ (٤) سيرة ابن هشام ٤٥٨ (٥) المصدر نفسه ٥١

للإصفهاني : « فأخبراه أنهما لا يعرفاني »[١] . وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: « لِمَ تزعجوني من جواركم »[٢] . وفي تفسير الطبري : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وَسْقاً ، ونقتل منهم ولا يقتلونا »[٣] .

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالي الأمثال كذلك : إنّ وأنّ ولكنّ وكأنّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب . والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً : « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل : « إنني » ٦ مرات ، كما ورد فيه : « وإنّا » ٣٣ مرة ، في مقابل : « وإننا » مرة واحدة ،وغير ذلك.

ولعل المسؤول عن منع كلمة : « أشياء » من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (سورة المائدة ٥ / ١٠١) ؛ إذ لو صرفت لقيل : « عن أشياءٍ إنْ » ولا يخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن).

وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال ؛ ففي الآرامية مثلاً : (ܐܪܝܐ) بمعنى « ليث » أصلها الاشتقاقي ʾaryāyā . وفي الألمانية مثلاً كلمة der Beamte بمعنى : « الموظف » ، هذه الكلمة أصلها الاشتقاقي : Der Beamtete وغير ذلك من الكلمات[٤].

القاهرة رمضان عبد التواب

(١) الأغاني ٥/١٢٦ (٢) عيون الأخبار ١/٢٩٣ (٣) تفسير الطبري ٨/٥١٠

(٤) انظر في تفصيل ذلك : مقالتنا « كراهة توالي الأمثال » مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/١٩٦٩ م

التعريف والنقـد

مروان بن محمـد
وأسباب سقوط الدولة الأموية

دار لسان العرب « بيروت » ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

الأستاذ عارف النكدي

هذا الكتاب هو تاريخ للعهد الأخير من الدولة الأموية في الشرق . وضعه القاضي سعدي أبو جيب ، وقدم له الدكتور شاكر مصطفى ، فأحسن كلاهمـا : الدكتور في مقدّمته ، والمؤلف في كتابه ، أحسنا معنى ومبنى ، فليس من حق ما يكتب عن بني أمية ، واللغة العربية كانت في المنزلة التي كانت ، أن يكتب عنها بغير الأسلوب الذي كتبت فيه المقدمة ووضع فيه الكتاب .

ينفي صاحب المقدمة عن مروان (ظلم التاريخ له حين يجعل نهاية الدولة الأموية على يديه ومن عمله ، وما له في الأمر يدان ، وإنما جنى الشوك الذي كان زرعه الآخرون) وهو القول الحق . فالدولة الأموية كانت تحتضر قبل مروان ابن محمد ، وهذا ماأثبته المؤلف فيما عدّده من فساد في الداخل وتزاحم على الخلافة وتقاتل في سبيلها ، وما أحاط بها من فتن وثورات واضطرابات على ما يقوله المؤلف ، وهو الواقع .

نقول : حال لا يقوى خليفة على دفعها ولا القضاء عليها ، أكان مروان بن محمد ، أم غيره .. حتى ولو كان عمر بن عبد العزيز الذي ذهب المؤلف إلى أنه لها ...

دولة مترامية الأطراف ، مختلفة الشعوب ، متباينة المذاهب .. السياسية والدينية ، كانت تجمعها جامعة من الدين ، ففترت حدّته ، وغلبت عليه المطامـع

والأغراض فالتفت الناس إلى وجه جديد يغيرون معه ما كانوا فيه ، جاهلين ماعسى أن يقع لهم ، مثلهم مثل من همه أن يخرج مما هو فيه ، ولا يبالي على أي جنبيه وقع .

ويدخل بك المؤلف إلى كتابه في مدخل يقول فيه : « التاريخ ، قصة حكاية ودرس ، هو تصوير للحياة بواقعها ، بكلّ مافيها من خير وشر ... في تاريخ الدولة تجد تصوير حياتها في عزها وذلها ، وفي انتصارها وهزيمتها ، وتجد وصف أيام شبابها وكيف هوت وما هي أسباب كل ذلك » .

وبعد هذا المدخل ، يحدثك المؤلف في خطبة الكتاب : عن مروان كيف اعتلى عرش الخلافة ، ثم ما كان من الأحداث في عصره وكيف عالج ماعالج منها ، وكيف عجز عما عجز عنه ، إلى أن سقطت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية.

ومزايا مروان كثيرة ، وأخطاؤه قليلة قلّ أن يسلم من مثلها عظيم من العظماء .

والكتاب ، على ما فيه من اختصار وإيجاز ، يعطيك الصورة الصادقة عما كان ، وعما كان يمكن أن يكون .

وللدولة – على ما قال ابن خلدون – أعمار (فإذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون) .

عارف النكدي

غمائم الخريف

ديوان جديد للشاعر رياض معلوف

زحلة « لبنان » أيلول ١٩٧٤

الأستاذ شفيق جبري

في عصرٍ مثل عصرنا الذي نعيش فيه ، في عصر شاعت في أكثره حضارة المادّة ، وغلبت الآلة على مظاهر هذه المادة ، أفما ينبغي لنا أن نرحب بالذين يشتد إيمانهم بسلطان الشعر ؟. والأستاذ رياض معلوف صاحب « غمائم الخريف » من المؤمنين بهذا السلطان ، وقد أيّد إيمانه باستشهاده ببعض أقوالٍ للمقدسي وابن خلكان : أيّ شرف أبقى من شرفٍ يبقى بالشعر ، وإن امرأ القيس كان من أبناء الملوك ، وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً ، فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره إلى القيامة ، وإنما أمسك ذكرَه شعرُه ، وإن تحت العرش كنوزاً مفاتيحها ألسنة الشعراء .

لست أشك في أن شاعرية رياض معلوف أصيلة ، وأعتقد أن الإنسان إذا لم يخلقه الله تعالى شاعراً ، لن يبلغ من الشعر مبلغاً مهما تكن لغته وصوره فالشاعرية هي روح الشعر ، لم يبالغ صاحب « غمائم الخريف » لمّا قال في مقدمة ديوانه : وكلّ قطعة منها ، أي من قصائده ، هي فلذة اقتطعتها من حشاشتي وقلبي قبل تسطيرها ... فشعره ابن قلبه وروحه ، وما يشتمل عليه هذا الشعر من لغة وصورٍ وشعورٍ إنما هو ابن طبعه ، خلقه الله فيه .

تتجلى شاعرية رياض معلوف في مواطن كثيرة من شعره ، تتجلى هذه الشاعرية في وصف الطبيعة ، ومحبة ولده ووالده ، ووصف جلائل الآثار ، مثل وصف قلعة بعلبك ومغارة جعيتا ، كما تتجلى في البكاء على

شبابه ، وفي إيمانه بالله تعالى ، وفي وصف وطنه زحلة ، ولست أرمي إلى الإتيان على هذه المواطن كلها ، لقد مررت عليها فلم أجد فيها مانجده من المعميات في بعض شعر هذا العصر ، مما لا نفهمه ولا نظن أن أصحابها يفهمونه . فلا يشتمل شعره على صورٍ غامضة ، ليس إلى فهمها من سبيل ولا على ألفاظ متنافرة ، تستوحش الواحدة من أختها ، وإنما خياله مصقول وذوقه مصفّى ولغته واضحة ، ولا يحتاج رياض معلوف إلى أكثر من ذلك ليكون شاعراً أصيلاً .

« شفيق جبري »

المعجم الفلسفي
تأليف الدكتور جميل صليبا

المجلد الأول ٧٦٥ صفحة + المجلد الثاني ٧١٦ صفحة
دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٣

الدكتور محمد كامل عياد

الزميل الصديق الدكتور جميل صليبا مازال، منذ خمسين عاماً، يشتغل بالفلسفة. فهو، بعد أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة الصوربون على أطروحته الأساسية عن «فلسفة ابن سينا فيما بعد الطبيعة» وعلى أطروحته المتممة عن «النظرية الاجتماعية في المعرفة»، تولّى منذ سنة ١٩٢٧ تدريس الفلسفة في المدارس الثانوية ودور المعلمين أولاً ثم في الجامعة السورية وأخيراً في الجامعة اللبنانية. وقد نشر خلال هذه المدة الطويلة عدداً كبيراً من الكتب الفلسفية والتربوية والأدبية التي ألفها أو حققها أو ترجمها مثل: «علم النفس» و «المنطق» و «من أفلاطون إلى ابن سينا» و «من الخيال إلى الحقيقة» و «الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث» و «مقالة الطريقة» لديكارت و «الرسالة الجامعة» للمجريطي و «المنقذ من الضلال» للغزالي و «حي بن يقظان» لابن طفيل و «منتخبات من ابن خلدون ومن ابن سينا» و «مستقبل التربية في الشرق العربي» و «الدراسات الفلسفية» و «اتجاهات النقد الحديث في سورية» و «تاريخ الفلسفة العربية» أضف إلى ذلك كثيراً من المقالات والمحاضرات والأحاديث في المجلات والأندية والإذاعة.

وهكذا كان له أكبر الفضل في تثقيف الأجيال المتعاقبة منذ نصف قرن وفي توجيه الحياة الفكرية وإشاعة الوعي الفلسفي بين المتعلمين.

ولاشك في أن تجـاربه الطويلة في التعليم قد كشفت له عن أهميـة المصطلحات العلمية والفلسفية وأثرها في الفهم والتفاهم . ذلك أن الطلاب الذين يقرأون النصوص الفلسفية من دون أن تشرح لهم ألفاظها يصعب عليهم فهم معانيها فيقتصرون على ترداد الألفاظ الفارغة كالببغاوات وبالتـالي يجمد تفكيرهم وتتحجر عقولهم . كذلك في المجتمع لاسبيل إلى التفاهم بين الناس إذا هم لم يتكلموا « بلغة واحدة » أي : إذا لم تكن الألفاظ التي يستخدمونها دالة على معان واحدة ، محددة تحديداً واضحاً .

ومن المعروف أن لكل علم لغة فنية خاصة تعتمد على مصطلحات متفق عليها . ويشترط في هـذه المصطلحات أن تكون ألفاظها مطابقة للمعـاني المقصودة ، وأن لايستعمل اللفظ إلا فيما وضع له ، فلايعبر عن المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . على أن في اللغة العربية ، كما في غيرها ، ألفاظاً كثيرة متباينة ومتفقة ومترادفة ، وربما وجدت فيها ألفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة. وهذه المرونة في دلالة الألفاظ ، رغم فائدتها ، لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والإشـكال .

وإذا كنا نفاخر بأن اللغـة العربية قد استطاعت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية أن تستوعب الفلسفة اليونانية وأن تضع المفاهيم الفلسفية مصطلحات عربية ، في حين عجزت اللغات الأوروبيـة الحديثـة عن ذلك واضطرت إلى اقتباس المصطلحات اليونانية ، فلا ننس أن بعض المفاهيم القديمة قد تبدلت وأن هنالك كثيراً من الموضوعات والمعاني الجديدة التي تحتاج إلى ألفاظ تعبر عنها .

وقد دأب الدكتور جميل صليبا ، منذ سني حداثته ، كما يقول ، على ترجمة المصطلحات الفلسفية من الفرنسية مستعيناً بالألفاظ التي يجـــدها في

مؤلفات الفلاسفة العرب . وهكذا نراه يلحق بكتابه « علم النفس » في طبعته الأولى (سنة ١٩٣٦) فهرساً للألفاظ الفلسفية يشتمل على مايقارب (٣٦٠) كلمة قد احتفظ الآن بمعظمها في معجمه .

ومن الطريف أنه في مقابل لفظة (Raisonnement) أي الاستدلال في المعجم كان ذكر في الفهرس لفظة (محاكمة) ، وذلك حسبما تعلمناها من أساتذتنا في سورية إذ ذاك الذين نقلوها عن اللغة التركية ـ العثمانية . وكان المؤلفون الأتراك ـ العثمانيون يعتمدون في وضع المصطلحات العلمية عامة والفلسفية خاصة على اللغة العربية ، ولكنهم كانوا في الغالب يتصرفون بالألفاظ وصيغ تكوينها ومعانيها . وقد أطلقوا لفظة (محاكمة) على العملية الفكرية التي تنظر في الأدلة وتصدر الحكم . كذلك اقتبسنا عنهم لفظة (فرضية) مقابل (Hypothèse) .

وقد تمسك الدكتور صليبا بهذه اللفظة في المعجم على الرغم من أن مجمع اللغة العربية في مصر وضع عوضاً عنها كلمة (فرض) التي يريد الدكتور صليبا إطلاقها على مفهوم (التجويز العقلي) بوجه عام مقابل كلمة (Supposition) بينما يخصص اصطلاح (فرضية) من جهة للأوليات والمسلّمات التي يستند إليها العالم الرياضي في البرهان . ومن جهة أخرى للتفسيرات المؤقتة لحوادث الطبيعة في العلوم التجريبية .

وهناك مصطلحات أخرى في الفهرس قد استبدل بها غيرها في المعجم مثل (الحتمية) عوضاً عن (مذهب التقيد) ، ولفظة (المثالية) محل (المذهب الخيالي) ، و (الماصدق) مكان (الشمول) = (Extension) .

وقد استمرّ الدكتور صليبا بعد إصدار كتابه (علم النفس) في التنقيب

عن المصطلحات الفلسفية ودراسة مدلولاتها ، كما شارك في وضع عدد كبير منها ؛ ثم أخذ ينشر تلك المصطلحات تباعاً في هذه المجلة فلقيت استحساناً عظيماً وظل القراء ينتظرون بفارغ الصبر إتمامها وإخراجها في شكل كتاب .

يشرح لنا الدكتور جميل صليبا في مقدمة كتابه القواعد الأربع التي يجب اتباعها عند وضع المصطلحات العلمية وهي :

أولاً : البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المقصود . مثال ذلك لفظ (جوهر) الذي يطلق على ماتدل عليه اليوم كلمة (Substance) ، أو لفظ (المقولات) مقابل (Categories) التي ترجمها العرب عن اليونانية ، في حين اقتبسها الأوروبيون كما هي . ويمكن أن نجد أمثال هذين المصطلحين في المعاجم القديمة الخاصة مثل (تعريفات الجرجاني) و (كليات أبي البقاء) و (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) بالاضافة إلى كتب الفلاسفة العرب .

ثانياً : إذا عثرنا على لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فإنه يمكننا إستخدامه بعد تبديل معناه قليلاً وتحديده تحديداً جديداً . ويذكر الدكتور صليبا مثالاً على ذلك لفظة (الحدس) مقابل (Intuition) .

ثالثاً : اشتقاق لفظ جديد لمعنى جديد مثل لفظة (استبطان) للدلالة على التأمل الباطني (Introspection) ، ولفظة « الموضوعية » مقابل (Objectivité) بمعنى مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص .

رابعاً : تعريب اللفظ الأجنبي مثل كلمة (ديموقراطية) . ويمكن

أن نذكر أيضاً كلمة (ايديولوجية) التي لم ترد في معجم الدكتور صليبا الذي يبدو أنه لا يميل مبدئياً إلى التعريب ، ولذلك فضل مثلاً استخدام كلمة (العرفانية) عوضاً عن (الغنوصية) (Gnosticisme) المذكورة في معجم المصطلحات الفلسفية لمجمع اللغة العربية في مصر .

إن معجم الدكتور جميل صليبا الذي يقع في مجلدين كبيرين يمتاز على المعاجم الفلسفية القليلة الموجودة بين أيدي الناس بأنه ، من جهة ، يشتمل على عدد أكبر من المصطلحات ، وأنه ، من جهة ثانية ، لايكتفي ببضع كلمات في تعريف المصطلح بل يتوسع في شرح كل لفظ فيرجع إلى أصله في اللغة ويثبت إلى جانبه مايقابله من الألفاظ الفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، ثم يستعرض المعاني الخاصة التي يدل عليها في الفلسفة القديمة أو في مختلف المذاهب من الفلسفة الحديثة ، ويورد نصوصاً فلسفية قديمة وحديثة تبين وجوه استعمال كل مصطلح .. وإذا لاحظنا أن اصطلاح (جدل) مثلاً أو (عقل) أو (وجود) أو (علة) أو (طبيعة) أو (اشتراكية) يختلف معناه اختلافاً كبيراً عند الفلاسفة القدماء وفلاسفة القرون الوسطى والمفكرين العرب وعند كل واحد من أصحاب المدارس الحديثة من (ديكارت) إلى (كنط) ومن (هيغل) إلى (سارتر) و (هايدغر) ، إذا لاحظنا ذلك ندرك السبب الذي دفع الدكتور صليبا إلى أن يخصص صفحات عديدة لتفسير هذه المصطلحات وبيان معانيها الكثيرة المختلفة . وهكذا جاء كتابه أقرب إلى الموسوعات الفلسفية منه إلى مجرد معجم ألفاظ .

وقد تقيد الدكتور جميل صليبا ، على وجه العموم ، بالتفسير الموضوعي لكل لفظ . إلا أنه لم يستطع أحياناً ، كما يعترف في المقدمة ، أن يمتنع عن إبداء بعض التفسيرات الذاتية المتفقة مع وجهة نظره الخاصة . وهذا

طبيعي في الموضوعات الفلسفية التي تتصل بأهم القضايا الكونية والمشاكل البشرية والتي يصعب إصدار أحكام نهائية مطلقة فيها. ومما يزيد في صعوبة المصطلحات الفلسفية أن المعاني التي يراد التعبير عنها تتصف بالإحاطة والشمول، وتتضمن فروقاً دقيقة، وفيها احتمالات كثيرة لكل قضية.

وفيما يتعلق بالمصطلحات الفلسفية في اللغة العربية فإن الحاجة مازالت ماسة إلى البحث والاجتهاد وإعادة النظر دوماً في النتائج التي نصل إليها والتي لا بد أن تكون مؤقتة قابلة للتعديل والتبديل. لذلك لم يتردد الدكتور جميل صليبا في مخالفة بعض المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية في مصر مثل ترجمة كلمة (emotion) بلفظ (الانفعال). وهو يقول: إن هذه الترجمة لا تخلو من الالتباس، لأن الانفعال لفظ عام يشمل الحساسية واللذة والألم والعاطفة والميل والهوى في حين أن كلمة (emotion) يقصد بها الحالات المفاجئة من غضب وخوف وخجل وما أشبه ذلك، ويفضل أن تترجم بلفظ (هيجان). ثم إن معجم مجمع اللغة العربية يستخدم لفظة (انفعال) أيضاً مقابل لفظة (passion) التي يترجمها الدكتور صليبا بكلمة (هوى). كذلك كلمة (axiome) التي وضع مجمع اللغة العربية مقابلها كلمة (مبدأ) قد استعمل الدكتور صليبا في ترجمتها لفظة (بديهية).

ومن الغريب أن نجد ترجمة لفظتي (deduction) و (inférence) بصورة معكوسة، فالأولى تقابل في مصطلحات مجمع اللغة العربية كلمة (استنباط)، والثانية كلمة (استنتاج)، بينما الأمر على عكس ذلك في معجم الدكتور صليبا. وفي الواقع فإن الألفاظ (استنباط) و (استنتاج) و (استدلال) و (قياس) متقاربة جميعاً في معانيها. لذلك لا بد من الاتفاق على تخصيص كل واحدة بمصطلح معين. كذلك يجب الاتفاق

على ترجمة كلمتي (essence) و (substance) اللتين تقابلان في المعاجم المتداولة لفظتي (جوهر) و (ذات) أو بالعكس .

ومهما يكن الأمر فإن معجم الدكتور جميل صليبا يعتبر إنجازاً قيماً وخطوة هامة في سبيل وضع المصطلحات العلمية التي تحتاج إليها اللغة العربية في الوقت الحاضر ، ونحن على يقين بأن هذا المعجم الفلسفي سوف يثير اهتمام الباحثين والدارسين ويساعدهم على متابعة جهودهم .

دمشق محمد كامل عياد

الشـاب الظريف

تأليف الدكتور زكي المحاسـني

١٦٦ صفحة من القطع المتوسط ـ دمشق ١٩٧٢

الدكتور عدنان الخطيب

أديب دمشق الراحل الدكتور زكي المحاسني غني ، بأدبه الرفيع وشهرته الواسعة في مختلف الأقطار العربية ، عن أي تعريف . لقد دفع إلى النشر في أوائل سنة ١٩٧٢ كتاباً له عن « الشاب الظريف » وهو لا يعرف أن موعده مع القدر كان قريباً . لقد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن يشهد كتابه مطبوعاً ، وقبل أن يقدّمه لقرائه كما عوّدهم . لقد فاته تقديم الكتاب ، غير أنه كتب لمحة موجزة عن حياته فألحقها الناشر بما طبع .

عدد الدكتور المحاسني في ترجمته لنفسه الأعمال التي تولاها ، مشيراً إلى أن آخرها كان أستاذاً محاضراً للأدب بكليتي الآداب والتربية في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٦٦ إلى آخر عام ١٩٦٩ م .

وقال الدكتور المحاسني ، وهو يترجم لنفسه : نشرتُ من الآثار الأدبية المطبوعة ما يأتي :

. . . .

١٦ ــ « الشاب الظريف » بالدراسة والتاريخ الأدبي ــ محاضرات في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ ـ إصدار المكتبة العباسية بدمشق لعام ١٩٧٣ .

وهكذا عرفنا أن كتاب « الشاب الظريف » يضم مجموعة محاضرات ألقيت في كلية الآداب اللبنانية عام ١٩٦٩ ، وكان مقدراً له الصدور في عام ١٩٧٣ ، غير أنه صدر في نهاية عام ١٩٧٢ بعد وفاة المؤلف رحمه الله .

لقد اشتهر الدكتور المحاسني بعربية مشرقة وبأسلوب رصين ، ينتقي ألفاظه انتقاءً يدل على سعة اطلاع وذوق جمالي عميق . وبهذا الأسلوب الذي تعودناه من المؤلف بدأ محاضراته عن عصر الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني الذي ولد — على حدّ تعبيره : « ودنيا العرب تعجُّ بالأحداث الجسام ، في السياسة المروّعة والغلاب المستديم » فقد كانت جراحات بغداد لا تزال دامية ، وقد وضع العفاء ميامسه السود عليها بعد أن غربت عنها شمس بني العباس . ولم تكن سائر البلاد العربية أحسن حالاً وبخاصة مصر إذ كثر فيها الظلم وعظم الجور ، إلى أن آل حكمها إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي كان يرعى الحرم ، ويبني المدارس ، ويشجع رجال العلم ، وكانت ولادة الشاب الظريف في عهده بمصر سنة ٦٦١ ، ثم مات في عنفوان شبابه وله من العمر سبعة وعشرون ربيعاً .

ويحدثنا المؤلف بعدئذ عن الحياة الفكرية في ذلك العصر ، والأسباب الداعية إلى وصف المؤرخين له مع عصور تلته بالانحطاط ، ويعقب على ذلك بالكلام عن الحياة الأدبية ، متمثلاً بما يعطي صورة واضحة عنها ، مشيراً إلى ما اعتور تلك الحياة من أدواء مبيرة أفسدت حلاوة الشعر العربي بإدخال الألغاز والأحاجي فيه ، كما أفسدت رواء اللغة بالتزام السجع تارة وبالإكثار من المحسنات اللفظية تارة أخرى .

وخص المؤلف الفصل الثاني من كتابه بالكلام عن الشاب الظريف في عصره ، محدداً شخصيته ، مبيناً نشأته ، متحرياً عن ثقافته ومصادرها ، مخططاً للنهج الذي يجب أن يسلك لدراسة الشاعر من آثاره الباقية .

وفي الفصل الثالث درس المؤلف ما وصل إلينا من شعر الشاب الظريف وبين براعته في الصناعات البديعية في كل من غزله ومدحه ووصفه ، معدداً

ما تفرد به من ضروب الصور والتشبيهات ، متناولاً بالتحليل والنقد الفنون التي طرقها في شعره ، ثم أنهى الكتاب بفصل حوى منتخبات من هذا الشعر.

إن محاضرات الدكتور زكي المحاسني عن الشاب الظريف ، ليست موفقة في اختيار موضوعها وطريقة عرض مباحثها فحسب ، بل إنها لصورة رائعة تحمل طابع مؤلفها الفذ بلغته المتينة وألفاظه الجزلة ، وهي تمثل في أسلوبها حيويته وتدفقه في الحديث الممتع الدالّ على سعة ثقافته العربية والأجنبية ، وتطلعه الدائم إلى حمل سامعه على مشاركته في التمتع بلذة المقارنات الأدبية الرفيعة .

رحم الله الدكتور زكي المحاسني بما أسداه للعربية من خدمات جلّى ، وحفظ الله زوجته الكريمة الأديبة الكبيرة السيدة وداد السكاكيني ، ووفقها لإتمام ما شرعت به من نشر ما تركه فقيد الأدب الراحل من آثار أدركه الموت قبل أن يتمكن من دفعها للطبع .

عدنان الخطيب

كتب الرياضيات لطلاب
كلية العلوم الاقتصادية

الأستاذ وجيه السمان

أهدت جامعة حلب ، مشكورة ، بعض الكتب العلمية من مطبوعاتها إلى مجمع اللغة العربية ، وهي تبحث في العلوم الرياضية والفيزياء والهندسة الكهربائية .

فأما كتب الرياضيات فهي مجموعة مؤلفة من أربعة أجزاء يدرسها طلاب السنة الأولى في كلية العلوم الاقتصادية للدكتور عبد القادر الأفندي وكتاب في الجبر والتحليل للصف الإعدادي العام ، للأستاذ أحمد علوظي .

وكتب العلوم الأخرى هي : كتاب في القياسات الكهربائية ، وكتاب في الميكانيك الفيزيائي ، وقد أفردنا لكل من هذين باباً خاصاً من الملاحظات .

أما كتب الرياضيات فقد لفت نظرنا عند تصفحها ما يلي :

في المجموعة الأولى :

١ — Fonction Hyperbolique : تابع قطعي . ومن المعلوم أن المنحنيات من الدرجة الثانية التي تنجم عن قطع السطح المخروطي الدائري بمستو يمكن أن تكون قطعاً زائداً ، وهو المقصود هنا ، أو قطعاً مكافئاً Parabole ، أو قطعاً ناقصاً Ellipse ، أو دائرة Cercle ، أو أن تكون مجرد مستقيمين متقاطعين في ذروة المخروط .

فإذا اقتصرنا على الإشارة إلى المنحني الأول بكلمة قطع فقط نكون

قد أدخلنا التباساً أكيداً على تعريفنا . وإذا كان الدافع إلى ذلك هو التخلص من المصطلح المركب ، وهو القطع الزائد ، لعدم إمكان إضافته ، فالأولى أن نختصره بقولنا الزائد ، ويصبح التابع الذي نتكلم عنه هو التابع الزائدي لا التابع القطعي . وكذلك شأن الخطوط المثلثية القطعية التي وردت : جيب قطعي ، جيب تمام قطعي ، ظل قطعي ، يفضل أن تسمى بالجيب الزائدي ، تمام الجيب الزائدي ...

٢ — Fonction Implicite : ترجم بتابع مستتر ، والأولى أن يترجم بالتابع الضمني ، بعكس التابع الصريح الذي هو Fonction Explicite

٣ — Binôme de Newton : ترجم بثنائي نيوتن ، وقد درجت تسمية Binôme بذي الحدين لا بالثنائي .

٤ — Chaînette : ترجمت بالسلسلة ، والأفضل أن تسمى السليسلة على وجه التصغير ، لأن السلسلة هي Chaîne .

٥ — Nombre Opposé : ترجم بعدد متناظر ، ولا مجال هنا لتسميته بالمتناظر ، ولو قيل المناظر لكان له وجه من الصواب ، والأفضل أن يسمى بالعدد المقابل .

٦ — Différence : ترجم بالفضل ، والأفضل هو أن يترجم بالفرق .

٧ — Puissance : ترجمت بالقوة ، والأفضل أن تسمى: الأس ، لكيلا تختلط بكلمة Force .

٨ — Restriction : ترجمت بمقصور ، ويفضل أن تترجم بقيد أو تقنين ، أو حصر ، أو تحديد .

في كتاب الجبر والتحليل :

١ — Implicite : ترجم بظاهري ، وقد ذكرنا أنه ترجم في كتب الدكتور عبد القادر الأفندي بمستتر ، واقترحنا أن يسمى : ضمني .

٢ — Module : ترجم بطويلة ، وأعلم أنها شائعة الاستعمال عند بعض الأساتذة ، وقد سميتها (شخصياً) الطول ، وأتمنى أن يجد لها أساتذة الرياضيات مقابلاً أحسن من هذا .

القياسات الكهربائية وأجهزتها

لطلاب السنة الثالثة من كلية الهندسة (فرع الكهرباء) بجامعة حلب

تأليف الأستاذ ميشيل منصور

يقع هذا الكتاب في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير . وهو يعالج دراسة أجهزة القياس الكهربائية وطرائق استعمالها ومبادىء القياس فيها . وتشمل هذه الأبحاث القياسية شدة التيار الكهربائي وكمونه (توتره) وذبذبته ، وعلى التفريغ الكهربائي والتدفق المغناطيسي ، وعلى قياس المقاومة الكهربائية والاستطاعة الكهربائية في التيارات المستمرة والمتناوبة ، بما في ذلك الاستطاعة الفعلية والتفاعلية — الردية (ويسميها المؤلف بالرد فعلية) .

ثم يدرس الكتاب قياس المقاومة والطور والتواتر (ويسميه المؤلف بالتردد) والتواقت ، وعامل الاستطاعة ، ويدرس أجهزة القياس العائدة لكل ذلك .

ثم ينتقل إلى أجهزة قياس التحريض المغناطيسي والمقادير المغناطيسية والتضييع وأجهزة القياس ذات المغناطيسية الحديدية .

وفي الختام يتكلم المؤلف عن المحولات التي تستعمل في عمليات القياس المختلفة .

والكتاب محرر بلغة سهلة واضحة ومطبوع طبعاً جيداً ، وهو ثمرة جديدة تضاف إلى المكتبة العلمية العربية ، ويشاهد المطالع مابذله المؤلف من جهد في تأليفه .

والذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب أن المصطلحات المستعملة فيه لم توضع على نظام واحد . فأسماء أجهزة القياس (وهي في أغلب الأحيان أسماء مركبة) جاءت أحياناً معربة كلها مثل :

الفولتمتر Voltmètre

الغلفانومتر Galvanomètre

البرمیامتر Perméamètre

الميغومتر Megohmètre

الواطمتر Wattmètre

اللوغومتر Logomètre

الأمبيرمتر Amprèmètre ... الخ

وجاءت أحياناً في هيئة مصطلحات عربية على وزن مِفعال مثل :

مِصفاح : Phasemètre

مِرداد : Fréquencemètre

مِدفاق : Fluxmètre

وجاءت حيناً آخر على وزن مُفعِّل مثل :

موقِّت : Chronomètre

وفي رأيي أن بالإمكان اتباع قاعدة واحدة في تسمية أجهزة القياس . لقد كان المجمع اللغوي في القاهرة قد وضع قدماً قواعد لتسمية مثل هذه الأجهزة . فالتي تنتهي بالكاسعة Mètre تسمى على وزن مِفعل ، والتي تنتهي بالكاسعة Scope تسمى على وزن مِفعال ، والتي تنتهي بالكاسعة Graphe تسمى على وزن مِفعلة . وقد بينت في عدة مناسبات أن هذه القواعد لا تصلح للتطبيق العام لأنه ليس في هذه الأوزان ما يدل على وظيفة الجهاز كما هو وارد في الكاسعة الأجنبية ، ولأنها تؤدي أحياناً إلى استحالة ، إذا كان اسم الظاهرة التي يراد قياسها أو كشفها أو تسجيلها مركباً مثل :

Electrodynamomètre

ويتعذر أحياناً تطويع أسماء الأعلام مثل أمبير وواط لكي تشتق منها أسماء آلات القياس ، فنقول مِئبر من أجل Ampèremetre ومِوّط من أجل Wattmètre ومِفلط من أجل Voltmètre .

وفي رأيي أن أحسن طريقة لتسمية هذه الآلات هي التي جرينا عليها في جامعة دمشق واقترحتها في مؤتمر التعريب في الجزائر عام ١٩٧٣ وتتلخص كما يلي :

تكون أسماء الأجهزة مؤلفة من اسمين مضافين إلى بعضهما . فأما المضاف :

١ — فهو كلمة مقياس من أجل أجهزة القياس ، وهي التي تنتهي بالكاسعة mètre ، فنقول مثلاً مقياس الأمبير لـ Ampèremètre .

٢ — كلمة مرسام أو راسم من أجل أجهزة الرسم أو التسجيل ، وهي التي تنتهي بالكاسعة Graphe ، فنقول مثلاً : مرسام الطيف أو راسم الطيف للكلمة Spectrographe

٣ ـ كلمة مكشاف أو كاشف من أجل أجهزة الكشف ، وهي تنتهي بالكاسعة Scope ، فنقول مثلاً : مكشاف الطيف أو كاشف الطيف لكلمة Spectroscope .

وبذلك نضمن التوحيد في تسمية الأجهزة التي تعمل لنوع واحد من الخدمات ، مع ضمان الدلالة على وظيفة هذه الأجهزة .

ويكون المضاف إليه هو الاسم العَلَم الذي سميت به واحدة القياس مثل مقياس الأمبير ، مقياس الفولت ... أو اسم الظاهرة كالتدفق أو التواتر أو شدة الضوء ، الخ ...

هذا وهنالك ملاحظات على بعض المصطلحات الأخرى ، فالمؤلف يسمي جهاز phasemètre بالمصفاح على أساس تسميته Phase صفحة تارة ، وطوراً تارة أخرى ، وقد درج استعمال المصفاح للدلالة على الآلة التي تحيل المعادن إلى صفائح وهي Laminoir ، أما الجهاز الذي نحن بصدده فنسميه وفق القواعد السابقة بمقياس الطور .

وعرب المؤلف الجهاز الكاشف للتواقت فسماه سنكرونوسكوب ، ولا حاجة لنا بهذا التعريب لأننا وفقاً للقاعدة نسميه كاشف التواقت ، كذلك نسمي الروتور Rotor بالدوّار .

وأما تسميته لـ Bande passante بالشريط الساري ، فأفضل أن يستعمل لها كلمة النافذ بدلاً من الساري .

وفي جامعة دمشق ، وفي كتب التعليم الثانوي المقررة ، يسمى التردد بالتواتر ، تجنباً لما في كلمة التردد من تردد ، وإن كان هذا المصطلح شائعاً بسبب تفضيل القطر المصري له .

وكذلك نجد أن أسماء عدة أجهزة يمكن أن يستبدل بها أحسن منها ، وهي :

موقت : Chronomètre : مقياس الزمن

مدفاق : Fluxmètre : مقياس التدفق

غوصمتر : Gaussmètre : مقياس الغوص

فارمتر : Varmètre : مقياس الفار (مقياس فولت امبير الردي)

واطمتر : Wattmètre : مقياس الواط

ونرى أن المؤلف قد ترجم Wattheuremètre بمداد الطاقة الفعلية ولم يعربه تعريباً .

أما ميغومتر وقد وردت Mègohmètre فينبغي أن تكتب بـ m مضاعفة ونترجمها بمقياس المقاومة العالية أو مقياس الميغوم .

وقد عرب برميامتر Perméamètre تعريباً وكان الأولى تسميته حسب القاعدة بمقياس النفوذية .

الميكانيك الفيزيائي

من منشورات كلية العلوم في جامعة حلب

تأليف الدكتور حسن سلمان

أعد هذا الكتاب لطلاب شهادة الميكانيك الفيزيائي والاهتزازات ، وهو يقع في ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير الذي تنشر فيه جامعة حلب كتبها الجامعية . ويعالج المواضيع التالية :

حركة النقطة المادية والجسم الصلب – القوانين العامة في تحريك النقطة المادية .

الحقل المركزي والنظريات العامة في تحريك الجمل المادية .

مجموعة النقط المقيدة ، عزم العطالة وتحريك الجسم الصلب .
حركة الكتل المتغيرة ، الاصطدام – المبادىء الأساسية للنظرية النسبية ،
ميكانيك النظرية النسبية .
حركة جسيم مشحون في حقل كهرطيسي – المرونة – المواد المرنة .
ميكانيك الموائع .
وفي ذيل الكتاب معجم صغير بالمصطلحات العلمية التي استعملت فيه .

وقد عرضت مواضيعه عرضاً واضحاً وطبع طبعاً جيداً ، وجاءت عناوين فصوله بالعربية والانكليزية ، وحتى عناوين بعض فقراته وبعض المصطلحات الواردة في داخل النص .

ومما يؤسف له أن الأخطاء المطبعية فيه كثيرة جداً ، ولا سيما في الدساتير ، وقد عزا المؤلف ذلك إلى أسباب قاهرة ، وأورد في آخر الكتاب جدولاً بتصحيح بعضها جاء في ٦ صفحات .

ومن دواعي المسرة أن يكون بين أيدي الطلاب كتب علمية ألفت بالعربية يرجعون إليها في مطالعة دروسهم ، ولاسيما إذا تذكرنا الأيام الخوالي التي كان الطلاب ينسخون فيها الأمالي التي كان يعدها لهم الأستاذ. فباركت هذا الجهد الذي إذا هو استمر بعناية أغنى المكتبة العلمية العربية بزاد قيم من المؤلفات .

وقد أجلت النظر ملياً في معجم المصطلحات الذي أورده المؤلف مرتباً على العربية ثم على الانكليزية فرأيت فيه مالاغنى عن التعليق عليه .

لقد أورد المؤلف في قائمة مراجعه منشورات مكتب تنسيق التعريب بالرباط ، ويبدو أنه قد استقى من معجم الفيزياء (الذي هو أحد هذه المنشورات) استقاءً غزيراً ، ولم يخطر بباله أن هذا المعجم موقت وأنه

ليس معجماً بالمعنى الصحيح ، بل هو مجموعة مصطلحات رتبها المكتب مما ورد عليه من مختلف الأقطار العربية ليقدمها إلى مؤتمر التعريب ليقوم بمناقشتها واختيار الأصلح منها ، وهذا هو السر في أن المؤلف أورد أكثر من مرادف المصطلح الواحد .

ومهما يكن من أمر ، فإن الملاحظات التالية تستحق النظر :

١ ـ استعمل المؤلف مصطلحي : الذبذبة والاهتزاز بدون تفريق بينها ، فترجم Amplitude of Vibration بسعة الذبذبة وسعة الاهتزاز ثم ترجم Center of Oscillation بمركز التذبذب و Damped Vibrations بالاهتزازات المتخامدة ، ثم عاد فترجم Free Vibrations بالذبذبات الحرة والاهتزازات الحرة . وترجم Natural Vibration بالاهتزازة الطبيعية و Steady-State Oscillation بالذبذبة المستقرة .

فهو تارة يجعل الذبذبة والاهتزاز مترادفين ، وتارة يخصص الذبذبة لـ Oscillation والاهتزاز لـ Vibration .

ولما كان ينبغي التفريق بين هذين المصطلحين وتخصيص كل منها بمعنى واحد ، فان كلمة Vibration تفيد الاهتزاز السريع مثل ذبذبة الأوتار والصفائح ، فإن من المعقول ترجمتها بالذبذبة وترك الاهتزاز لـ Oscillation مثل اهتزازات النواس .

٢ ـ استعمل المؤلف كلمة جهد لترجمة potential في مصطلح سطوح تساوي الجهد ، مع العلم بأنها تسمى في سورية بسطوح تساوي الكمون ، وهو قد استعمل كلمة الكمون لنفس المصطلح في مكان آخر حيث سمى potential Energy بالطاقة الكامنة .

ومن أمثلة التشويش الذي تقع فيه المصطلحات عندما يعتمد الإنسان

على مجموعة كمجموعة مكتب التعريب ، أنه وضع مقابل كلمة Flux : فيض ، تدفق ، سيل . والمصطلح المتفق عليه في سورية هو التدفق . وكذلك استعماله لمصطلحي : القوة المركزية الطاردة والقوة المركزية الجاذبة لـ Centrifugal force و Centripetal force ، وهما تسميان عندنا بالقوة النابذة والقوة الجابذة .

واستعمل التردد بدلاً من التواتر ، والقصور بدلاً من العطالة ، وترجم Coupling بصلة بدلاً من التزويج .

وترجم Interstellar space بفضاء النجوم و Interplanetary space بفضاء الكواكب ، وكان ينبغي أن يقول : الكواكب السيارة ، وإلا فإن الكواكب معناها كمعنى النجوم .

وترجم Normal Line بالخط العمودي ، وتعلمنا الهندسة أن الخط العمودي ليس مطلقاً وإنما هو عمود على خط آخر ، وربما كان يقصد الناظمي .

وترجم Rest Mass بكتلة السكون على وجه الإضافة والأفضل أن يأتي السكون صفة فيقال : الكتلة السكونية لئلا يظن أن للسكون بحد ذاته كتلة .

وترجم Pendulum ببندول ونواس (وهذه أتت ولا ريب من معجم مكتب التعريب) ولدينا في العربية بدلاً من البندول : النواس والرقاص والخطار .

وكذلك Vector بتجه وشعاع ومتجهة . ولا تعني كثرة المصطلحات المترادفة غنىً وإنما هي تسبب الفوضى .

وترجم Fluid بالمائع و Liquid بالسائل ، ثم عاد فترجم Fluid بالسائل في بداية الفصل ١٣ .

هذه ملاحظات خطرت لي من تصفح سريع للكتاب ، وقد زادتني تحمساً للسعي في توحيد المصطلحات لنخرج من هذا الاضطراب الذي نحن فيه .

وجيه السمان

آراء وأنباء

تصحيح لفظة في « تهذيب اللغة »

(ناتق) لا (فاتق)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

قرأت ، في (ص ١٥٧ — ١٦٣) من المجلّد التاسع والأربعين من هذه المجلّة الخالدة الزهراء ، نقداً لتحقيق الجزء العاشر من « تاج العروس » الذي تصدره وزارة الإعلام بإمارة « الكُوَيْت » ، وعلاقتي بما قرأت علاقة قارىء مستفيد ، فحمِدت للنّاقد الفاضل إخلاصه للغة « الفُرْقان » العزيز ، وجدّه في محاولة طلب الصحّة وارتياد الصّواب ؛ واستحسنت منهجه « النّظَريّ » في دعوة المحقّق أن يحقق النّص اللغويّ بالعودة إلى الأصول ، لأنّها أدعى إلى التّوثيق في التّحقيق العلميّ ، وذلك حقّ لا ريب فيه ولا يتنازع فيه اثنان .

وقد أخذ النّاقد على تحقيق هذا الجزء من « تاج العروس » خمسة عشر مأخذاً قريباً ، بعضُه — فيما أرى — غير وارد ، وبعض آخر منه متعجّل فيه ، يتطلب من الناقد فضل أناة وصبراً على تمحيص ما كتب ومراجعته قبل إرساله عفو الخاطر . والحَيْطَةُ للشيء قبل الهجوم عليه أدعى إلى السّلامة ، وأنأى بصاحبه عن مزالق الزّلل .

وأقف من هذا النّقد عند أظهر ما أنكرته منه ، وهو ما لاحظه النّاقد في (ص ١٥٩) على نصٍّ في « تاج العروس » ، وردت فيه لفظة لغوية خطّأها وهي صحيحة سليمة ، فأزال الحقيقة الثابتة لها عن نصابها المستقرّ ، وأحلّ غيرها فيه من غير حقٍّ ثابت لها .

والنَّص هو : « قال ابن الكلبي : كانت « عاد » تسمّي المُحَرَّمَ مؤتمراً ، وصَفَرَ ناجراً ، ورمضانَ ناتقاً » .

فقال الناقد ، من غير تلبُّث : « والصّواب : ورمضانَ فاتقاً ، بالفاء ».

وشاء أن يعضد تصويبه بنصّ من « تهذيب اللغة » ، فأضاف قائلًا :

« ورد في تهذيب اللغـة ٢٦٩/١٥ : ابن السِّكّيت ، قال ابن الكلبيّ : كانت عاد تسمّي المُحَرَّم مؤتمراً .. ورمضان فاتقاً » .

وليس هذا سبيل تصحيح هذه اللفظة ؛ لأن هذا النص نص عارض بالنسبة إلى « ناتق » ، وليس أصلًا له . هذا إلى أن « فاتقاً » فيه ، مصحَّف ، ما في ذلك ريب . وقد جاز تصحيفه – مع الأسف – على محقّق « التهذيب » ، كما جاز على الناقد فانساق بحسن ظنّه فيه إلى ورطته ، فصيَّرَ به الصّواب خطأً والخطأ صواباً !

إنما سبيل تصحيحه أن يرجع إلى مادّته ، أي أصله اللغويّ ، وهو ما دعا إليه النّاقد نفسه ولكنه لم يعمل به . وأصله هو (ن/ت/ق) ، وليس (أ / م / ر) . فلو رجع إليه لوجد ما خطّأه هو الصّحيح ، وما توهّمه صحيحاً هو الخطأ بعينه .

وفي « تهذيب اللغة » الذي اعتمد عليه الناقد في نقله ذاك ، ٦٢/٩ : « وأَنْتَقَ : صام ناتِقاً ، وهو شهر رمضان » .

ولن يجد أحد في معاجم اللغة « فاتقاً » بالفاء اسماً قديماً لشهر رمضانَ في دهر « عاد » ، ولو نقّب عنه في الدّواوين دهراً سرمداً . ولا أثقل هذه الكلمة برواية نصوص المعاجم – وهي عشرات ، وفيها تفصيلٌ أمَدّ ممّا في « تهذيب اللغة » – فإنّها من كل يد على طَرَف الثُّمام .

وتحيّتي للسيد الأستاذ برهان صدقي ، وتقديري لحبّه وإخلاصه للغة « الفُرقان » .

بغداد **محمد بهجة الأثري**

تحقيقات لغوية

السمسرة والسمسار في اللغة والقانون

كان السيد وزير التموين والتجارة الداخلية بعث إلى مجمع اللغة العربية بكتاب مؤرخ في ١٩٧٤/٨/٢٧ يطلب فيه بيان الرأي في عربية كلمتي « سمسرة وسمسار » وما إذا كان مفيداً استبدالهما في نصوص قانون التجارة تلبية لملتمس بعض التجار ، أو غير مفيد .

وأحيل الكتاب إلى الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع ، فأجاب عليه ببحث أبلغ الى السيد الوزير . وفيما يلي نص الجواب :

الأستاذ الرئيس

تضمن كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية عدداً من المسائل تمكن الإجابة عليها في البنود التالية :

أولاً : مدى صحة استعمال لفظتي سمسار وسمسرة لغويا

السمسار : كلمة معجمية (مؤنثها بهاء ، وتجمع على سماسرة ، الفعل منها : سمسر ، والمصدر : السمسرة ، ويطلق على الحرفة وعلى مقابل الأتعاب فيها) ، وردت في الأمهات ، ولم يغفلها إلا الصغير من المعجمات أو المترمت منها[1] ، كما أثبتها « المعجم الوسيط » معجم مجمع اللغة العربية.

(١) أغفل كل من الجوهري في صحاحه وابن فارس في مقاييسه كلمة سمسار في مادتها ، ولكن الأول ذكرها في مادة سفر .

إن الكلمة في أصلها معربة قديماً عن لفظة « سيب سار » الفارسية ، ويقول علماء في اللغات القديمة إنها موجودة في اللغة الآرامية ، وقد شاعت بين العرب ووردت في الشعر الجاهلي ، قال الأعشى :

فأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها

إن كلمة « سمسار » في معاجم اللغة تدلّ على : « ذلك الذي يتوسط بين البائع والمشتري لإمضاء البيع » ويطلق كثير من الناس على السمسار اسم « الدلاّل » وفي المعجم الوسيط : « سمسر فلان : توسط بين البائع والمشتري بجُعْل . والسمسار : الوسيط بين البائع والمشتري لتسهيل الصفقة » .

هذا وللفظة « سمسار » في المعجمات معان أخرى تدور حول معناها الأصلي نفسه ، وأهم هذه المعاني إطلاقها على من يبيع البرّ للناس ، يجلبه من بلاده ويبيعه لمن يحتاج إليه في الحضر أو البدو ، وجاء في حديث قيس بن أبي عروة : « كنا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ ، فسمانا التجار » كما جاء عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، أنه سئل عن معنى الحديث : « لا يبعْ حاضرٌ لبادٍ » فقال : « لا يكون له سمساراً » وعلق الفقهاء على هذا : أن المنهي عنه : أن يأتي البدوي البلدة ومعه قوت يبغي التسارع في بيعه ، فيقول له الحضريّ : اتركه عندي لأغالي لك في ثمنه .

ومن معاني كلمة « سمسار » معنى مجازي ، أشارت إليه المعجمات العربية ، وهو المعنى نفسه الذي أشار إليه كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية وإلى أن التجار إنما ينفرون من كلمتي « سمسار وسمسرة » بسببه ، مما حملهم على المطالبة بإيجاد كلمتين عربيتين تحلان محلهما على أن يتم ذلك بتعديل النصوص القانونية النافذة .

ثانياً : الكلمات العربية التي تؤدي معنى « السمسار »

إن انتشار كلمة سمسار وشيوعها في مختلف الأقطار العربية ، دليل على أن العرب أحبوا جرس ما عربوه ففضلوه على الكلمات الأخرى التي تؤدي المعنى نفسه ولو كانت عربيتها أصيلة ، ولهذا ضعف استعمالها أو غلبت عليها معان أخرى ، ومن هذه الكلمات :

١ ـ الدّلاّل ، وهي كلمة عربية أصيلة أطلقها العرب على من يجمع بين البَيِّعَيْن ، يدل المشتري على السلع ويدل البائع على الأثمان ، والكلمة منتشرة وشائعة ذكرها عنترة العبسي فقال :

حصاني كان دلاّل المنايا   فخاض غبارها وشرى وباعا

والاسم من اللفظة الدّلالة بالفتح وتطلق على حرفة الدلاّل ، وبالكسر على الجعْل المعين له .

وفي العصور الحديثة أي منذ الزمن الذي عرفت فيه البلاد العربية ما يسمى بالقوانين التجارية ، اكتسبت كلمة « الدلال » معنى مولداً لم يرد في المعجمات القديمة ، ذكره المعجم الوسيط في معاني الكلمة فقال : « الدلاّل : من ينادي على السلعة لتباع بالممارسة (مو) » وهو معنى شائع ومعروف في القطر العربي السوري وغيره من الأقطار العربية .

٢ ـ السفسير بالكسر : كلمة معجمية وردت في أمهات المعاجم بمعنى « الدلاّل » قال الأزهري إنها معربة عن الفارسية ، وادعى بعضهم أنها معربة عن كلمة (سيب سار) نفسها التي عربت بصيغة « سمسار » وقال صاحب الألفاظ الفارسية : « يحتمل أن يكون أصل الكلمة آراميا ، مأخوذاً من فعل له معني فتل

ودار » أما صاحب الألفاظ السريانية فيقول : إن الكلمة سريانية وهي فيها sapsiro ومعناها سمسار وأصلها من فعل بمعنى ساوم .

إن للكلمة عدة معان على ما ذكر في المعجمات أهمها أنها ترادف كلمة « سمسار » وبه فسر الأصمعي قول النابغة :

وقارفتْ وهي لم تجربْ وباع لها   من الفصافص بالنُّمّيّ سفسير

قال : باع لها واشترى لها سفسير يعني السمسار ، كذا في التهذيب والصحاح ، وعزا ابن سيده هذا البيت إلى أوس ابن حجر .

٣ — الوسيط : وهي كلمة عامة ففي مادة « وسط » : وسط الشيء وتوسطه صار في وسطه ، ووسط الشيء : ما بين طرفيه ، ويقال : هو وسيط فيهم ، والوسيط : الأوسط والمتوسط بين أي طرفين متناظرين أو متناقضين ، وبين المتخاصمين : الساعي لمصالحتهما ، وبين البيعين : العامل على إمضاء البيع .

ثالثاً : ما تردده المعجمات الثنائية اللغة

إن جميع المعاجم الثنائية اللغة ، العربية مع الفرنسية أو الإنكليزية ، تردد في مقابل كلمتي courtage الفرنسية و broking الإنكليزية كلمات : السمسرة والوساطة والدلالة ، وبعضها يضيف : « العمولة أو عمولة السمسار » وكذلك تردد في مقابل كلمتي courtier الفرنسية و broker الإنكليزية كلمات : سمسار ووسيط ودلاّل .

رابعاً : شيوع كلمتي سمسار وسمسرة في كثير من الأقطار العربية

عرفت الأقطـــار العثمانية كلمتي « سمسار وسمسرة » مصطلحين من

مصطلحات القانون التجاري مذ وضع العثمانيون سنة ١٢٦٦ هجرية « قانون التجارة العثماني » مقتبساً من نصوص تجارية أجنبية ، وشاعت اللفظتان في كتب القانون وفي قرارات المحاكم ولا سيما بعد أن صدر في ٢٦ أيلول سنة ١٣٠٤ رومية « نظام الدلالين والسماسرة » وترجم إلى العربية وأخذت محاكم الأقطار العربية تطبقه في المنازعات التي تدور حول أحكامه .

خامساً : اختلاف مفهوم كلمتي سمسرة وسمسار عن الأعمال الأخرى في النصوص القانونية

لقد تكفلت نصوص القانون التجاري بتنظيم الشؤون القانونية لكل من يتعاطى أعمالاً ملحقة بالأعمال التجارية ، كمن يقوم بأعمال البيع والشراء لحسابه الشخصي ، أو كالموظف الذي يقوم باجتذاب العملاء والتفتيش عنهم ، أو كمن يعمل في التوسط بين طرفين لحساب أحدهما ، أو كالوكيل بجعل ؛ مما يؤيد رأي وزير التموين والتجارة الداخلية بعدم صحة استبدال أي اسم قانوني لأحد هؤلاء العاملين في الحقل التجاري بكلمة سمسار أو دلاّل .

سادساً : إعلان السماسرة عن أنفسهم

إن أكثر من يشتغل بالسمسرة يعلن عن نفسه بأنه « وسيط تجاري أو عقاري » مبتعداً عن لفظة « سمسار » ومثل هذا الإعلان لا يجافي القانون ما دامت نفوس السماسرة والتجار تطمئن إليه لأن النصوص القانونية النافذة تقره ، فقد نصت المادة الأولى من نظام الدلالين والسماسرة العثماني على أن كلمة « دلال أو سمسار » إنما تطلق على الواسطة فيما يجري بين البائع والمشتري من الأخذ والعطاء ، بينما عرفت المادة ٣٨٦ من قانون التجارة السوري السمسار بـ « الذي يكون وسيطاً » كما قضت أحكام المادة ٣٩٠ من هذا القانون بأن « للسمسار أن يتوسط في أي بيع أو شراء » ، أما المادة ٣٩١ فقد أشارت إلى : « البيوع التي تتم بواسطة السمسار » وأخيراً

فإن المادة ٣٩٢ من القانون المذكور أطلقت على هذه البيوع اسم : « عمليات التوسط والسمسرة » .

سابعاً : خلاصة البحث

من هذا العرض الموجز لما في المعجمات العربية ، وللأحكام القانونية ، لا أرى مسوغاً لاستبدال أي كلمة بلفظة « سمسار » ولو كانت تؤدي المعنى نفسه لأن تعديل النصوص القانونية سوف لا يقضي على شيوع لفظتي « سمسار وسمسرة » من جهة ، ولأن مثل هذا التعديل يفرد القطر العربي السوري بمصطلح تجاري يبتعد به عن أشقائه في الأقطار الأخرى ؛ ولمن يأنف من استعمال كلمة « سمسار » أن يستعمل كلمة « وسيط » بترخيص من القانون على ما أشرت إليه آنفاً .

نائب رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور عدنان الخطيب .

ندوة اتحاد المجامع العربية

لتوحيد مصطلحـــات النفط (البترول)

أقام اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في مدينة بغداد ثاني ندواته لتوحيد المصطلحات وذلك خلال المدة الواقعة بين٢٦ـ٣٠ تشرين الأول(اكتوبر)١٩٧٤م.

واشترك في الندوة ممثلون وخبراء من المجامع العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد ، كما اشترك فيها ممثلون عن شركة نفط العراق وممثل عن جامعة الكويت .

وعقدت الندوة جلساتها في مبنى المجمع العلمي العراقي ، وكانت الجلسات متواصلة أنجزت خلالها دراسة المصطلحات التي كان اتحاد المجامع قد جمعها وعدلت الكثير منها وأقرت ما لم تعدله ، وسيعمد اتحاد المجامع إلى طبع المصطلحات التي أقرت في الندوة تمهيداً لتوزيعها على المهتمين والمختصين بشؤون النفط في مختلف الأقطار العربية .

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية بمناسبة ندوة بغداد لمصطلحات النفط (البترول) جلسة في بغداد بتاريخ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٤ تدارس خلالها شؤون الاتحاد وموضوع الندوة الجديدة التي يزمع عقدها في عام ١٩٧٥ ، وستخصص لبحث شؤون هامة تتصل بالدفاع عن اللغة العربية .

تقرير عن أعمال المجمع

خلال الدورة السابقة

١ ـ مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م خمس عشرة جلسة ، بحث المجمع فيها عدة شؤون مجمعية في طليعتها النظر في أعمال اللجان الفرعية التي ألفت لدراسة معاجم مكتب التعريب الستة (الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء والرياضيات والجيولوجية) إلى جانب ماأرسله مجمع اللغة العربية في القاهرة من مصطلحات النفط (البترول) (جيولوجيا البترول وكيمياء البترول) ، فأقر من ذلك كله ما أقر وعدل ما عدل .

٢ ـ اللجنة الإدارية :

انضم إلى هذه اللجنة الأستاذ المهندس وجيه السمان بعد أن تم انتخابه في جلسة مجلس المجمع بتاريخ ١٩٧٤/١/١٠ لمدة أربع سنوات .

٣ ـ لجنة المجلة والمطبوعات :

جدد المجلس انتخاب الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار لعضوية هذه اللجنة لمدة أربع سنوات وذلك في جلسته التي عقدها في ١٩٧٤/١/١٠

٤ ـ لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

تم تأليف هذه اللجنة بقرار من رئيس المجمع بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٨ من السادة الأساتذة : الدكتور شكري فيصل (المقرر) والدكتور كامل عياد والأستاذ عبد الهادي هاشم ، وبدأت اجتماعاتها في ١٩٧٤/١/٨ . وعقدت في الدورة الماضية عشرين اجتماعاً تدارست فيها أمر الكتب التالية :

١ - نضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني . تحقيق الدكتورة نُهى عارف الحسن .

٢ - الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات ، أو أدب القضاء ، لابن أبي الدم الحموي . تحقيق الدكتور محمد مصطفى الزحيلي .

٣ - مخطوطات الفقه الحنفي في دار الكتب الظاهرية . وضع السيد مطيع الحافظ .

٤ - تاريخ المنصوري . تحقيق الدكتور أبو العيد دودو .

٥ - مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٦ - تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للحافظ العلائي الشافعي . تحقيق الدكتور إبراهيم السلقيني .

٧ - الممتّع للحسين بن علي النمري . تحقيق السيدة وجيهة السطل .

٨ - رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي . تحقيق الأستاذ أحمد محمد خراط .

واللجنة آخذة بتأصيل تقاليدها في العمل ، وقد أقرت من خلال الممارسة والتجربة مبادىء عامة تشترطها في نشر المحقق من تراثنا .

٥ - مطبوعات المجمع :

أ - المجلة : لقد أتمت المجلة بانتهاء عام ١٩٧٤ المجلد التاسع والأربعين ، وهي دائبة على التزام المنهج الذي تسير عليه من حرص على أصالة البحوث وتنوّع الموضوعات .

ب - الكتب التي نشرها المجمع :

١ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (اللغة) وضع السيدة أسماء الحمصي .

٢ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (النحو) وضع السيدة أسماء الحمصي .

٣ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ) الجزء الثاني وضعه الأستاذ خالد الريان .

٤ ـ شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثاني تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح

٥ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها الجزء الأول تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .

٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها ، الجزء الثاني . تحقيق الدكتور محي الدين رمضان .

٧ ـ المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة . وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

٨ ـ ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي . جمع وتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي

٩ ـ الأمثال لأبي عكرمة الضبي . تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب .

١٠ ـ شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثالث تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح

أما الكتب التي تم طبعها وتوشك على الصدور فهي :

١ ـ الاختيارين للأخفش الأصغر . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .

٢ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الأول والثاني. تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٣ ـ ديوان الأبيوردي الجزء الأول . تحقيق الدكتور عمر الأسعد .

ومن المتوقع أن ينتهي خلال الأشهر الثلاثة التالية الكتابان التاليان :

١ ـ المحمدون من الشعراء للقفطي . تحقيق الأستاذ رياض مراد .

٢ ـ ديوان طرفة بن العبد تحقيق الأستاذ لطفي الصقال والسيدة درية الخطيب.

حـ ـ الكتب المتوقع نشرها في العام المقبل :

ومن بين الكتب التي ينتظر أن تصدر خلال العام المقبل ما أنجزت لجنة التراث النظر فيه مما ألمعنا إليه في الحديث عن عمل اللجنة ومنها ما لم تفرغ اللجنة من النظر فيه . ومن ذلك :

١ ـ الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري . تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي

٢ ـ شرح أبيات كتاب سيبويه لابن السيرافي ت ٣٨٥ هـ . تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني .

٣ ـ التعازي والمراثي للمبرد . تحقيق الأستاذ محمد الديباجي (أستاذ في كلية الآداب ـ فاس ـ المغرب) .

٤ ـ إعراب الحديث لأبي البقاء العكبري . تحقيق الأستاذ عبدالإله نبهان .

٦ ـ العمل الاداري في المجمع :

صدرت خلال الدورة المنصرمة طائفة من المراسيم عن رئاسة الجمهورية وقرارات عن السيد وزير التعليم العالي ورئيس المجمع تتناول بعض الوظائف والموظفين وتستهدف دعم العمل الاداري وسد الحاجة إلى الموظفين .

٧ ـ مشاركات المجمع العلمية داخل القطر :

١ ـ شارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والأستاذ الزميل ميشيل الخوري في اللجنة المؤلفة للاحتفال بالذكرى الألفية لمولد البيروني الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم خلال اسبوع العلم الرابع عشر (تشرين الثاني ١٩٧٤) وقد قدم الدكتور الخوري لهذا الاحتفال ترجمة عن الانكليزية لمقال ا . س كندي عن « البيروني في قاموس العلماء » ونشر في الكتاب التمهيدي الذي أصدره المجلس عن البيروني .

٢ ـ شارك الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ممثلاً المجمع ، في اللجنة التي شكلت في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، للاحتفال الذي أقيم بمناسبة ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة أبي الفداء صاحب حماة . وقد أبدى المجمع استعداده لطبع كل ما ترى اللجنة طبعه من آثار أبي الفداء . ويتولى الأستاذ الدكتور كامل عياد الاهتمام بذلك ومتابعته .

٨ ـ نشاط المجمع خارج القطر :

١ ـ صدر عن اتحاد المجامع مجموعة من مصطلحات النفط (البترول) تحت عنوان « مصطلحات بترولية ـ جيولوجيا وكيمياء » . وقد بحث مجمعنا في هذه المصطلحات التي شكل من أجلها لجنتين نظرتا فيها وعرضتا ما أنجزتاه على المجلس ، واشترك في ندوة بغداد من أجل مصطلحات النفط رئيس المجمع ونائب الرئيس والأستاذ المهندس وجيه السمان بالإضافة إلى بعض الخبراء في اللجنتين المذكورتين .

٢ ـ شارك الأستاذ الرئيس في حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين الذي أقامه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مساء ٢٦/ ١٢/ ١٩٧٣) وألقى كلمة المجمع التي نشرت في المجلة (ج ١ م ٤٩ ص ١٩٥) .

٣ ـ شارك الأستاذ الرئيس كذلك في اجتماع لجنة توحيد المصطلحات الطبية بدعوة من أمانة اتحاد الأطباء العرب مرتين الأولى في بغداد خمسة أيام (١٩٧٣/١٢/٧) ، والثانية في الكويت بين (٣/٨ ـ ١٩٧٤/٣/١٤) وقد أنجزت اللجنة المعجم الطبي الموحد الذي صدر في بغداد .

٤ ـ شارك الأستاذان الدكتور حسني سبح والدكتور عدنان الخطيب

في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الأربعين في الأيام بين ٢٥ شباط و ١١ آذار ١٩٧٤ وقد نشر تقريرهما في مجلة المجمع (ح ٢ م ٤٩ ص ٤٤٤) .

٥ – شارك الزميلان الأستاذ المهندس وجيه السمان والدكتور شكري فيصل في الوفد السوري إلى مؤتمر التعريب في الجزائر في الأيـام (١٢ – ١٩٧٣/١٢/٢٠) وهو المؤتمر الذي تم فيـه إقرار المعاجم الستة للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العـام في مواد الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والرياضيات والجيولوجيا .

وقد نشرت المجلة (ج ١ م ٤٩) أخبار المؤتمر ووثائقه .

٩ – أعضاء المجمع :

١ – انتخاب نائب رئيس المجمع .

انتخب المجمع في جلسته السادسة (٩٧٣/١٢/٦) الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك قرار السيد وزير التعليم العالي ذو الرقم ٧٥٩ تاريخ ١٩٧٣/١٢/٣٠ .

٢ الأعضاء العاملون :

انتخب المجمع في جلسته السابعة (١٩٧٤/١/١٠) الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة ، أستـاذ كرسي الفيزياء النووية ورئيس جامعة دمشق ، عضواً عاملاً .

٣ – الأعضاء المراسلون :

تدارس المجمع في جلسات متفرقات اختيار بعض الأعضاء المراسلين من أقطار مختلفة وسيوالي في هذه الدورة دراسة الموضوع .

٤ – الأعضاء الراحلون :

فقدت العربية أبرز كتابها المعاصرين ، عميد الأدب العربي عضو مجمع دمشق ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين .

وكذلك فقد المجمع في دمشق من أعضائـه المراسلين الأساتذة الطيبي الذكر : محمد الطاهر بن عاشور « تونس » ، وعلال الفاسي « المغرب » وكمال إبراهيم « العراق » .

١٠ – مكتبة المجمع :

يتابع المجمع تغذية مكتبته بالكتب الجديدة شراءً واستهداءً .

ومضى العمل في مكتبة المجمع في اتجاهين : الكتب والمجلات :

١ – أما عن الكتب ، فقد تمّ جرد المكتبة ، وإعداد قوائم بنواقصها . ولا بدّ من تغذية المكتبة بالكتب الجديدة التي هي مظنة حاجة المجمعين ، ولا بد من الحرص على الأجزاء التي يتتابع صدورها ، من كتب كانت طبعت من قبل .

وقد بلغ عدد الكتب التي دخلت في الدورة الماضية مكتبة المجمع / ٧٨٠ / كتاباً . وانصرف القائمون على المكتبة بعد الجرد إلى عمل فهرسين اثنين أحدهما بأسماء الكتب والآخر بأسماء المؤلفين .

وقد تم اعداد فهرس أسماء الكتب على البطاقات . ويبدأ العمل في فهرس أسماء المؤلفين .

٢ – وأما عن المجلات فقد كان قدر طيب من الاهتمام منصباً على تنظيم هذه الأكداس الكثيرة منها . وقد أنجز بعض التنظيم لها – بقدر ما أتاحت الوسائل وتيسر من الوقت .

١١ - دار الكتب الظاهرية :

١ — دائرة المطبوعات :

عدد مقتنيات دار الكتب الظاهرية من الكتب المطبوعة هذا العام ١٦٣٠ كتاب : العربية منها ١٢٨٧ كتاب ، أكثرها إهداء ، والمشترى منها ٤٤٨ ، والأجنبية ٣٤٣ كتاب .

أما المجلات والدوريات فقد اقتنت الظاهرية منها ٥١٣ عدد منها ٣٣٢ للمجلات العربية و ١٨١ للمجلات الأجنبية .

٢ — دائرة المخطوطات :

تم شراء ٣٢٦ مخطوط قيم و ٧٩ رسالة ، كانت كلها في مكتبة المرحوم الأستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطواني .

ولا نزال نتابع مع وزارة التعليم العالي تحقيق المشروع الذي يهدف إلى استكمال حاجة الظاهرية من الأجهزة الفنية والمنح التدريبية .

٣ — الرواد :

بلغ عدد رواد الظاهرية خلال هذه الفترة ١٨٩١٣

٤ — الدوام :

طبق الدوام الكامل منذ أشهر ، فأصبح دوام الظاهرية يمتد بين الثامنة صباحاً والثامنة مساء ، ويتولى موظفون من الظاهرية والمجمع التعاون على ذلك لقاء تعويضات إضافية .

٥ — البناء في الظاهرية :

في التقرير السابق إشارة إلى المبلغ الذي أضيف إلى الموازنة - وهو ستون ألفاً - لمتابعة إصلاح البناء في الظاهرية ، وإلى تحويل هذا المبلغ للهيئة العامة للأبنية المدرسية كي تتولى التنفيذ والإشراف والإنفاق .

وقد أنجزت الهيئة تجديد الجناح الشمالى الغربي من بناء الظاهرية .

وفي الجناح الشمالي قاعتان واسعتان : العليا منها أعدت للباحثيــن وزودت بالمصادر والمراجع الأساسية وأطلق عليها اسم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مؤسس دار الكتب الظاهرية . ويرتادها اليوم عدد من العلماء والباحثين وطلاب الدراسات العليا ، ونرجو أن يوضع نظام خاص لارتيادها وشروط لروادها ، تحقيقاً للغاية الأساسية من إنشائها .

وتتتابع أعمال الإصلاح في الظاهرية ، وقد وكل الى المديرية العامة للآثار والمتاحف ترميم قاعة الملك الظاهر وقبته وإصلاح الساحات الأثرية وإعادة صقلها وتبليط باحة الدار ومدخلها الرئيسي . وقد بدأ العمل في ذلك في الشهر الثامن من هذا العام ويتوقع أن ينتهي بعضه مع نهاية العام الحالي ، وأن يرجأ بعضه (التبليط وإصلاح المدخل) الى العام المقبل .

هذا ومن المأمول أن تتم تدفئة الظاهرية تدفئة مركزية في السنة المقبلة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م

الأعضاء العاملون

الاسم	تاريخ دخول المجمع
١ ـ الدكتور حسني سبح (رئيس المجمع)	١٩٤٦
٢ ـ 〃 أسعد الحكيم	١٩٢٣
٣ ـ الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٢٣
٤ ـ الأستاذ عارف النكدي	١٩٢٣
٥ ـ الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦
٦ ـ الدكتور جميل صليبا	١٩٤٢
٧ ـ 〃 حكمة هاشم	١٩٥٢
٨ ـ 〃 محمد كامل عياد	١٩٥٨
٩ ـ الدكتور عدنان الخطيب (نائب الرئيس)	١٩٦٠
١٠ ـ 〃 أمجد طرابلسي	١٩٦١
١١ ـ 〃 شكري فيصل (أمين المجمع)	١٩٦١
١٢ ـ الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١
١٣ ـ الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
١٤ ـ الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
١٥ ـ الدكتور ميشيل خوري	١٩٧١
١٦ ـ 〃 شاكر الفحام	١٩٧١

الأعضاء المراسلون في الأقطار العربية (١)

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩

جمهورية تونس :

الأستاذ عثمان الكعاك ١٩٦٧

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

المملكة العربية السعوديه :

الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٣٠

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) ١٩٤٥

〃 عمر أبو ريشة ١٩٤٨

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

---

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي ، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

الجمهورية العراقية :

الشيخ محمد بهجة الأثري ١٩٣١

الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨

〃 كوركيس عواد ١٩٤٨

البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٦

الأستاذ ناجي معروف ١٩٦٩

〃 محمود شيت خطاب ١٩٦٩

الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩

فلسطين :

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية :

الأستاذ أنيس المقدسي ١٩٤٥

الدكتور صبحي المحمصاني ١٩٤٨

الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨

الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٦٦

〃 أمين نخلة ١٩٦٦

الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية :

الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧

جمهورية مصر العربية :

الدكتور أحمد زكي ١٩٤٨

الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢

〃 محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢

المملكة المغربية :

الأستاذ عبد الله كنون ١٩٥٦

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

اسبانية :

الأستاذ غومز (اميليو غارسيا) ١٩٤٨

إيران :

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧

ايطالية :

الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨

باكستان :

الأستاذ عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ١٩٢٨

الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥

〃 محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦

البرازيل :

الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧
(الشاعر القروي)

الدانيمرك :

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١

السويد :

الأستاذ ديدرنغ (س) ١٩٥٦

فرنسة :

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١

الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة :

الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن) ١٩٢٣

المجر :

الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسة :

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨

الدكتور اشتواز (كارل) ١٩٥٤

الهند :

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦

« أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

الولايات المتحدة الأمريكية :

الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

١ ـ الأعضـــاء العاملون

	تاريخ الوفاة
١ ـ الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
٢ ـ الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
٣ ـ الشيخ سليم البخاري	١٩٢٨
٤ ـ الشيخ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
٥ ـ الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
٦ ـ 〃 سليم عنحوري	١٩٣٣
٧ ـ 〃 متري قندلفت	١٩٣٤
٨ ـ الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
٩ ـ الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
١٠ ـ الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
١١ ـ الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
١٢ ـ الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
١٣ ـ الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
١٤ ـ الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
١٥ ـ 〃 معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
١٦ ـ الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
١٧ ـ السيد محسن الأمين	١٩٥٢
١٨ ـ الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	١٩٥٣
١٩ ـ الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
٢٠ ـ 〃 محمد البزم	١٩٥٥
٢١ ـ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	١٩٥٦
٢٢ ـ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
٢٣ ـ 〃 خليل مردم بك (رئيس المجمع)	١٩٥٩
٢٤ ـ الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
٢٥ ـ الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
٢٦ ـ 〃 عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)	١٩٦٦
٢٧ ـ الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي (رئيس المجمع)	١٩٦٨
٢٨ ـ الأستاذ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)	١٩٧٠
٢٩ ـ الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
٣٠ 〃 محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢

* * *

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الاقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية :

الأستاذ محمد الشريقي

الجمهورية التونسية :

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

〃 محمد الفاضل بن عاشور

〃 محمد الطاهر بن عاشور

الجمهورية الجزائرية :

الشيخ محمد بن أبي شنب

الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي

جمهورية السودان :

الشيخ محمد نور الحسن

الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ جميل العظم

الأب جرجس شلحت

الأب جرجس منش

الأستاذ قسطاكي الحمصي

الشيخ كامل الغزي

الأستاذ ميخائيل الصقال

الشيخ بدر الدين النعساني

〃 راغب الطباخ

〃 عبد الحميد الجابري

〃 عبد الحميد الكيالي

〃 محمد زين العابدين

الدكتور صالح قنباز

الشيخ سليمان الاحمد

الأستاذ ادوار مرقص

الشيخ سعيد العرفي

البطريرك ماراغناطيوس أفرام

الأستاذ نظير زيتون

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

الجمهورية العراقية :

الأستاذ محمود شكري الآلوسي

〃 جميل صدقي الزهاوي

〃 معروف الرصافي

〃 طه الراوي

الأب أنسطاس ماري الكرملي

الدكتور داود الجلبي

الأستاذ طه الهاشمي

〃 محمد رضا الشبيبي

〃 ساطع الحصري

〃 منير القاضي

الدكتور مصطفى جواد

الأستاذ عباس العزاوي

الشيخ كاظم الدجيلي

فلسطين :

الاستاذ نخلة زريق

الشيخ خليل الخالدي

الأستاذ عبد الله مخلص
» محمد إسعاف النشاشيبي
» عادل زعيتر
الأب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
الأستاذ قدري حافظ طوقان

لبنان :

الأستاذ حسن بيهم
الأب لويس شيخو
الشيخ عبد الله البستاني
الأستاذ جبر ضومط
» عبد الباسط فتح الله
الشيخ مصطفى الغلاييني
الأستاذ عمر الفاخوري
» بولس الخولي
» أمين الريحاني
الأمير شكيب أرسلان
الشيخ إبراهيم المنذر
الأستاذ جرجي يني
الشيخ أحمد رضا
الأستاذ فيليب طرازي
الشيخ فؤاد الخطيب
الدكتور نقولا فياض
الشيخ سليمان ظاهر
الأستاذ مارون عبود
» بشارة الخوري (الاخطل الصغير)

جمهورية مصر العربية :

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
» رفيق العظم
» أحمد كمال
» أحمد تيمور
» أحمد زكي باشا
الدكتور يعقوب صروف
السيد محمد رشيد رضا
الأستاذ حافظ إبراهيم
الأستاذ أحمد شوقي
الشيخ أحمد الإسكندري
الأستاذ أسعد خليل داغر
» داود بركات
الدكتور أمين المعلوف
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
الشيخ عبد العزيز البشري
الدكتور أحمد عيسى
الأمير عمر طوسون
الشيخ مصطفى عبد الرازق
الأستاذ أنطون الجميل
» خليل مطران
» إبراهيم عبد القادر المازني
» محمد لطفي جمعة
الدكتور أحمد أمين
الأستاذ عبد الحميد العبادي

الشيخ محمد الخضر حسين
الدكتور عبد الوهاب عزام
" منصور فهمي
الأستاذ أحمد لطفي السيد
" عباس محمود العقاد
" خليل ثابت

الأمير يوسف كمال
الأستاذ أحمد حسن الزيات
الدكتور طه حسين

المملكة المغربية :

الأستاذ محمد الحجوي
الأستاذ عبد الحي الكتاني
الأستاذ علال الفاسي

ج – الاعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الاخرى

الاتحاد السوفييتي :

الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
" برتلز (ايفيكين)

اسبانية :

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

ألمانية :

الأستاذ هومل
" ساخاو (ادوارد)
" هردوفيتز (يوسف)
" هارتمان (مارتين)
" ميتفوخ (أوجين)
" بروكلمن (كارل)
" هارتمان (ريشارد)
الدكتور ريتر (هلموت)

إيران :

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني

الأستاذ عباس إقبال

ايطالية :

الأستاذ جويدي (اغنازيو)
" نالينو (كارلو)
" غبريفيني (اوجينيو)

البرازيل :

الأستاذ سعيد أبو جمرة

البرتغال :

الأستاذ لويس (دافيد)

بريطانية :

الأستاذ مرجليوث (د . س .)
" بفن
" براون (ادوارد)
" كرينكو (فريتز)
" غليوم (الفريد)
" أربري (أ . ج .)

الأستاذ جيب (هاملتون ا . ر .)

بولونية :

الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تركية :

الأستاذ زكي مغامز

« أحمد أتش

تشيكوسلوفاكية :

الأستاذ موزل (ألوا)

الدنيمرك :

الاستاذ بوهل (ف . م.ب .)

« استروب (ج .)

السويد :

الأستاذ سترستين (ك . ف .)

سويسرة :

الأستاذ مونته (ادوارد)

« هس (ج . ج .)

فرنسة :

الأستاذ فران (جبرائيل)

« هوار (كليمان)

« بوفا (لوسيان)

« مالنجو

« كي (ارتور)

الأستاذ باسه (رينه)

« ميشو (بلبّير)

« مارسيه (وليم)

« دوسو (رينه)

« ماسينيون (لويس)

« ماسيه (هنري)

الدكتور بلاشير (ريجيس)

المجر :

الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)

« ماهلر (ادوارد)

الهند :

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة :

الأستاذ هورغرينه (سنوك)

« اوراندوك (ك .)

« هوتسما (م . ت .)

الدكتور شخت (يوسف)

الولايات المتحدة الأميركية :

الأستاذ ماكدونالد (د.ب .)

« هرزفلد (ارنست)

« سارطون (جورج)

الدكتور بيارد (ضودج)

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ابن درستويه	عبد الله الجبوري	بغداد ١٩٧٤
أرجوزة السيد خليل البصير	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٥
أشعار الترقيص عند العرب	» » »	» ١٩٧٠
البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن	عبد الواحد الزملكاني . تحقيق د. خديجة الحديثي و د . أحمد مطلوب	» ١٩٧٤
جلجامش في العالم السفلي	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٣
جوامع الموصل في مختلف العصور	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٣
الحكاية والإنسان	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٠
حنين بن إسحاق العبادي	سعيد الديوه جي	» ١٩٧٤
فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج (الجزء الأول)	عبد العزيز الرحبي. تحقيق د . أحمد عبيد الكبيسي	» ١٩٧٤
رقصات الخريف	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٤
السري الرفاء	» » »	» ١٩٥٦

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الشروط الصغير (١ – ٢)	أبو جعفر أحمد الطحاوي. تحقيق روحي اوزجان	بغداد ١٩٧٤
على هامش كتاب العروة الوثقى	محمد حسن آل ياسين	» ١٩٧٤
فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (١–٤)	عبد الله الجبوري	» ٩٧٣-١٩٧٤
مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٧
مدارس الموصل في العهد العثماني	» » »	» ١٩٦٤
ملحمة الموصل	فتح الله القادري الموصلي. تحقيق سعيد الديوه جي	» ١٩٦٥
الموصل أم الربيعين	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٥
نحو الفعل	أحمد عبد الستار الجواري	» ١٩٧٤
نحو القرآن	» » » »	» ١٩٧٤
الحجاج بن يوسف (حياته وآراؤه السياسية)	إحسان صدقي العمد	بيروت ١٩٧٣
الشخصية الصهيونيـــة في الرواية الانكليزية	هاني الراهب	» ١٩٧٤
الصلح سيد الأحكام	حسن حمام	» ١٩٧١
مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية	سعدي أبو جيب	» ١٩٧٢
معجم الأخطاء الشائعة	محمد العدناني	» ١٩٧٣
نصوص الردة في تاريخ الطبري (نقد وتحليل)	محمد حسن آل ياسين	» ١٩٧٣

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بلوغ الأمل في فن الزجل	ابن حجة الحموي. تحقيق رضا محسن القريشي	دمشق ١٩٧٤
تاريخ الأدب العربي (الجزء الثالث)	ر. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	» ١٩٧٤
تقرير عن حالة الأمن العام	قيادة قوى الأمن الداخلي	» ١٩٧٢
» » » » »	» » » »	» ١٩٧٣
الحمامة البيضاء	دلال حاتم	» ١٩٧٤
فلسفة نيتشه	اويغن فنك ترجمة إلياس بديوي	» ١٩٧٤
القبلة من شفة السيف	خالد محيي الدين البرادعي	» ١٩٧٤
القطـــار	صلاح حافظ	» ١٩٧٤
الكليات (الجزء الأول)	أبو البقـــاء الكفوي. تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري	» ١٩٧٤
لويس دوبرويل والميكانيك التموجي	ماري انطوانيت تونيلا ترجمة محمد وائل الأتاسي	» ١٩٧٤
معارك تشرين	الإدارة السياسية	» ١٩٧٤
معجم العلوم الطبية (الجزء الأول)	لدكتور مرشد خاطر الدكتور أحمد حمدي الخياط نقحه وأتمه الدكتور محمد هيثم الخياط	» ١٩٧٤

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
نقد بوناجي غوطة وايرفورت	ماركس انجاز ترجمة صلاح مزهر	دمشق ١٩٧٤
وجوه آخر الليل	محسن يوسف	« ١٩٧٤
مسند الإمام الرضا (١-٢)	الإمام الرضا . تحقيق عبد العزيز العطاردي الخبوشاني	طهران ١٣٩٢
القاموس التشريحي لاتيني (ألماني) - عـربي	انطون شاالر ،عصام حسن قلا	فيينا ١٩٦٤
الزخارف الرخامية في الموصل	سعيد الديوه جي	القاهرة ١٩٦٣
مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي	« « «	« ١٩٦٣
مصادر تاريخ اليمن في العصـــر الإسلامي	أيمن فؤاد السيد	« ١٩٧٤
النبـــات (القسم الثاني)	أبو حنيفة الدينوري	« ١٩٧٣
تجارة الموصل في اختلاف العصور	سعيد الديوه جي	الموصل ١٩٧٤
ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء	أحمد بن الخياط . تحقيق سعيد الديوه جي	« ١٩٦٦
الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام	سعيد الديوه جي	« ١٩٥٥
دور العلاج والرعاية في الإسلام	سعيد الديوه جي	« ١٩٦٦
صدى الأعاصير	يوسف أمين القصير	« ١٩٥٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
عامر وأسمـــاء	يوسف أمين القصير	الموصل ١٩٥٤
عقائل قريش	سعيد الديوه جي	» ١٩٥٥
الفتوة في الإسلام	» » »	» ١٩٤٠
تراث كربلاء	سلمان هادي الطعمة	النجف ١٩٦٤

فهرس الجزء الأول من المجلد الخمسين

الصفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء